جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

مقاومة التغريب عند الدوسري في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم

إعداد

جاسم عبد الله العلي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يونيو 2020–1441هـ

© 2020. جاسم عبد الله العلي. جميع الحقوق محفوظة

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب **جاسم عبد الله محمد العلي** بتاريخ 1441/9/4هـ الموافق 2020/4/27م وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

الاسم: محمد عبد اللطيف

المشرف على الرسالة

الاسم: محمد أيدين

مناقشاً داخلياً:

الاسم: بدران بن لحسن

مناقشاً خارجياً:

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

جاسم عبد الله العلي.

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

يونيو 2020.

العنوان: مقاومة التغريب عند الدوسري في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم

المشرف على الرسالة: أ.د.محمد عبد اللطيف

هذه الدراسة تعنى ببيان معالم مقاومة التغريب في تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، لمؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ¬، وهي تجيب عن سؤال مركزي، وهو كيف تناول الشيخ الدوسري ¬ في تفسيره قضية تغريب المجتمعات المسلمة، من حيث ذكر الأسباب، وطرق الوقاية، ووسائل العلاج؟

وتهدف الدراسة إلى بيان معنى التغريب، وهدفه، ووسائله، وأثره السيئ على الأمة، وترصد جهود بعض العلماء في توصيفهم ومقاومتهم له، مع تسليط الضوء على تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، لأنه واحد من التفاسير التي لم تأخذ حقها في الساحة العلمية، وقد استدعى هذا كله دراسة منهجية مؤلفه، ومعرفة معالم مقاومته للتغريب.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وخاتمة، عرفت في الفصل الأول بالشيخ عبد الرحمن الدوسري من حيث نشأته، وطلبه للعلم، وصفاته المميزة، ثم عرفت بمصادره في تفسيره ومنهجه فيه.

أمَّا الفصل الثاني فكان عن مفهوم التغريب عند علماء اللغة العربية، ومفهومها في السياق الغربي، وفي السياق العربي الإسلامي، ثم ذكرت أهداف التغريب ووسائله المتنوعة وهي: الوسائل

الثقافية والفكرية والتربوية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

وأما الفصل الثالث فبينت فيه معالم مقاومة التغريب في هذا التفسير، حيث قمت بدراسة تفسير الشيخ لآيات العقيدة الإسلامية، كآيات الإيمان بالغيب، وآيات الولاء والبراء، وآيات التحاكم إلى شرع الله، والآيات المثبتة لربوبية الله، ثم بينت هذه المعالم من خلال تفسيره لآيات القصص القرآني، مكتفياً ببعض النماذج في ذلك، وأتبعتها ببيان هذه المعالم ودراستها من خلال تفسيره لآيات الأحكام كالقصاص والوصية والصيام والجهاد والحج.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أن تفسير صفوة الآثار والمفاهيم من التفاسير التي تميزت بمادة علمية ثرية، وبمواضيع عصرية تهم الباحثين، وأن الشيخ عبد الرحمن الدوسري ¬ من العلماء الذين تميزوا بذكائهم وفراستهم وفقههم لواقع أمتهم، وأنه قد حرص على مقاومة التغريب في تفسيره وذلك من خلال توضيح معناه وأهدافه ووسائله، ومن خلال الطرح الإيماني الذي يحفظ دين المرء من بريق الماديات، والتأكيد على العقيدة التي تحفظه من الانجراف خلف الأفكار المنحرفة، وبدحض الشبهات التي يلقيها أهل التغريب، ودمغها بالأدلة النقلية والعقلية، وأن الشيخ كان مكملاً لدور العلماء الذين تناولوا التفسير الفكري والاجتماعي عموماً، وقضية التغريب على وجه الخصوص.

ABSTRACT

This study is concerned with analyzing the anti-westernization milestones in (Safwatul aathar wal mafaheem Tafsir of the holy Qur'an),

authored by, Sheikh Abdul-Rahman bin Muhammad al-Dosari - may Allah have mercy on him–
the study meant to answer a main question, which is: How haveSheikh AL-Dosari- in his exegesis of the Qur'an -discussed the matter of westernizing Muslim societies, in terms of causes, methods of prevention ,and means of treatment?

The study aims to explain the meaning of Westernization, its goal, means, and its negative impact on the Muslim nation, and it points out the efforts of some scholars in providing descriptions and means of resisting, while highlighting the book as well ,for it is one of the great Tafsir that have not been given the proper attention regarding the Academic field, therefore it is required to mention Author methodology, and to knowledge his efforts of resisting westernization.

The study consists of three chapters and a conclusion. the first chapter focused on the author, Sheikh Abdul-Rahman AL-Dosari, in terms of his grow origins, his knowledge-seeking, and his distinctive characteristics, furthermore the sources on which he relied and his methodology in that.
The second chapter is about the concept of Westernization from three aspects: the languifical aspect, the West context aspect and in the Arab Islamic context, then I have mentioned its various goals and means which are: cultural, intellectual, educational, media, economic, political, and military.

As for the third chapter, I explained the milestones of anti-westernization in this (Tafsir), where I studied the author's exegesis of the verses of the Islamic faith by studying the verses that speak of believing in the unseen, the verses that speak of loyalty and Innocence (from disbelief), and the verses that state the necessity of ruling people by Allah's revelation, I also explained these milestones throughout his exegesis of the verses of the Qur'anic stories, as shortened with some examples, I did the same with exegesis of the verses of rulings such as retribution, wills, fasting, jihad .

Among the most important findings that I have come up with: that the contents of this book were characterized by a rich scientific material and modern topics of interest to researchers, and that Sheikh Abdul-Rahman Al-Dosari- may Allah have mercy on him - is one of the scholars who were distinguished by their intelligence, their prey, and their understanding of the reality of Islamic nation. And that he was keen to resist Westernization in his Tafsir, by exposing their means and aims ,and through supporting beliefs that protect from the luster of materialism, and faith that keeps one from drifting behind perverted ideas, and by refuting the suspicions claimed by westerner, as well as defeating them with the evidences of both faith and Logic.
And that The Sheikh's role was complementary to that of the scholars who preceded him in intellectual and social interpretation in general, and the issue of westernization in particular.

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى، وبعد الصلاة والسلام على نبيه الهادي المجتبى، فإني أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة قطر، وأخص بالذكر إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ولكل الطاقم الإداري والأكاديمي بالكلية؛ لما بذلوه معي ومع إخواني الطلاب من دعم واهتمام ورعاية.

وأشكر الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف، مشرف رسالتي وأستاذي الذي شرفت بالتتلمذ على يده.

كما أشكر كل من ساندني في مسيرتي الدراسية وعلى رأسهم والدي ووالدتي الأجلاء، فهما من حبباني في العلم ودعماني لإكمال دراستي، والشكر موصول إلى زوجتي التي وقفت معي وصبرت على بعدي، وإلى جميع زملائي الطلاب الذين استفدت منهم، وإلى كل الأقارب والأحباب، فلهم كل شكر وحب وتقدير.

الإهداء

إلى كل من دلني على تعلم وحفظ وتدبر كلام الله عز وجل.

إلى من كان يذكرني دائماً بقول عثمان ﷺ:

"**لو طهرت قلبوكم ما شبعتم من كلام ربكم**".

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... و

الإهداء ..... ز

المقدمة ١

فكرة البحث: ٢

أهمية الموضوع: ٢

أسباب اختيار الموضوع: ٣

إشكالية البحث وأسئلته: ٣

أهداف البحث: ٤

حدود البحث: ٣

الدراسات السابقة: ٤

منهج البحث: ٥

خطة البحث: ٥

الفصل الأول التعريف بالشيخ عبد الرحمن الدوسري وبتفسيره صفوة الآثار والمفاهيم ٩

المبحث الأول التعريف بالمؤلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري ١٠

المطلب الأول: اسم الشيخ الدوسري وولادته ونشأته ١٠

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وطلابه ١٣

المطلب الثالث: صفات الشيخ البارزة وجهوده الدعوية والعلمية وذكر وفاته ١٨

المبحث الثاني التعريف بتفسير صفوة الآثار والمفاهيم ٢٣

المطلب الأول: بدايات التفسير وسبب كتابته ٢٣

المطلب الثاني: مصادر الشيخ من كتب التفسير ٢٤

المطلب الثالث: منهج الشيخ في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم ٢٨

الفصل الثاني مفهوم التغريب وأهدافه ووسائله ٣٧
المبحث الأول مفهوم التغريب وأهدافه..... ٣٨
تمهيد..... ٣٨
المطلب الأول: مفهوم التغريب في اللغة ٤١
المطلب الثاني: مفهوم التغريب عند الغرب..... ٤٢
المطلب الثالث: مفهوم التغريب عند المفكرين الإسلاميين..... ٤٤
المطلب الرابع: أهداف التغريب ٤٦
المبحث الثاني وسائل التغريب ٥٣
تمهيد..... ٥٣
المطلب الأول: الوسائل الثقافية والفكرية للتغريب ٥٥
المطلب الثاني: الوسائل التعليمية والتربوية للتغريب..... ٦٩
المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية للتغريب ٧٩
المطلب الرابع: الوسائل الاقتصادية والمالية للتغريب..... ٨٢
المطلب الخامس: الوسائل السياسية والعسكرية للتغريب..... ٩٠
الفصل الثالث مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسير صفوة الآثار والمفاهيم.
.....١٠٨
المبحث الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات العقيدة..... ١٠٩
المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الإيمان بالغيب.....١٠٩
المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الولاء والبراء ١١٥
المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات التحاكم إلى شرع الله
.....١٢٠
المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات إثبات ربوبية الله....١٢٥
المبحث الثاني مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لقصص القرآن الكريم ١٣٠
المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة آدم مع الملائكة ومع إبليس ١٣٠

المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة تعدد نعم الله لموسى ولبني إسرائيل.....١٣٥
المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة طالوت وجالوت.....١٤٥
المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مع النار ١٤٦
المبحث الثالث مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات الأحكام..... ١٤٩
المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات القصاص.....١٤٩
المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الوصية ١٥٠
المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الصيام.....١٥١
المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الحج ١٥٦
المطلب الخامس: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الجهاد ١٦٣
الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.....١٧٤
قائمة المصادر والمراجع ١٧٧
المراجع باللغة العربية: ١٧٧
المراجع باللغات الأجنبية: ١٨٥
مراجع شبكة الإنترنت: ١٨٥

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾ [سورة الزمر:٢٣]، والصلاة والسلام على القائل: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(١)]، صلى الله عليه، وعلى من سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فمن نعم الله تعالى على العبد أن يوفقه لخدمة دينه، وأن يستعمله في طاعته، ومن أشرف الطاعات وأجلها علم يتعلمه الإنسان ويُعلِّمه، ومن أشرف العلوم التي يتعلمها ويُعلمها علمٌ ارتبط بأفضل كلام، ألا وهو كلام الله جل وعلا، فدراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه شرف كبير لمن اشتغل بها، وأرجو من الله تعالى أن يعينني ويوفقني لأن أكون ممن ساهم ولو ببحث قليل في عدد صفحاته لكنه ترجى منه الفائدة.

وفي هذا البحث أدرُس بعض الجوانب في أحد التفاسير التي امتزج محتواها بعراقة تراث أمتنا التفسيري، وبمعايشة لواقعها المؤلم، إنه تفسير: **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)** للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ﷾، وبما أن التفسير مادته غزيرة؛ فقد انتقيت مسألة واحدة أسهب فيها الدوسري وكانت له إضافات بديعة في عرضها وبيانها، ألا وهي مسألة مقاومته للتغريب، والله أسأل أن يعينني على هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ج٦، ص١٩٢، رقم (٥٠٢٧).

فكرة البحث:

تدور فكرة البحث على توضيح دور علماء التفسير المعاصرين في مقاومتهم للتغريب، وبيان أنهم لم يكونوا منغلقين ومنعزلين عن واقع أمتهم، بل كان لديهم دراية بالواقع وفقه لما يجري فيها، فساهموا عبر تفاسيرهم في إنقاذ هذه الأمة وإيقاظها من غفلتها في العصر الحاضر، وقد اخترت أحد أبرز هؤلاء العلماء، وهو الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ﷺ، لما له من تأثير على الأمة، وقبول بين الناس، وتاريخه يشهد له بالعلم والحرص على الدعوة والنصح لعلية القوم وعامتهم، فضلاً عن تركيزه على داء التغريب الذي مس الأمة في هذا الزمن.

أهمية الموضوع:

تعددت أنواع التفاسير عبر القرون، فكان منها التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الفقهي والبياني والأدبي والاجتماعي والفكري وغيرها.

ولا يخفى على المتخصص في علم التفسير ما للتفسير الاجتماعي والفكري من أهمية بالغة، وذلك لتناوله مواضيع تهم المجتمعات وتطرح مشاكلها وتعالجها، ومن أبرز المشاكل التي يعاني منها المجتمع المسلم المعاصر، مشكلة تسلط الغرب عليه، وتأثر الكثير من المسلمين بالغرب ثقافياً واجتماعياً وسلوكياً، لذا أتت جهود العلماء لنصح الأمة وإرشادها، وقد ساهم كل عالم من علماء الأمة الربانيين بالنصح للأمة حسب استطاعته وتخصصه، والشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷺ ممن ساهم بالنصح والإرشاد للأمة في حياته العلمية والدعوية، وعبر مؤلفاته المتنوعة، ومن أبرزها تفسيره: **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، حيث يعد من التفاسير التي ركزت على الجانب الاجتماعي والفكري، وتناول فيه القضايا المجتمعية الفكرية المعاصرة، وتطرق لمسألة التغريب بطريقته المتميزة والفريدة.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب جعلتني أختار هذا الموضوع، ومن أبرزها:

١- الساحة العلمية بحاجة لإبراز العلماء الربانيين الناصحين للأمة الذين لا يخافون في الله لومة لائم، خاصة الذين لم يأخذوا حظهم في البروز الإعلامي، ولم يُهتم بنشر نتاجهم العلمي بالشكل المطلوب، أمثال الشيخ الدوسري رحمه الله.

٢- قلة الاهتمام بالتفاسير التي تطرقت للجوانب المجتمعية والفكرية، وخاصة تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**.

٣- اضطراب مفهوم التغريب عند بعض المجتمعات المسلمة، وقلة الوعي بخطره وأهدافه ووسائله وطرق مقاومته.

٤- التأكيد على أن التوجيهات القرآنية صالحة لكل زمان ومكان، وأن الاستنباطات من القرآن الكريم لا تنضب أبداً.

إشكالية البحث وأسئلته:

السؤال المركزي لهذا البحث هو كيف تناول الشيخ الدوسري رحمه الله في تفسيره قضية تغريب المجتمعات المسلمة، من حيث ذكر الأسباب، وطرق الوقاية، ووسائل العلاج؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

- من هو الشيخ عبد الرحمن الدوسري، وما مدى فقهه لواقع الأمة؟
- ما مفهوم التغريب عند الغرب، وعند علماء المسلمين عموماً، وعند الشيخ الدوسري على وجه الخصوص؟
- ما مدى عناية علماء التفسير المعاصرين بقضية التغريب ومقاومته، وهل تأثر الشيخ الدوسري بهم؟

- ما المعالم التي ارتكز عليها الشيخ عبد الرحمن في طرحه لمشكلة التغريب ومقاومته؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

- تحديد مفهوم قضية التغريب، مع بيان معناه وهدفه ووسائله، وأثره السيئ على الأمة، وتتبع واستقراء جهود بعض العلماء في توصيفه ومقاومتهم له.
- توضيح مكانة تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)** ضمن التفاسير المعاصرة، فهو من التفاسير التي لم تأخذ حقها في الساحة العلمية، ومكانة مؤلفه الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷾، وأيضاً الاطلاع على منهجية الشيخ في تفسيره للقرآن الكريم.
- استقراء وسائل التغريب التي ذكرها الدوسري، وتحليل آثارها السلبية، وطرق مقاومتها من خلال تفسيره.

حدود البحث:

حدود البحث هي تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، وكل المواد الأخرى فهي مواد مساعدة.

الدراسات السابقة:

عندما بحثت في الدراسات السابقة لم أجد بحثاً بنفس العنوان، فالكتب والبحوث التي خدمت تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)** محدودة، أما الكتب والبحوث والرسائل التي اختصت بالتغريب فهي كثيرة، لكن قلما تجد من تكلم عن هذا الأمر عند علماء التفسير المعاصرين، ولم أجد بحثاً ربط بين تفسير الدوسري ومقاومة التغريب عدا رسالة ماجستير واحدة لم تطبع، فصّلت في التعريف بالتفسير ومؤلفه، وألمحت إلى مسألة مقاومة الشيخ للتغريب بشكل غير

مباشر ومختصر جداً، وعنوان هذه الرسالة: **(منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم)**، إعداد: محمد بن عبد الله الربيعة، وهي رسالة قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤١٨هـ).

ويوجد كتاب آخر عنوانه: **(العلامة عبد الرحمن الدوسري ومواجهته للماسونية)**، إعداد ضاري بن عثمان الزهاميل، (دار آفاق للنشر)، تحدَّث المؤلف في فصول كتابه عن كيفية تناول الشيخ الدوسري من خلال نتاجه العلمي لبعض المسائل الفكرية والاجتماعية بشكل عام وللماسونية بشكل خاص.

أما ما يتعلق بالتغريب عمومًا، فالمكتبات العربية تزخر بالعديد من المصادر التي تكلمت عن هذا الموضوع، ومن أبرز الكتب التي ساهمت في مقاومة التغريب، وعاصر مؤلفوها الشيخ الدوسري:

١. **(شبهات التغريب)** للأديب والمفكر أنور الجندي رحمه الله.
٢. **(أباطيل وأسمار)**، للشيخ محمود شاكر رحمه الله.
٣. **(رسالة في الطريق إلى ثقافتنا)**، للشيخ محمود شاكر رحمه الله.
٤. **(الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)**، للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله.
٥. **(حصوننا مهددة من داخلها)**، للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله.
٦. **(واقعنا المعاصر)**، للشيخ محمد قطب رحمه الله.

منهج البحث:

سيكون منهجي في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي المشفوع بالمنهج التحليلي والمتبوع بالمنهج الاستنباطي، حيث أستقرئ المادة الخاصة بالتغريب في تفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)** وأحللها، لأقف على معالم مقاومة التغريب في هذا التفسير.

وهذا المنهج تم تطبيقه من خلال الخطوات الآتية:

١. تفسير الآيات القرآنية التي ترد في البحث وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير، مع مزيد اهتمام ببعض كتب التفاسير المعاصرة التي اعتنت بشكل واضح بموضوع التغريب.

٢. ربط ما كتب في التغريب بين مصادر الفكر الإسلامي مع الآيات التي فسرها علماء التفسير عموماً والشيخ الدوسري على وجه الخصوص.

٣. التعريف بالأعلام والكتب العربية المهمة المذكورة في البحث التي قد يجهلها بعض القراء ومن المهم تعريفهم بها.

٤. في فصل مقاومة التغريب بعد كل مطلب ألخص ما ذكره الشيخ وأعقب على بعض النقاط المهمة، وفي بعض المواضع أقوم بعمل مقارنة بين ما ذكره الشيخ مع بعض كتابات علماء التفسير.

٥. الاجتهاد في تفسير كل آية تذكر في البحث وشرح كل حديث مع الاستعانة بكتب أهل العلم، وذلك قدر الاستطاعة وحسب مناسبة السياق.

٦. في الكلام عن وسائل التغريب التي اتخذها الغرب استشهدت كثيراً بالوسائل التي طبقت على المجتمع المصري، لأسباب ذكرتها في البحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة فصول:

- **المقدمة:**
- **الفصل الأول**: **التعريف بالشيخ عبد الرحمن الدوسري وبتفسيره صفوة الآثار والمفاهيم**.

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: التعريف بالمؤلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: اسم الشيخ الدوسري وولادته ونشأته.
- المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وطلابه.
- المطلب الثالث: صفات الشيخ البارزة وجهوده الدعوية والعلمية وذكر وفاته.

- **المبحث الثاني: التعريف بتفسير صفوة الآثار والمفاهيم.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بدايات التفسير وسبب كتابته.
- المطلب الثاني: مصادر الشيخ من كتب التفسير.
- المطلب الثالث: منهج الشيخ في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم.

❖ **الفصل الثاني**: **مفهوم التغريب وأهدافه ووسائله**.

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم التغريب وأهدافه.**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم التغريب في اللغة.
- المطلب الثاني: مفهوم التغريب عند الغرب.
- المطلب الثالث: مفهوم التغريب عند المفكرين الإسلاميين.
- المطلب الرابع: أهداف التغريب.

- **المبحث الثاني: وسائل التغريب.**
- ويشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: الوسائل الثقافية والفكرية للتغريب.
- المطلب الثاني: الوسائل التعليمية والتربوية للتغريب.
- المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية للتغريب.
- المطلب الرابع: الوسائل الاقتصادية والمالية للتغريب.
- المطلب الخامس: الوسائل السياسية والعسكرية للتغريب.

❖ **الفصل الثالث**: **مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسير صفوة الآثار والمفاهيم**.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات العقيدة.**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الإيمان بالغيب.
- المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الولاء والبراء.
- المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات التحاكم إلى

شرع الله.

- المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات إثبات ربوبية الله.

- **المبحث الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لقصص القرآن الكريم.**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة آدم مع الملائكة ومع إبليس.
- المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة تعدد نعم الله لموسى ولبني إسرائيل.
- المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة طالوت وجالوت.
- المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مع النار.

- **المبحث الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الأحكام.**

ويشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات القصاص.
- المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الوصية.
- المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الصيام.
- المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الحج.
- المطلب الخامس: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الجهاد.

❖ **الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.**

❖ **المراجع والمصادر.**

الفصل الأول

التعريف بالشيخ عبد الرحمن الدوسري وبتفسيره صفوة الآثار والمفاهيم

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: التعريف بالمؤلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري.**
- **المبحث الثاني: التعريف بتفسير صفوة الآثار والمفاهيم.**

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف الشيخ عبد الرحمن الدوسري

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: اسم الشيخ الدوسري وولادته ونشأته.**
- **المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وطلابه.**
- **المطلب الثالث: صفات الشيخ البارزة وجهوده الدعوية والعلمية وذكر وفاته.**

المطلب الأول: اسم الشيخ الدوسري وولادته ونشأته

اسمه:

هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسري، من قبيلة الدواسر[١].

ولادته:

ولد الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷾ في البحرين سنة ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٤م حين زار والداه جده لأمه هناك، ثم رجعا به في أشهره الأولى إلى الكويت حيث كان والده مقيما فيها[٢].

نشأته:

نشأ في الكويت وبقي فيها أكثر عمره، ودرس وتعلم في مدارسها، وعلى يد مشايخها، وعاش فيها قرابة خمسين عاماً، فحصيلته العلمية والفكرية، وشخصيته كلها تكونت في هذه الفترة التي

---

(١) أسرة الشيخ هم أمراء بلدة السليل في المملكة العربية السعودية، من قبيلة الوداعين نسبة إلى بطن من قبيلة الدواسر. ينظر: الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **إتحاف اللبيب في سيرة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، (د.م، د.ن، ط٤، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص٦.

(٢) ينظر: الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، (الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ج١، ص١٩.

عاشها في الكويت، وكانت للشيخ زيارات علمية ودعوية لنجد والحجاز والعراق وفلسطين والأردن ومصر والخليج العربي وخاصة البحرين[١].

وقد كانت الكويت على صغر مساحتها الجغرافية من أوسع دول الخليج في الحركة العلمية زمن حياة الشيخ، حيث كانت تحتوي على العديد من الكتاتيب التي تُعلّم القرآن وتُدرّس مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب، وفقه العبادات، وفي عام ١٣٣٠هـ أي قبل ولادة الشيخ بسنتين فُتحت أول مدرسة نظامية في الكويت وهي المدرسة المباركية[٢] وقد درس فيها الشيخ وتخرج منها، وفتحت ثاني مدرسة في الكويت وهي المدرسة الأحمدية عام ١٣٤٠هـ[٣].

زاول الشيخ في شبابه البيع والشراء مع والده في تجارة البُشُوتِ (المشالح)، واستمر في هذه التجارة حتى استقل بها عن والده سنة ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م[٤]، ولا تخفى الفوائد العديدة التي يجنيها من يزاول عمل التجارة، فهي كما ذكر الشيخ تغني الإنسان عن ابتذال علمه بالوظيفة، التي إما تخرسه عن الصراحة بالحق، أو تجعله يساير رغبات الدولة التي توظفه[٥]، وأيضاً تنمي العديد من القدرات كالاعتماد على النفس، وتعلم طرق التعامل مع الناس، وتنمي بعض المدارك الذهنية،

---

(١) ينظر: الطيار، سليمان بن ناصر، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص٤٣، ٥٩؛ ينظر: الربيعة، محمد بن عبد الله، رسالة ماجستير بعنوان: **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، (رسالة غير مطبوعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ)، ص٣٣.

(٢) هي مدرسة كويتية، افتتحت في ٢٢ ديسمبر عام ١٩١١م، سميت بالمباركية، نسبة إلى الشيخ مبارك الصباح، تعد أول مدرسة نظامية في تاريخ الكويت، وأول مدير لها هو الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وكانت المدرسة منذ تأسيسها تقوم على مساهمات المواطنين من تبرعات، حتى قام مجلس المعارف بضمها عام ١٩٣٦م لتصبح تحت إدارة الحكومة، واستمر التدريس فيها حتى عام ١٩٨٥م حيث استخدم مبنى المدرسة لإنشاء المكتبة المركزية في الكويت، ينظر: مركز البحوث والدراسات، **تاريخ التعليم في دولة الكويت- دراسة توثيقية**، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط١، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٩٩-١١٥.

(٣) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص٥٩-٦٠.

(٤) ينظر: الطيار، **المرجع السابق**، ص٤٠-٤١.

(٥) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١٩.

وغير ذلك.

ثم انتقل للعيش إلى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وذلك بتاريخ ١٢ صفر ١٣٨٢هـ الموافق ١٤ يوليو ١٩٦٢م، واستقر بها بقية عمره رحمه الله[١].

(١) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص٤٣.

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وطلابه

طلبه للعلم:

طلب الشيخ الدوسري العلم في المدرسة المباركية، وهي تفوق العديد من المعاهد والكليات العلمية الدينية في المملكة العربية السعودية حسب تعبيره، حيث كان الحفظ فيها إجباريّاً، فحفظ فيها القرآن الكريم، والثلاثة الأصول مع بعض شرحها، والدرة المضية نظم السفاريني[١]، والرحبية[٢] والبرهانية في الفرائض[٣]، ومنظومة هَدِيَّة الألباب في جواهر الآداب[٤]، ومنظومة الآداب المشهورة لابن عبد القوي[٥]، ولامية ابن الوردي[٦]، ولامية العجم[٧]، وقصائد كثيرة متنوعة حفظها عن ظهر غيب، وحفظ من متون الفقه متن دليل الطالب[٨]، كما حفظ جملة من أحاديث منتقى الأخبار[٩]،

---

(١) هو للسفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، **الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (العقيدة السفارينية)**، (نظم في التوحيد، يحتوي على ٢١٠ أبيات).

(٢) هو للرحبي، موفق الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرحبيّ الشافعي (المتوفى: ٥٧٧هـ)، **بغية الباحث عن جمل الموارث (متن الرحبية)**، (نظم اشتهر عند أهلِ العِلْم يبدؤون به عند تدريس علم المواريث).

(٣) هو لابن برهان، محمد بن حجازي بن محمد الحلبي الشافعي المعروف بابن برهان (المتوفي: ١٢٠٥هـ)، **القلائد البرهانية** (منظومة في علم المواريث).

(٤) هو للجسر، حسين بن محمد الجسر المصري (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، **هدية الألباب في جواهر الآداب**، (نظمٌ في القيم والأخلاق الإسلامية الحميدة، عظيمة الفائدة لاشتمالها على القيم والأخلاق الحميدة).

(٥) هو للمرداوي، محمد بن عبد القوي المرداوي المقدسي (المتوفى: ٦٩٩هـ)، **منظومة الآداب الشرعية الصغرى**، (منظومة تحث على الأخلاق الحسنة التي يجب أن يتحلى بها المسلم).

(٦) هو للوردي، عمر بن مظفر بن الوردي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، **لامية ابن الوردي**، (تحتوي سبعة وسبعون بيتاً في الآداب والسلوك).

(٧) هو للطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الدؤلي الكناني المعروف بالطغرائي (المتوفى: ٥١٣هـ)، **لامية العجم**، (نظم نظمه ببغداد سنة ٥٠٥هـ ويصف فيها حاله ويشكو زمانه).

(٨) هو للكرمي، مرعي بن يوسف الكرمي (المتوفى: ١٠٣٣هـ)، **دليل الطالب لنيل المطالب**، (متخصص في الفقه الحنبلي).

(٩) هو لابن تيمية الجد، أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني (المتوفى: ٦٥٢هـ)، **المنتقى من**

ودرس السيرة النبوية، وطرفاً من التاريخ، وحفظ شيئاً كثيراً من نونية ابن القيم المعروفة باسم الكافية الشافية[1]،[2].

شيوخه:

وقد درس الشيخ ﵀ على مجموعة من العلماء في الكويت وخارجها، ومن أبرزهم:

١. الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرشيد[3].

٢. الشيخ محمد بن أحمد النوري الموصلي[4].

أخبار المصطفى ﷺ (منتقى الأخبار)، (كتاب يحتوي على العديد من أحاديث الأحكام).

(١) هو لابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)**، (موسوعة في العقيدة وأصول الدين).

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٢٠-٢١.

(٣) عبد العزيز بن أحمد الرشيد، ولد عام ١٣٠٥هـ الموافق ١٨٨٧م في الكويت، دخل إلى الكتّاب لكي يتعلم القرآن وهو في السادسة من عمره عند الملا زكريا الأنصاري، وختم القرآن بعد سنتين أو ثلاث، وبعدها أصبح تلميذاً عند الشيخ عبد الله خلف الدحيان، وفي شبابه سافر إلى بغداد عند الشيخ محمود شكري الألوسي، الذي كان يسميه الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار بعلامة العراق، فدرس الرشيد في مدرسة شكري (الداودية)، فتعلم فيها اللغة العربية والفقه والتفسير وشروح السنة، وبعد عودته للكويت عمل في الصحافة، وكتب في التاريخ، وألف العديد من المؤلفات، من أهمها: (رسالة تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين)، و(تاريخ الكويت)، في جزأين صدر سنة ١٩٢٦م، ورسالة (الدلائل البينات في حكم تعليم اللغات)، وكان ﵀ من الداعين إلى فهم الإسلام الفهم الصحيح مع الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، اللذَين كانا من أول الدعاة الذين أباحوا قراءة الصحف وطباعتها، ودعوا إلى تعليم العلوم العصرية، ووقفوا أمام دعاة الرجعية في الكويت، وقد أهدر دمه من قبل أحد شيوخ الدين الموصوفين بالتزمت. وشارك في معركة الجهراء عام ١٩٢٠م، وجرح فيها. ويسمى مؤرخ الكويت الأول؛ لأنه أول من أصدر كتابًا في تاريخ الكويت، ويسمى أيضاً رائد الصحافة في الكويت؛ لأنه قام بإصدار أول مجلة في الكويت، واسمها (مجلة الكويت) وذلك في عام ١٩٢٨م، وفي عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣١م سافر الشيخ من جدة إلى إندونيسيا عبر بواخر الحجاج لدعوة المسلمين هناك إلى المنهج السلفي، وقد توفي الرشيد ﵀ في جاكرتا عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٨م، ودفن في مقبرة العرب. ينظر ترجمته في: الحجي، يعقوب يوسف، **الشيخ عبد العزيز الرشيد: سيرة حياة**، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، د.ط، ١٩٩٣م).

(٤) الشيخ محمد نوري بن أحمد بن محمد الموصلي، ولد بالموصل عام ١٢٨٥هـ الموافق ١٨٦٨م، تلقى العلم ببغداد ثم عمل مدرساً وإماماً وخطيباً بالزبير، وقدم للكويت عام ١٩٢٣م حيث عمل مدرساً للدين والنحو بالمدرسة المباركية حتى عام ١٩٢٧م، وكان خطيباً وإماماً لمسجد اليعقوب بالكويت، توفي ﵀ في شهر

٣. الشيخ يوسف بن عيسى القناعي[١].

٤. الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش[٢].

٥. الشيخ محمد خراشي الأزهري المصري[٣].

٦. الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان[٤].

رمضان عام ١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٧م، حيث أحس بالتعب أثناء إمامته في التراويح، فقدم ابنه الشيخ عبد الله ليصلي بالناس، وذهب للبيت متكئاً على اثنين من أصدقائه، وبعد وصوله إلى بيته بدقائق فاضت روحه إلى بارئها. ينظر ترجمة في: الخرافي، عبد المحسن عبد الله، **مربون من بلدي**، (الكويت: د.ن، ط١، ١٩٩٨م)، ص١٢٥-١٢٧.

(١) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، ولد بالكويت عام ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٨م، وسافر إلى الأحساء ثم مكة فدرس النحو واللغة والفقه والحديث، وهو من مؤسسي مدرسة المباركية، وأول مدير وناظر لها عام ١٩١١م، ولما تأسست المدرسة الأحمدية عام ١٩٢١م تولى إدارتها، وله الفضل في تأسيس أول مكتبة عامة في الكويت، وهي المكتبة الأهلية عام ١٩٢٢م، كما أسهم في تأسيس النادي الأدبي، وكان عضواً في مجلس المعارف ومجلس الأوقاف، وتم انتخابه نائباً لرئيس مجلس الشورى عام ١٩٣٢م، من أبرز مؤلفاته كتاب (صفحات من تاريخ الكويت)، توفي الشيخ يوسف ﵀ عام ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م. ينظر ترجمة في: الخرافي، عبد المحسن عبد الله، **مربون من بلدي**، ص١٤٩-١٥٠.

(٢) الشيخ صالح بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن محمد الدويش، ولد في مدينة الزلفي بالمملكة العربية السعودية عام ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م، وأخذ العلم عن قاضي الزلفي الشيخ عبد الرزاق بن عبد الله المطوع، ثم رحل إلى بريدة، فأخذ العلم عن علمائها، وكان سنه آنذاك دون العشرين، ثم سافر إلى مكة المكرمة وقرأ على بعض علمائها كذلك، ولحبه للعلم سافر في طلبه إلى الهند، وأخذ هناك عن المحدث نذير حسين، ثم عاد إلى عنيزة فسكنها وتزوج فيها. عرض عليه منصب القضاء لكنه رفضه، وآثر العودة إلى مسقط رأسه الزلفي ليمضي بقية عمره فيها. وقد عمل في تجارة اللؤلؤ وكان كثير الأسفار، توفي ﵀ بالزلفي عام ١٣٥٢هـ الموافق ١٩٣٣م. ينظر ترجمته في: البسام، عبد الله عبدالرحمن، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، (الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ)، ج٢، ص٤٨٢-٤٨٥.

(٣) الشيخ محمد خراشي المصري المنفلوطي، عُيِّن مديرًا لمدرسة المباركية الكويتية عام ١٩٢٦م، ويعتبر المدير الخامس لها بعد ١٥ سنة من افتتاحها، وعين كذلك مديراً للمدرسة الأحمدية، لكنه لم يبق في الكويت إلا ستة أشهر. ينظر في ترجمته: مركز البحوث والدراسات الكويتية، **تاريخ التعليم في دولة الكويت- دراسة توثيقية**، ج١، ص١١١.

(٤) الشيخ عبد الله بن الملا خلف الدحيّان، ولد بالكويت عام ١٢٩٢هـ الموافق ١٨٧٥م، نشأ في كنف والده، وتعلم عنده القرآن الكريم ومبادئ الكتابة والحساب، سافر إلى الزبير وتعلم على يد كبار علمائها، حجَّ عام ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م والتقى بالعديد من علماء القصيم والمدينة المنورة ومكة المكرمة، وأخذ منهم العديد من الإجازات العلمية. وغدا منزله مجمعًا لطلبة العلم، فيقرأ عليهم عند كل صباح من تفسير ابن كثير

٧. وعند ذهابه للبحرين كان يحظى بمقابلة الشيخ قاسم بن مهْزَع[١]،[٢].

أما في المملكة العربية السعودية فقد كان يلتقي بعلمائها ووجهائها، وعلى رأسهم الملك فيصل بن عبد العزيز ﷺ، وكان يلتقي به كل يوم خميس مع بعض العلماء للتباحث والتشاور في أمور الإسلام والمسلمين، وكان يلتقي بمفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله[٣].

وكان الشيخ الدوسري ﷺ يمتلك مكتبة كبيرة، تضم أمهات الكتب الدينية والعقائدية

وصحيح البخاري، واعتنى بتدريس كتب الفقه الحنبلي ككتاب دليل الطالب وزاد المستقنع، ومن أبرز تلاميذه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عبد العزيز بن أحمد الرشيد، وللشيخ مؤلفات عديدة منها: (ديوان الخطب المنبرية العصرية)، و(الفتوحات العصرية في المجالس الوعظية)، وقصيدة طويلة في رحلة الحج. وكان زاهداً في المناصب، وامتنع عن تولي القضاء بعد وفاة الشيخ خالد العدساني، وظل منصب القضاء شاغراً ثلاثين يوماً، حتى ألزمه به الشيخ أحمد الجابر؛ لما يعلمه من علم الشيخ وتقواه، فتولى القضاء حين ألجأته الضرورة عام ١٩٢٩م محتسباً لم يأخذ أجرة عليه، توفي الشيخ ﷺ في رمضان عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠م. ينظر ترجمته في: الخرافي، عبد المحسن عبد الله، **مربون من بلدي**، ص١٣٣-١٣٩.

(١) قاسم بن مهْزَع، قاضي قضاة البحرين لأكثر من نصف قرن، ولد عام١٨٤٧م، ونشأ في كنف أسرة صالحة وفي بيئة علمية، فأخذ العلم عن والده، وكان والده عالماً وقاضياً وإماماً لمسجد الشيخ علي بن خليفة، دَرَسَ مبادئ العلوم الشرعية وحفظ القرآن، والتقى بالشيخ محمد بن راشد الحسيني الذي توسم فيه من أول وهلة الذكاء والنبوغ، وقرأ علم الفقه والفرائض، وعلوم العربية، وشيئاً من علم الفلك والحساب، وارتحل إلى الأحساء لدراسة العلوم الشرعية عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره، وقضى في الأحساء ما يقرب من ثلاث سنوات ينهل العلم عن مشاهير علمائها، وعاد إلى البحرين ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وللاستزادة من العلم، وظلَّ في الحجاز ما يقرب من ثلاث سنوات، تولى القضاء في البحرين سنة ١٢٩٤هـ بعد عزل قاضيها الأول الشيخ عبد الرحمن بن جعفر، وكان يقضي بالمذهب المالكي وهو مذهب حكام البحرين، وكان قاضياً على المنامة فقط، وأمضى باقتدار مشهود خمسة وخمسين عاماً في سلك القضاء، وله إسهامات كثيرة في مجالات العلم والثقافة والمعرفة، وله جهود مرموقة في سلك القضاء في مملكة البحرين، ويُعد نموذجاً لعلماء ذلك العصر الذين حاربوا التنصير ودافعوا عن الإسلام، وجمعت بينه وبين التجار علاقة طيبة، توفي عام ١٩٤١م عن عمر ناهز ٩٤ عاماً. ينظر ترجمته في: **جريدة الوطن البحرينية**، عدد الثلاثاء ٥ يونيو ٢٠١٨م. رابط: https://alwatannews.net/article/٧٧٥٣٠٦?rss=١. تاريخ الرجوع للموقع: ١٠يناير٢٠٢٠م

(٢) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٢٠-٢١.

(٣) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص ٣٢٥-٣٢٦.

والسياسية والتاريخية والأدبية، ويزورها العديد من طلاب العلم، فينهلون من علم الشيخ، ويجنون الفوائد من مكتبته[١].

طلابه:

أما عن طلاب الشيخ فلم يكن له طلبة كُثر تأثروا به، وانتهجوا منهجه، وذلك لعدم استقراره في بلد معين، حيث كان منشغلاً بالدعوة، ومزاولة التجارة، ولكن كانت له دروس خاصة مع بعض الطلبة، وبعض أقرانه ومحبيه ومنهم على سبيل المثال: الشيخ راشد بن عبد الله الفرحان[٢]، والشيخ أحمد بن عبد العزيز الحصين[٣]،[٤].

---

(١) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٢٦.

(٢) راشد بن عبد الله بن أحمد الفرحان، ولد بالكويت عام ١٩٣٠م، ودرس في الكتاتيب ثم المعهد الديني وتخرج فيه بتفوق عام ١٩٥٧م، وبعدها التحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، ودرس فيها الفقه المقارن ونال الشهادة عام ١٩٦١م، وبعد تخرجه عمل بوزارة الخارجية، ثم استقال من منصبه ليرشح نفسه عضواً في مجلس الأمة، وانتُخب عضواً فيه، وأعيد انتخابه لأربع مجالس متتالية، ثم عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية عام ١٩٧١م، وشارك في العديد من المؤتمرات، وزار العديد من الدول للدعوة إلى الله، وانتسب إلى العديد من اللجان والجمعيات كجمعية المحامين، ورابطة الأدباء، والمجلس العالمي للدعوة الإسلامية، واللجنة العليا للإشراف على المسابقة الكبرى السنوية لحفظ القرآن الكريم. وله الفضل بعد الله في إقامة مدارس القرآن الكريم بالكويت، التي تقدم إلى جانب تدريس كتاب الله علوم اللغة العربية، حتى وصل عددها إلى مئات المدارس للرجال والنساء، وللدكتور راشد العديد من المؤلفات في الفقه والتفسير والتاريخ ومقارنة الأديان، من أشهرها (مختصر تاريخ الكويت)، و(هداية البيان في تفسير القرآن). ينظر ترجمته في: الحصين، **إتحاف اللبيب في سيرة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص٢٢؛ وينظر: موقع تراثنا، رابط: http://www.torathona.org/حكاية القبض على الوزير الفرحان عند دخو، تاريخ الرجوع للموقع: ١افبراير٢٠٢٠م.

(٣) أحمد بن عبد العزيز الحصين، ابن خالة الشيخ عبد الرحمن الدوسري، واشتهر بمؤلفاته العديدة ك(إتحاف اللبيب في سيرة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري)، و(موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب؟) و(٢٠٠ سؤال في الحج والعمرة وزيارة مسجد رسول ﷺ)، و(من طلائع التغريب والتخريب عشرون شخصية تغريبية وتخريبية في القرن العشرين)، و(الماسونية ذلك المحفل الشيطاني الخفي)، و(النصرانية وما اعتراها من تحريف وتبديل)، و(الخطر التبشيري الصليبي في الكويت)، وغيرها من المصنفات.

(٤) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٢٢.

المطلب الثالث: صفات الشيخ البارزة وجهوده الدعوية والعلمية وذكر وفاته

صفات الشيخ الدوسري:

تميزت سيرة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ﵀ بالتنوع والثراء؛ وذلك من خلال الأحداث التي عاصرها في حياته، سواء في إطاره المحلي كالمنازعات التي أثارها الإنجليز بين الكويت والسعودية[١] وما جرته تلك الأحداث من البغض والتكفير لبعضهم البعض[٢]، وكالتغيرات السياسية في الكويت التي كان من أبرزها تأسيس مجلس تشريعي منتخب، أو في إطاره الإقليمي، كالحركة المصرية التي قامت عام ١٩٥٢م التي وقف الشيخ وقتها بشجاعة، ووضح أهدافها وعدها انقلاباً وامتداداً لانقلاب أتاتورك[٣]، وكذلك حرب العدوان الثلاثي على مصر، وحرب ١٩٦٧م وغيرها من الأحداث.

---

(١) حصلت أحداث سياسية كثيرة بين نجد والكويت في بداية القرن الماضي عندما كان الشيخ صغيراً في السن، وكان الدور البريطاني حاضراً فيها، وهي: ١. قامت عدة معارك بين الكويت والإخوان في نجد -إخوان من أطاع الله-، ودارت المعارك بتحريض من عبد العزيز بن سعود، ومن أشهرها معركة الجهراء عام ١٩٢٠م، حيث اشتد حصار الإخوان على الكويتيين في منطقة الجهراء، وكانت شروطهم لفك الحصار: عودة أهل الكويت للإسلام، وترك المنكرات والدخان، وتكفير الأتراك، وكان الرد الكويتي: "نحن مسلمون، ولم نكفر يوماً، ونزيل من المنكرات ما في وسعنا، ولم يثبت عندنا ما يوجب تكفير الأتراك"، وكان ممن شارك من الجانب الكويتي واستبسل في تلك المعركة شيخ الشيخ الدوسري وهو المؤرخ عبد العزيز الرشيد، وفي آخر المطاف تم الصلح وانتهت المعركة، وحضر اجتماع التسوية السلمية بين الطرفين الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجور مور، والذي أكد لوفد الإخوان أن الشيخ سالم آل صباح صديق للحكومة البريطانية، وأنكم جئتم دون علم ابن سعود، فرد أحدهم وقال: ما جئنا إلا بأمر ابن سعود صديقكم!، ٢. ومن الأحداث مؤتمر العقير ١٩٢٢م وسببه حل المشاكل الحدودية بين نجد والكويت وكانت بريطانية وسيطاً في تلك المفاوضات، ٣. تدخل بريطانيا لإدارة بعض الخلافات المتعلقة بالتجارة بينهما. ينظر في: العنزي، محمد نايف، **صفحات في التاريخ السياسي للكويت ١٧٧٥-١٩٩١م**، (الكويت: مكتبة آفاق، ط٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٩٩-١٢٨.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ص٢١.

(٣) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص١١٣-١١٤.

ومن التنوع في سيرته رحمه الله:

١- تعدد المشايخ الذين لازمهم وتعلم على أيديهم.

٢- ملاقاته لكبار علماء الأمة في أسفاره وفي موسم الحج، وللشخصيات البارزة التي التقى بها من ملوك ووجهاء وغيرهم.

٣- ومن جانب آخر تنوع زيارات الشيخ ورحلاته حول البلدان والمناطق؛ مما أكسبه معرفة بأحوال الناس والأوطان.

كل هذه الأمور وغيرها كان لها أثر كبير في فكر الشيخ، وأثرت ثقافته، وكونت شخصيته الفذة، وجعلته يتصف بأوصاف عديدة من أبرزها:

- فراسته.
- بُعد نظره.
- فهمه الواسع.
- معرفته بواقع أمته وأحوالها.
- حرصه على كشف مخططات أعداء الإسلام.
- صراحته في قول الحق، ومواقفه الجريئة.
- مع الورع والزهد وتحري الكسب الحلال[١].

جهود الشيخ الدوسري الدعوية:

أما عن جهود الشيخ الدعوية فهي متنوعة، منها منبر الجمعة، والوعظ والإرشاد والمحاضرات في المساجد والإذاعات، وكذلك مؤلفاته من كتب ومقالات وأشعار، وبفضل الله انتشرت محاضراته الصوتية وكتبه، واستفاد منها الناس.

---

(١) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٣٨.

وأما خطبة الجمعة، فقد عُرف عنه ﷺ التنقل بين المساجد ليخطب يوم الجمعة، فقد خطب في معظم مساجد الرياض، ولم يلتزم مسجداً معيناً، وكان الخطباء يستعينون به في إعداد خطبهم والنيابة عنهم عند الحاجة، وكان يفعل ذلك بهدف الدعوة دون أن يأخذ على ذلك أجراً من أحد، وقد كان يقوم بذلك أيضاً عند سفره في مدن السعودية، فيستأذن من إمام المسجد ويخطب مكانه(١).

أما في الإرشاد والوعظ فكان الشيخ يقوم بذلك عند أي فرصة تسنح، خاصة بعد الصلوات المفروضة، فيتحدث عن الأمور التي تشغل بال المسلمين، أو يفسر الآيات التي تلاها الإمام في الصلاة، ويربطها بواقع المسلمين اليوم، ويضرب لهم الأمثال في الماضي والحاضر، ويبين لهم أن القرآن الكريم إذا رجعوا إليه بصدق فإنه يحل جميع مشاكلهم الفردية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان يكثر من إقامة المحاضرات في الجامعات والمدارس والمعاهد والحدائق العامة، ويكثر من نصح الشباب وتحذيرهم من التيارات الفكرية المعاصرة التي تواجههم، وخاصة الماسونية اليهودية(٢).

وكان يشارك في الندوات التي تقيمها دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية، ووزارة الحج في موسم الحج من كل عام، التي يشارك فيها كبار العلماء(٣).

جهود الشيخ الدوسري العلمية وكتبه:

لقد ترك الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷺ ثروة علمية كبيرة من الكتب والمؤلفات، وقد حُصرت كتبه التي تركها بعد وفاته المخطوط منها والمطبوع، فكانت تزيد على سبعة وثلاثين كتاباً

---

(١) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، ص١٦١.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ص١٨٩، ١٨٠، ١٧٩.

(٣) ينظر: **المرجع السابق**، ص٢٠٢.

ورسالة؛ حيث كتب في التفسير وعلومه، وفي السنة وعلومها، والعقيدة، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسير، وكانت له أيضاً مؤلفات شعرية، وغير ذلك.

ومن تلك المؤلفات[1]:

١. **(صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، وهو تفسير للقرآن الكريم)**، ويعد أكبر مؤلفات الشيخ.
٢. **(تفسير آية الكرسي)**، مقتطع من تفسيره.
٣. **(شرح المنظومة السخاوية وزيادات عليها في مشكل القرآن)**، مخطوط ومفقود.
٤. **(الجواب المفيد في الفرق بين الغناء والتجويد)**.
٥. **(نور على نور مقتبس من سورة النور)**، مخطوط ومفقود.
٦. **(مختارات من التفسير والروايات)**، مخطوط.
٧. **(تأملات عميقة في أحسن القصص)**، مخطوط.
٨. **(للحق والحقيقة من كلام خير الخليقة)**.
٩. **(الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة)**.
١٠. **(فلسفة أركان الإسلام)**، مخطوط ومفقود.
١١. **(من هم المنافقون؟)**.
١٢. **(إرشاد المسلمين إلى فهم حقيقة الدين)**، مخطوط ومفقود.
١٣. **(اليهودية والماسونية)**.
١٤. **(كيف نحارب إسرائيل؟)**، من ضمن كتاب اليهود والماسونية.
١٥. **(الأسلحة التي انتصر بها اليهود)**، من ضمن كتاب اليهود والماسونية.
١٦. **(الجاهلية الجديدة)**، من ضمن كتاب اليهود والماسونية.
١٧. **(مرْكب النقص)**، مخطوط يعالج قضية التقليد، وهو مفقود.
١٨. **(عروبة وعروبة)**، مخطوط ومفقود.
١٩. **(الحق أحق أن يتبع)**.
٢٠. **(المسلم الثبوت في الرد على شلتوت)**، وهو شيخ الأزهر السابق، مخطوط ومفقود.
٢١. **(السيف المُنكي في الرد على حسين مكي)**، مخطوط ومفقود.
٢٢. **(قمع المفتري على الله)**، مخطوط ومفقود.
٢٣. **(محاضرات ومناظرات)**، مخطوط ومفقود.

---

(١) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٦٠-٧٠.

٢٤. **(معارضات لمحاضرات الخضري، وبيان ما فيها من النقول الخاطئة)**، مخطوط ومفقود.
٢٥. **(الجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية على مذهب الحنابلة الأحمدية)**، قصيدة تشتمل على ١٢٠٠ بيت.
٢٦. **(إيضاح الغوامض من علم الفرائض)**، قصيدة عدد أبياتها حوالي ١٠٤٨ بيتاً.
٢٧. **(مشكاة التنوير حاشية على شرح الكوكب المنير)**.
٢٨. **(معارج الوصول إلى علم الأصول)**، مخطوط.
٢٩. **(أضواء على الروايات والتاريخ)**، مخطوط ومفقود.
٣٠. **(ملاحظات على التاريخ)**، مخطوط ومفقود.
٣١. **(تكملة منظومة الصرصري في قصة يوسف وتعليقات عليها)**، مخطوط ومفقود.
٣٢. **(تربية الإسلام وادعاءات التحرير)**.
٣٣. **(الصوم مدرسة تربي الروح وتقوي الإرادة)**، مستقى من تفسير آيات الصوم من تفسيره.
٣٤. **(المرأة بين أمواج المدينة الجديدة وشاطئ الأمان)**.
٣٥. **(الإنسان الكامل الشريف والحيوان الناطق المخيف)**.
٣٦. **(أرجوزة في حكم من أقوال العلماء والحكماء والقادة وسائر المفكرين)**.
٣٧. **(فلسطينيات)**، قصيدتان تتحدثان عن النكبة الفلسطينية.
٣٨. **(نفثات داعية)**، عشر قصائد.

وفاتـــه:

أما عن وفاته، فقد كان الشيخ مصاباً بمرضي السكري والضغط، فاشتد عليه المرض حتى قرر السفر إلى لندن للعلاج عام ١٣٩٩هـ.

وفي أثناء سفره للعلاج لم يكن يتقاعس عن النصح والوعظ، وفي صباح يوم الأحد ١٣٩٩/١١/١٦هـ توفاه الله في المستشفى، فحُمل على الطائرة المغادرة إلى المملكة العربية السعودية، وصلي عليه في المسجد الكبير بالرياض بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ١٣٩٩/١١/١٩هـ[1]، الموافق ١٩٧٩١١٠١١٠م رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٤٤٤-٤٤٧.

المبحث الثاني
التعريف بتفسير صفوة الآثار والمفاهيم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: بدايات التفسير وسبب كتابته.**
- **المطلب الثاني: مصادر الشيخ من كتب التفسير.**
- **المطلب الثالث: منهج الشيخ في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم.**

المطلب الأول: بدايات التفسير وسبب كتابته

(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم) من أهم مصنفات الشيخ ﷺ في التفسير وعلوم القرآن كتاب، ويسمى بتفسير الدوسري، وهو أعظم مؤلفاته فائدة، وأكبرها حجماً، فقد بدأ نشر هذا التفسير في مجلة **(البعث الإسلامي)** الهندية سنة ١٣٨٣هـ[١]، واستمر إلى وفاته، كما أُذيع جزء منه في إذاعة القرآن بالمملكة العربية السعودية[٢].

واجتهد أبناؤه ومحبوه في إخراج التفسير وطباعته، ووصى الشيخ أن يجعل ثلث ماله في سبيل الله، ومن ذلك طباعة الكتب لإعلاء كلمة الله، فطُبع التفسير بفضل الله عز وجل بعد وفاة الشيخ في تسع مجلدات[٣]، وكان يتوقع أن يبلغ الشيخ في تفسيره إلى نهاية سورة الناس، ولكن

---

(١) مجلة شهرية إسلامية أدبية، تصدرها ندوة العلماء بلكهنو (جمهورية الهند)، شعارها: (الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الإيمان الراسخ والعلم الواسع)، يكتب فيها نخبة من العلماء كالشيخ عبد الرحمن الدوسري، والشيخ الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي، والدكتور مصطفى السباعي، وغيرهم.

(٢) الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) ومن الغرائب ما ذكر من متابعة الشيخ لتفسيره بعد مماته! قال الشيخ إبراهيم الدوسري ابن الشيخ عبد الرحمن الدوسري: "ولقد رأيته بعد وفاته في منامي، وما سألني عن أمر من أمور الدنيا إلا عن التفسير وماذا فعلنا به، فأجبته بأننا حريصون عليه كحرصك، وسيظهر إلى الوجود قريباً إن شاء الله، فاستبشر خيراً". ينظر: الدوسري: **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ص٢٤.

عاجلته المنية، ولم يصل إلا إلى آخر سورة المائدة[١].

وهناك أسباب دعت الشيخ لتأليف تفسير صفوة الآثار والمفاهيم، وهي:

١- تأثره بشيخه ابن مهْزَع، حين أوصاه بالاهتمام بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً وتفسيراً، فأخذ بالنصيحة، وأدام النظر في القرآن وحفظه، وأكثر من قراءة التفاسير قديمها وحديثها، يقول الشيخ الدوسري وفقا لما نقله عنه تلميذه الشيخ أحمد الحصين: "ذهبت إلى البحرين للتجارة، وهناك التقيت بعالمها الشيخ ابن مهزع، وكان عالماً مخلصاً ونشيطاً في التدريس، فقرأت عليه في التفسير، فبهر الشيخ من سرعة فهمي وذكائي، فقال لي: "أوصيك بقراءة القرآن وفهمه جيداً وحفظه وتفسيره"، فأخذت بهذه الوصية ووفقني ربي فبدأت تفسيري صفوة الآثار"[٢].

٢- تأثره بتفسير **(في ظلال القرآن)**، وبمنهج مؤلفه سيد قطب ﵀، من حيث معالجة الواقع وربطه بكتاب الله، فتأثر الشيخ الدوسري بالفكرة والهدف والغاية، ولكنه اختلف في الأسلوب والمنهج، حيث تميز الدوسري عن قطب بتركيزه الدائم على العقيدة[٣].

المطلب الثاني: مصادر الشيخ من كتب التفسير

اعتمد الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﵀ في تفسيره **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)** على العديد من كتب التفسير، ومن أهمها[٤]:

---

(١) ينظر: الطيار، **المرجع السابق**، ص٢١١؛ وينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص١٠٢. وقد تواصلت مع الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن الدوسري، وسألته: هل للشيخ مادة في تفسيره لم تطبع؟ فأجاب بأن الشيخ لم يكتب شيئاً بعد سورة المائدة.

(٢) الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٢١٤.

(٣) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص٨٦-٩١.

(٤) ينظر: الربيعة، **المرجع السابق**، ص١٠٥-١٠٦، ١٠٩.

١. **(جامع البيان في تأويل آي القرآن)**، لمحمد بن جرير الطبري ﵀، ومما يدل على تأثره به كثرة نقله عنه، وثناؤه عليه، فقال ﵀: "وأبو جعفر الطبري ﵀ رجل بصير عارف بالكلام ومنازله، ومتبحر في أصول الاستنباط، وقادر على ضبط ما ينتشر من المعاني، ومتابع لسياق الأحكام والأخبار في كتاب الله، وخبير بأحوال العرب في الجاهلية، كما وصفه المرحوم أحمد شاكر"(١).

٢. **(الجامع لأحكام القرآن)** لمحمد بن أحمد القرطبي ﵀، وكان الشيخ يعتمد على تفسير القرطبي في مواطن عديدة، فعلى سبيل المثال: عند قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:٣٠]، نقل عن القرطبي قوله في الآية: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتَنْفُذ به أحكام الخليفة"(٢).

٣. **(في ظلال القرآن)** لسيد قطب ﵀، فكان دائماً يوصي بمطالعة تفسير الظلال والاستفادة منه، ويستشهد بأقواله كثيراً، قال ﵀: "ولكن في المثل العربي (الصيد في جوف الفرا)، الصيد كله في تفسير قطب في ظلال القرآن، كرروا قراءته وستنتفعون منه منفعة عظيمة جداً، وعليكم دائماً بتدبر القرآن وصقل قلوبكم وأذهانكم بمعاني القرآن وبتكرار هذا التفسير القطبي للقرآن"(٣).

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص١٩٩.

(٢) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم**، ج٢، ص٨٢. و: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون –طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية–، ط١، ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م)، ج١، ص٣٩٥.

(٣) الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، **محاضرة الماسونية**، https://youtu.be/1F1esQF6OP4 الدقيقة ١:٠٩:٢٠.

٤. **(تفسير المنار)** لرشيد رضا ﵀، وقد كانت استفادة الشيخ الدوسري من تفسير المنار واضحة في عدة مواضع، ومن الأمثلة ما أورده في مسألة هل آية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة:١٨٤] منسوخة بآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]؟ فذكر الشيخ الدوسري ﵀ الخلاف ثم رجح أن الآية لم تنسخ فهي رخصة للشيوخ والذين لا يطيقون الصيام إلا بمشقة، واستشهد بكلام لصحاب المنار في المسألة حين قال: "ويظهر بإرادة سلب الطاقة أي القوة به لا قبله، والقاعدة أنه لا يحكم بالنسخ إذا أمكن حمل القول على الإحكام"(١).

أما ثناؤه على رشيد رضا ﵀، فعندما ذكر الدوسري تلاعب الجهال وافتراءهم على الله، وتطاولهم على قضائه وقدره؛ وذلك برجوعهم إلى سنة الجاهلية في الاستقسام بالأزلام، قال: "رحم الله صاحب المنار؛ فقد أوضح الحق في هذا المضمار، وفضح الدجالين الذين يلعبون على العوام، وحالهم كحال الذين يُحرّفون الكلم عن مواضعه"(٢).

ومع اعتماده على هذه التفاسير التي ذكرت آنفاً، إلا أن له طريقته، وأسلوبه الخاص به، فكان يناقش ويرد بعض المسائل الواردة في الكتب التي اعتمد عليها، فقد انتقد الإمام ابن جرير ﵀ في بعض المسائل كمسألة إيراد الإسرائيليات، وعدم التنبيه عليها، وذكره للخلافات الشاذة، ورده لبعض القراءات مع إمكان قبولها وصحة معناها، ومن الأمثلة على ذلك: المسألة التي أوردناها سابقاً في نسخ قول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٤]، فاستشهد الشيخ الدوسري بقراءة (وعلى الذين يطوقونه) ليعضد بها رأيه في المسالة، وهي قراءة شاذة جوَّز العمل

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم**، ج٣، ص١٠٨. رشيد، محمد رشيد بن علي القلموني الحسيني، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م)، ج٢، ص١٢٥.

(٢) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم**، ج٨، ص٨٥.

بها جمع من أهل العلم ومنهم الشيخ الدوسري، وخالف بذلك الإمام ابن جرير رحمهما الله[1]، وأما انتقاد الشيخ الدوسري ﷺ في ذكر الطبري ﷺ للخلافات الشاذة، فقال: "وتفسيره من أقدم التفاسير وأجل التفاسير البعيدة عن الأهواء، وما أنفعه لو لم يتصد لذكر الخلافيات الشاذة التي لا طائل تحتها"[2].

ومع اهتمام الشيخ بتفسيري الظلال والمنار، وثنائه عليهما، إلا أنه يختلف مع سيد قطب ورشيد رضا رحمهما الله في بعض المسائل، حيث علق على تفسيري الظلال والمنار، وقال: "مع أن عليهما بعض الملاحظات"[3].

وورد عن أحد طلاب الدوسري أن الشيخ كان يثني على الظلال كثيراً مع تنبيهه على الأخطاء التي وقع فيها، قال: "وأذكر من الأخطاء التي ذكرها خطأ عقدي في تفسير سورة طه

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم**، ج٣، ص١٠٧.

(٢) **المرجع السابق**، ج٣، ص٦٧.

(٣) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٢١١. كثر اللغط حول كتابات سيد قطب ﷺ في العموم وتفسيره وعلى وجه الخصوص، فيما يتعلق بأمور العقيدة كالقول بوحدة الوجود وخلق القرآن وتكفير المجتمعات وغير ذلك، والناس في هذا الجدل بين منصف ومجحف، ولا يسع المقام لمناقشة الأمر بإسهاب، لكن بإيجاز أعرض أفضل تعليق لهذا المسألة وهو تعليق الشيخ بكر أبوزيد ﷺ على كتاب (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره) لمؤلفه الشيخ ربيع المدخلي، فالشيخ بكر أرجع سبب اللغط حول سيد إلى ثلاثة أمور وهي: أولاً: الحسد والحقد، وبسبب هذا الحقد أخذ مخالفوه يلفقون التهم عليه ويفترون ويكذبون، ثانياً: اعتماد البعض على نسخ قديمة لكتابات سيد، وهو قد بادر بتعديلها في نسخ لاحقه، ثالثاً: جزء من كلام سيد قطب ﷺ في بعض المواضع التي حصل فيها لغط هي موهمة ومطلقة أو حسب تعبير الشيخ بكر عن سيد أنه: "تمدد في الأسلوب" فالعبارات الموهمة أدت إلى اتهام الشيخ، وقد خطَّأ الشيخ بكر هذا الأسلوب في هذه المواطن لحساسيتها، ومع ذلك نصح المنتقدين إلى الرجوع إلى كلام سيد المحكم الصريح في مثل هذه المسائل ليزول اللبس والاشكال، وعلى فرض أن سيداً أخطأ في بعض المسائل فهذا لا يعني عدم الاستفادة من قلمه الذي وظفه في الدعوة إلى توحيد الله تعالى، كما فعل ووجه الشيخ الدوسري وغيره من العلماء المنصفين، ينظر: تعليق الشيخ بكر في: أبي العينين، أحمد بن إبراهيم، **القول البديع في نصح الشيخ ربيع**، (القاهرة: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ص١١٩.

والبروج"[1].

أما ملاحظة الشيخ على صاحب المنار فقال: "ولي عليه مؤاخذة من جهة قوله عن دعوة محمد ﷺ أنها واحدة، وأنه اختبأها للشفاعة في الآخرة، فأقول: إن الله سبحانه وتعالى جعله متقبّل الدعوة، وله دعوات كثيرة في مواطن مشهورة، وحوادث معلومة يصعب تعدادها"[2].

ولم يقتصر تفسير صفوة الآثار والمفاهيم في المراجع على هذه التفاسير السابقة، بل استفاد الدوسري ﷺ في تفسيره من أكثر من خمسة وعشرين تفسيراً، واستفاد من مصادر عامة في فنون متعددة، في السنة، والعقيدة، والفقه، واللغة[3].

وخلاصة الأمر أن الشيخ الدوسري ﷺ أثرى تفسيره من خلال الرجوع إلى العديد من المراجع العلمية المتنوعة، والتي اشتهر مصنفوها بالعلم الراسخ، واهتم بأن يدمج بين تفسير السلف الأوائل مع تفسير علماء العصر العارفين بأحوال أمتهم، كما وضع بصمته التفسيرية ورأيه الخاص به في المواضع التي تطلبت ذلك.

المطلب الثالث: منهج الشيخ في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم

فسر الشيخ الدوسري ﷺ القرآن الكريم على منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفسر

---

(١) الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص١١٥.

(٢) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص٤٢٠. والكلام عن المنار لا يختلف عما ذكرناه مسبقاً في تفسير الظلال، فالنقاد كذلك بين منصف ومجحف، وتفسير المنار من أوائل التفاسير التي اهتمت بالتفسير الاجتماعي وتميز في معالجة أمراض المجتمعات، ومحاربة البدع المتفشية في الأمة، ومن نقده تكلم عن مسألة عرض السحر في التفسير على أنه لا حقيقة له بدليل تفسير سورة الفلق، وأنه لا معجزة للنبي ﷺ غير القرآن وغير ذلك من المسائل، ومن أفضل من قيم هذا التفسير الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون)، ينظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ج٢، ص٤٠١-٤٣٢.

(٣) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص١١٥، ١٤١.

الآيات على طرق السلف الصالح المعروفة، فاهتم بالتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، مع الاستعانة بعلوم القرآن من مصادرها، وتميز بانتقائه للعبارات السهلة والبسيطة والقريبة على عموم القرَّآء، بهدف تسهيل وصول المعلومة إليهم، وتحبيبهم في القرآن الكريم.

وللتفصيل أكثر حول منهج الشيخ في تفسيره نورد ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: التفسير بالمأثور:

اهتم الشيخ ﵀ بالتفسير بالمأثور على ما كان عليه علماء التفسير الأوائل، وذلك من خلال تفسيره:

- **القرآن بالقرآن،** قال الشيخ ﵀: "ووحي الله يفسر بعضه بعضاً إذا سلمت المقاصد لوجه الله، لأنه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [سورة هود:١] "[(١)].
- **والقرآن بالسنة،** وقد استعان الشيخ بأكثر من ثلاثين مرجعاً من متون السنة وشروحها في تفسيره لكلام الله عز وجل[(٢)].
- **والقرآن الكريم بأقوال الصحابة:** كابن عباس وابن مسعود وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب وغيرهم ﵃، والتابعين: كقتادة ومجاهد وعكرمة والحسن والزهري والسدي وغيرهم رحمهم الله[(٣)].

ثانياً: الاعتناء بعلوم القرآن:

اعتنى الشيخ بعلوم القرآن في تفسيره، فتطرق إلى:

- **أسباب النزول:** والشواهد على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال ما أورده في سبب نزول قول

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٢٠.

(٢) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص١٤١-١٤٦.

(٣) ينظر: الربيعة، **المرجع السابق**، ص٢٠٢.

الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢٣]، فرجحَّ أصحّ الروايات في ذلك، وهي ما ورد في الصحيحين[١] عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: **«كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾»**[٢].

- **وبيان الناسخ والمنسوخ:** فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [سورة البقرة:١٠٦]، ذكر أموراً عديدة تتعلق بأحكام النسخ كتعريفه وحكمه وأنواعه ومثّل لتلك الأنواع بشواهد من القرآن والسنة[٣].
- **والاعتناء بالقراءات:** فلم يغفل القراءات القرآنية وخاصة إن كان إيرادها يبين معنى آية من كلام الله عز وجل، وقد ذكرنا ما ورد عند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٤].

ثالثاً: تفسيره بالرأي والنظر:

- فقد اعتنى ﷺ بالجانب اللغوي، فبين معاني الألفاظ اللغوية وغريب القرآن، مع ذكر الأصل اللغوي للكلمة واشتقاقها، ومثال ذلك ما قال الشيخ عند تفسيره لقول الله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [سورة البقرة:٢١٧] قال: "وأصل الحبط مأخوذ من الهلاك، وهو أن يأكل بعض الأنعام ما يضره

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ}، ج٦، ص٢٩، رقم (٤٥٢٨)، بلفظ: (كَانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ)؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب النكاح، بَابُ جَوَازِ جِمَاعِهِ امْرَأَتَهُ فِي قُبُلِهَا، مِنْ قُدَّامِهَا، وَمِنْ وَرَائِهَا مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلدُّبُرِ، ج٣، ص١٠٨٥، رقم (١٤٣٥).

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٩٠.

(٣) ينظر: **المرجع السابق**، ج٢، ص٣١٩-٣٢٣.

من نبت الربيع فينتفخ بطنه فيهلك، ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حبطاً أَوْ يُلِمُّ**»[١]، فسمى فساد الأعمال بالحبط لما فيه من الهلاك المعنوي بفسادها وعدم الاعتداد بها وحرمان ثوابها"[٢]، وفي معنى كلمة (البر) قال: "ومعنى البر في اللغة بكسر الباء: هو التوسع في فعل الخير، ومشتق من البر بفتح الباء، الذي هو مقابل البحر في سعته، كما قال الراغب في مفردات القرآن[٣]، ومعنى البر في الشرع ما يتقرب به إلى الله من الإيمان به والصدق في محبته ومعاملته والاخلاص في الأعمال الصالحة لوجهه الكريم، فتوجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب ليس هو البر، وإنما البر ما ذكر الله مجامعه في هذه الآية"[٤].

- واستشهد بالشعر في مواضع عديدة من تفسيره، فعلى سبيل المثال: عند قول الله: ﴿**وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ**﴾ [سورة المائدة:٣]، عرَّف السَبُع على أنه: المفترس من الحيوان كالأسد والذئب وغيره مما له ناب، ويعدو على الناس والدواب فيفترسهم، ثم قال: "وقد أطلق على ذوات المخالب من الطير اسم السباع، كما قال الشاعر:

وسِباعُ الطَّيرِ تَغْدُوا بِطَاناً ** تَتَخَطَّاهُمُ فَمَا تَسْتَقِلُّ[٥]

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله، ج٤، ص٢٦، رقم (٢٨٤٢)؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، بَابُ تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، ج٢، ص٧٢٨، رقم (١٠٥٢).

(٢) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٣) ينظر: الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدان الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ)، ص١١٤.

(٤) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٥.

(٥) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص٧٢-٧٣. وقد استشهد بهذا البيت صاحب (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) وصاحب (البحر المحيط) عند تفسيرهما لنفس الآية دون ذكر اسم صاحب البيت كما فعل الشيخ الدوسري، وبعد التتبع للبيت الشعري وجد في ديوان الحماسة مع تغير في كلمة سباع، قال الشاعر: **وعتاق الطير تغدوا بطاناً ** تتخطاهم فما تستقل**، "عتاق الطير: جوارحها، وتستقل: تطير وَالْمعْنَى: أَن جوارح الطير تنزل على الْقَتْلَى من هُذَيْل فتملأ بطونها حَتَّى لَا تكَاد تطِيق الطيران

- ولم يغفل الجانب البلاغي وإعجاز القرآن، فأشار إلى جمال النظم القرآني، وإعجازه في لفظه وتركيبه، ومثال ذلك: ما ذكره في ختام تفسيره لأول سورة من القرآن الكريم وهي فاتحة الكتاب، فذكر الشيخ اشتمال السورة على العديد من أنواع الفصاحة والبلاغة، كحسن الافتتاح وبراعة الاستهلال بابتدائها بالبسملة والحمد لله، والمبالغة في الثناء لعموم (ال) في الحمد التي هي لاستغراق جميع المحامد، والاختصاص باللام في (لله) لاقتضائها أن جميع المحامد مختصة به صائرة إليه، والتفسير أو التصريح بعد الإبهام، وذلك في بدل (صراط الذين) من الصراط المستقيم، والتسجيع، وبراعة الختام[1].
- وتطرق في تفسيره لعلم المناسبات؛ سواء بين السور أو الآيات المتتالية، وكذلك بين التناسب في خواتيم الآيات، وكان يشير إلى ما تدور حوله السورة وترتكز عليه، ويبين في نهاية تفسيره للسورة مقاصدها، وأهم النقاط المهمة فيها، ثم يربط بين موضوعات السورة الواحدة، وأمثّل لنوع واحد من تلك المناسبات وهو المناسبة بين سورتي البقرة وآل عمران، فبين الشيخ ﷺ التناسب بين السورتين في عدة أمور منها: ذكر أهل الكتاب، وأقسام الناس من حيث الاهتداء به، وتضمنتا التركيز على العقيدة، وكشف فضائح اليهود والنصارى، والبقرة تضمنت ذكر خلق آدم ﷺ في المقابل سورة آل عمران تضمنت خلق عيسى ﷺ، كما أن السورتين تضمنتا أحكاماً مشتركة كأحكام القتال[2].

لِكَثْرَةِ مَا تَأْكُل". ينظر: التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، **شرح ديوان الحماسة**، (بيروت: دار القلم، د.ط، د.ت)، ج١، ص٣٤٧. وينظر: السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت)، ج٤، ص١٩٦. وينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ)، ج٤، ص١٥٥.

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٤، ص٧.

- أما عن بيان موضوع الآيات وما تحتويه من المعاني والفوائد والهدايات واستلهام الدروس والعبر، فكان لهذا الجانب النصيب الأوفر من تفسيره، وركز كثيراً على مسائل العقيدة ومعالجة الواقع، وسبب تميز تفسيره في هذا الجانب هو تأثره بسيد قطب ﷺ كما أسلفنا[1].

ومما يميز تفسير الدوسري، ويبين قيمته العلمية والجهد الكبير الذي قدمه فيه، ما ذكره بعض الباحثين الذين تخصصوا في دراسة تفسير الشيخ، كالدكتور سليمان الطيار، حيث قال: "وقد أخذ يفسر القرآن استقلالاً بأسلوب مسترسل ليعطي الآيات حقها من جميع النواحي؛ عقائد، عبادات، معاملات، سياسية شرعية، ويطبقها على واقع العالم عموماً، والمسلمين خصوصاً، بأفق واسع، وصدر رحب، منطلقاً من روح القرآن الذي نزل علاجاً وشفاءً لأمراض المجتمعات الجاهلية كلها، قديمها وحديثها.

ولذلك أطال نَفَسَه في التفسير بعاطفة دينية صادقة، وفؤاد متحرق على واقع الأمة الإسلامية، وما وصلت إليه من تفكك وانحطاط بسبب بُعدها عن روح السنة والكتاب، وعالج ضلالات المذاهب القديمة والحديثة، وفق العقيدة السلفية الصحيحة، ومزج العقيدة بالتشريع، والإيمان بالعمل، والقول بالتطبيق.

وقد فهم التاريخ بدقة، وخاصةً التاريخ الإسلامي، فاستخدمه بذكاء لاستنباط الشواهد منه، وإبرازها أمام القارئ، حتى لا يلدغ المسلمون من جحر مرتين، وأشار إلى الأحكام العقائدية والفقهية، والقواعد الأصولية المستفادة من الآيات، وناقش الآراء المتعارضة، والأخطاء التي وقع فيها بعض المفسرين، ورجح في مسائل الخلاف الأقوى دليلاً، والأقرب إلى مدلول كتاب الله وسنة رسوله، مع البعد عن الإسرائيليات، وكل رأي لا يعضده الدليل"[2].

---

(١) ينظر: الربيعة، **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، ص١٦٢-٢٨١.

(٢) الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٢١٤-٢١٥.

وقال الدكتور محمد الربيعة: أبرز ما تميز به تفسير الدوسري ﷺ وكان له أثر كبير في بروزه ثلاثة جوانب مهمة ظهر فيها جهده واستقلاليته وتجديده:

أولاً: جانب العقيدة وبروزه في تفسيره:

لقد جاء جانب العقيدة في تفسير الدوسري أعظم جانب يميزه، ويتمثل تميزه في عدة أمور:

١. تضلعه بالعقيدة الصافية وفهمه لها وشعوره بأهميتها وعظم شأنها، الأمر الذي جعله يعايشها خلال تفسيره كله، وتتركز أفكاره عليها.

٢. تركيزه عليها حتى جعل أهداف القرآن كله تتركز عليها وتنبثق منها، ولهذا فقد تعامل مع القرآن من هذا الأساس، وبنى تفسيره عليه، ولا شك أن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد صحة المنهج والمسلك الذي اتخذه الدوسري في ذلك إذ أن أهداف القرآن كلها تتركز على العقيدة.

٣. ربط الأحكام التشريعية وحِكمها بها، وجعلها –أي العقيدة– أساساً ومنطلقاً يبنى عليه الحكم التشريعي، وهذا أمر تجلى فيه جهده واجتهاده، وتفرد به عن كثير من المفسرين.

٤. عرضها عرضاً حياً عالج خلاله قضايا العقيدة المعاصرة، وأبرز من خلال ذلك شمولها وتميزها وصلاحيتها لأحوال البشر وجميع قضاياهم.

ثانياً: النظرة الواقعية وتطبيقها في التفسير:

كان الشيخ على فهم عميق، واطلاع واسع، ومعرفة للواقع، مما كان له الأثر الأكبر في سعة أفقه، وإدراكه، وبعد نظره وتفكيره، وقد استطاع أن يربط تلك النظرة الواقعية بالقرآن؛ ليستوحي منه المنهج الحق، ويبرز مكانة القرآن، ومناسبته لجميع الأحوال والأوضاع مهما تغير الزمان والمكان، وقد ظهر هذا التميز في تفسيره في عدة جوانب:

١. ربط الواقع بدلالات الآيات وأهدافها ربطاً مباشراً، حتى كأن القارئ يشعر بتجدد معاني القرآن.

٢. معالجة الواقع بما فيه من أفكار منحرفة وضعف وهزيمة نفسية؛ على ضوء القرآن وهداياته.

٣. تصوير الإسلام وتشريعاته تصويراً كاملاً معجزاً متناسباً من أحوال العصر ومتطلباته، وبيان حقيقة هذا الدين الذي يظهر به عدالته وشموله.

٤. رسم منهج متكامل لبناء المجتمع المسلم المعاصر، وتوثيقه بقواعد وأسس ثابتة مبنية على نصوص الوحيين الكريمين.

ثالثاً: معايشة القرآن والشعور الصادق في تأمله:

ظهرت معايشته للقرآن في تفسيره في جوانب عدة:

١. بيان المعاني الروحانية للآيات.

٢. تقرير حِكم الآيات وأسرارها.

٣. استنباط الفوائد واللطائف.

٤. استلهام الدروس والعبر من القصص والأخبار.

٥. التحليل الموضوعي للآيات المقنع لشد القلوب والأذهان.

٦. العرض المستوفي لمعاني الآيات ودلالاتها.

ولقد ظهر في ذلك تميّزه بما أورده من تلك المعاني والفوائد والفرائد من استنباط وفهم عميق وتأمل دقيق، وإن كان قد سبقه في هذا الجانب علماء ومفسرون، أبدعوا في استنباط الفوائد والمعاني، لكن الذي أعنيه: تميُّز الدوسري في استنباطه وفهمه وتعمقه وتأمله في الآيات بما لم يسبق إليه، وهذا دليل على معايشته للقرآن حقيقة، وهو أمر يدل على تميزه[١].

---

(١) ينظر: الربيعة، محمد بن عبد الله، **موقع ملتقى أهل التفسير**، رابط: https://vb.tafsir.net/tafsir1354/#.Xi9PZ3duLD4. تاريخ الرجوع للموقع: ٣٠\يناير\٢٠٢٠م.

وبعد هذا البيان الموجز لمنهج الشيخ في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم، وبيان مكانته وما تميّز به، نستطيع القول إن هذا التفسير يُعد من التفاسير المهمة في الوقت الحاضر، والتي لم تعط حقها ويستفد منها بالشكل المطلوب، وستتضح معنا معالم هذا التميز بشكل بيّن وخاصة في جانب العقيدة وفقه الواقع وذلك في الفصول اللاحقة بإذن الله تعالى.

الفصل الثاني

مفهوم التغريب وأهدافه ووسائله

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: مفهوم التغريب وأهدافه.**
- **المبحث الثاني: وسائل التغريب.**

المبحث الأول
مفهوم التغريب وأهدافه

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: مفهوم التغريب في اللغة.**
- **المطلب الثاني: مفهوم التغريب عند الغرب.**
- **المطلب الثالث: مفهوم التغريب عند المفكرين الإسلاميين.**
- **المطلب الرابع: أهداف التغريب.**

تمهيد

مصطلح التغريب طرح في ثلاثينيات القرن الماضي، وهو أقسى ما واجه الفكر الإسلامي في عصوره المختلفة؛ لأنه جاء في حال غيبة إرادة الأمة، وفي وقت احتلالها من الغرب.

والتغريب حركة منظمة، لم تأت اعتباطاً أو بالمصادفة، بل هي حركة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها وقادتها، وذلك من خلال مؤسسات التبشير والاستشراق، وحملات منظمة لهدم الدين تتبناها الصهيونية، ولها وسائل كثيرة ومتنوعة كالمسرح والقصة، والرواية السينمائية، وإشاعة الإباحية، وإحياء الكتابات والأشعار المناوئة للدين، وإثارة النعرات العصبية، وخلق الخصومة بين العرب المسلمين وباقي المسلمين، ومحاولة رد التراث الإسلامي إلى أصول بعيدة كالفرس والهنود واليونان، وغير ذلك[1].

---

(١) ينظر: الجندي، أحمد أنور سيد أحمد فرغلي، **شبهات التغريب: في غزو الفكر الإسلامي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م)، ص٥-٦.

والتاريخ يشهد على تآمر اليهود عبر الزمن للقضاء على أصالة الإسلام، وملامح تلك المؤامرة تظهر جلياً منذ عهد عبد الله بن سبأ، إلى مقتل عمر بن الخطاب ﷺ على يد أبي لؤلؤة المجوسي، إلى حركة القرامطة والباطنية، وتأويل النصوص، ثم فلسفة الإشراق ومسائل الاتحاد والحلول(١).

ويؤكد على هذا الأمر الشيخ الدوسري ﷺ، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:٧٩]، حيث ذكر الشيخ أن اليهود هم أمة الخبث والإفساد، ولا تجد مذهباً شارداً عن صراط الله أو منفرداً للناس عن وحي الله، إلا ووراءه يهودي أو تلاميذ اليهود، ثم سرد تاريخ تلك المذاهب والفرق التي كانت سبباً في افتتان الأمة وتفريقها عبر العصور، من بدعة القدرية والاعتزال إلى الباطنية والقرامطة، إلى الحلولية والقبورية، إلى الماسونية وأفراخ الإفرنج من العلمانيين والماديين الذين يديرون محافل الشهوات والشبهات ويساعدون

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب: في غزو الفكر الإسلامي**، ص٢٧. ومعنى فلسفة الإشراق –أو ما يسمى بعلم الأنوار– هو: ظهور الأنوار العقلية للنفوس بعد تجردها، وهي فرع من فروع الفلسفة اليونانية والأفلاطونية، راجت آراؤها في الديانات القديمة، وتسللت إلى طوائف تنتسب للإسلام، فالمتصوف مثلاً حتى يحصل عنده الكشف أو الإشراق عليه أن يتخذ مرشداً من الشيوخ ويستسلم له استسلاماً تاماً، ويقتصر على الفرائض، وألا يفرق فكره بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ويجلس في مكانه خالياً يردد لفظ الجلالة (الله) حتى يقف لسانه، ويكررها قلبه حتى تنمحي حروفها في قلبه فلا يبقى إلا معناها، وعند ذلك يتحقق له الإشراق، والاتحاد هو: عقيدة وثنية دخيلة على عالمنا الإسلامي، إذ تلغي الفرق بين الخالق والمخلوق على اعتبار أنه لا موجود في الوجود إلا الله، والحلول هو: تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض بني آدم، وامتزاجه به امتزاجاً كاملاً في الطبيعة والمشيئة، بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية. ينظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٩٤٣، ٩٥٨–٩٥٩، ١٠٤٩.

العدو المستعمر ضد الإسلام والمسلمين[1].

وإذا كان اليهود لا يزالون يقودون الحملة ضد الإسلام في كل أرجاء الأرض اليوم، فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العداء منذ واقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم[2]، لقد تجلت أحقاد الصليبية على الإسلام وأهله في الحروب الصليبية طوال قرنين من الزمان، كما تجلت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس، ثم في حملات الاستعمار والتبشير على الممالك الإسلامية في إفريقية أولاً، ثم في العالم كله، ولقد ظلت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليفتين في حرب الإسلام – رغم ما بينهما من أحقاد – ولكنهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة المائدة:٥١]، حتى مزقوا دولة الخلافة الأخيرة، ثم مضوا في طريقهم ينقضون هذا الدين عروة عروة، وها هم أولاء يعيدون موقف اليهود القديم مع المسلمين والوثنيين؛ فيؤيدون الوثنية حيثما وجدت ضد الإسلام، عن طريق المساعدات المباشرة تارة، وعن طريق المؤسسات الدولية التي يشرفون عليها تارة أخرى، وليس الصراع بين الهند وباكستان على كشمير وموقف الصليبية منها ببعيد.

هذا موجز سريع لما سجله التاريخ طوال أربعة عشر قرناً، من مواقف اليهود والصليبيين تجاه الإسلام؛ لا فرق بين هذه وتلك، ولا افتراق بين هذا المعسكر وذاك في الكيد للإسلام، والحقد

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢١٥-٢٢٣.

(٢) وقعت معركة اليرموك عام ١٣هـ وقيل ١٥هـ، في وادي اليرموك، وكانت بين المسلمين والروم زمن الصدِّيق ﷺ وكان عدد جيش الروم أربعون ومئتا ألف، وجيش الصحابة من ستة وثلاثين إلى أربعين ألفاً، وقاد جيوش المسلمين خالد بن الوليد ﷺ، ونصر الله المسلمين في تلك المعركة. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –دولة قطر–، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ج٧، ص٨٥-٩٩.

عليه، والحرب الدائبة التي لا تفتر على امتداد الزمان[١].

المطلب الأول: مفهوم التغريب في اللغة

"التغريب: النفي عن البلد"[٢]. وقيل: "التغريبُ: النفيُ عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي وَقَعَتِ الجِنايةُ فِيهِ. يُقَالُ: أَغرَبْتُه وغَرَّبْتُه إِذا نَحَّيْتَه وأَبْعَدْتَه. والتَّغَرُّبُ: البُعْدُ. وَفِي الْحَدِيثِ: **«أَن رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنَّ امرأَتي لَا تَرُدُّ يدَ لامِس، فَقَالَ: غرِّبْها -أَي أَبْعِدْها-»**[٣] يريدُ الطَّلَاقَ"[٤].

"والغَرْبُ: الذهابُ والتَّنَحِّي عَنِ الناسِ. وَقَدْ غَرَبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرَّبَ، وأَغْرَبَ، وغَرَّبه، وأَغْرَبه: نَحَّاه. وَفِي الْحَدِيثِ أن النبي ﷺ أمر بتغريب الزاني سنةً إذا لم يُحْصَنْ[٥]، وهو نفيه عن بلده، والغربة والغرب: النوى والبُعد، وقد تغرَّب"[٦].

واغترب/تغرب: "نزح عن الوطن"[٧].

وغَرَّب: عن وطنه غرابةً، وغَرَّبه عنه، وغرَّب في الأرض: أمعن فيها فسافر سفرًا بعيدًا،

---

(١) ينظر: سيد قطب، بن إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٣٤، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٩٦٦.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ج١، ص١٩١.

(٣) البيهقي، **السنن الكبرى**، جماع أبواب ما يحل من الحرائر، باب ما يُسْتَدَلُّ به على قَصْرِ الْآيَةِ على ما نَزَلَتْ فيه أو نَسخِهَا، ج٧، ص٢٥٠، رقم (١٣٨٧١). و: النسائي، **سنن النسائي**، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الخلع، ج٦، ص١٦٩، رقم (٣٤٦٤)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٦٣٩.

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، ج٣، ص١٧١، رقم (٢٦٤٩).

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٦٣٨.

(٧) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط، د.ت) ج٢، ص٦٤٧.

والقوم ذهبوا ناحية المغرب[1].

فعلى هذه المعاني اللغوية يكون التغريب حسيّاً وهو الذهاب ناحية الغرب، أو بمعنى الانتقال والابتعاد والتنحية البدنية، وقد تكون التنحية إجبارية، أي لا يملك الإنسان ردها أو دفعها، بدليل حديث تغريب الزاني.

لكن لم يشر علماء اللغة السابقون إلى أن هناك معنىً معنوياً للتغريب، وهو انتقال وابتعاد العقل والفكر عن بيئته الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية، فهذا المعنى حصل حديثاً في زمن ضعف الأمة العربية والإسلامية، تلك الأمة التي تتمركز في الشرق، بينما يتعلق أبناؤها قلباً وعقلاً بمن يعيشون في الغرب، ومعلوم أن القوة البشرية التي تتمركز في الغرب هي قوة بشرية مسيحية استطاعت الحركة الصهيونية أن تخترق مجالها الثقافي وتعيد صياغتها على نحو يحقق أهدافها.

المطلب الثاني: مفهوم التغريب عند الغرب

مصطلح (التغريب)، ليس من ابتكار العرب بل هو مصطلح غربي، كما قال الدكتور محمد مصطفى هدارة[2]: "اصطلاح (التغريب) ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم

---

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى ورفقاؤه، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦٤٧.

(٢) محمد مصطفى هدارة: ولد سنة ١٩٣٠م بمدينة الإسكندرية، وحفظ قدراً كبيراً من القرآن الكريم في سن مبكرة، وقد أحبَّ العربية في الثانوية، فكان يلقي الشعر أمام الناس، وحاول وقتها محاولات جيدة في كتاب الشعر، والمسرحية، والقصة القصيرة، والرواية، وقد نشر بعضها في بعض المجلات، ثم درس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٢م وتخرج منها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، ثم حصل على الماجستير بتقدير امتياز كذلك سنة ١٩٥٧م، وعلى الدكتوراه سنة ١٩٦٠م، وقد أطلق عليه المثقفون عدداً من الألقاب، منها: شيخ النقاد الإسلاميين، والأصيل معاصراً، وفارس الثقافة العربية الأصيلة، وكان من المعجبين بآراء الدكتور طه حسين، ومن مناصب الدكتور هدارة أنه عمل مستشاراً ثقافياً بجامعة الدول العربية، وعُين أستاذاً بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية، وشغل منصب وكيل الدراسات العليا بكلية الآداب، وعميداً لكلية الآداب جامعة طنطا، ورئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها، وعمل في عدة جامعات بالوطن العربي كجامعة أم درمان بالسودان، وجامعة الملك سعود بالرياض، وتوفي ﷺ عام ١٩٩٧م. ينظر ترجمته في:

السياسي الغربي باسم (Westernyation)، وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القوى المضادَّة التي تحفظ لهذه البلاد كيانها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمّها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضمان لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحرُّرها من نير الاستعمار الغربي ظاهريًا"[١].

وقد ذُكر مصطلح التغريب في معاجمهم الأجنبية، فهذا معجم أوكسفورد ذكر فيه الآتي:

"To Make an eastern country, Person, etc more like one in the west, esp in ways of living and thinking, institutions, etc".

أي جعْل الشرق تابعاً للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير[٢].

والذي كشف خطة التغريب منذ أكثر من ستين عاماً هو مستشرق كبير يدعى هاملتون جب، حين ألف مجموعة من المستشرقين كتاباً تناول معظم المواقع الإسلامية في إفريقيا وآسيا، وكشف في جرأة واضحة ولأول مرة أن الغرب قد أعد خطة لتغريب العالم الإسلامي، وإخراجه من مفهومه الأصيل بوصف الإسلام: ديناً ودولة ومنهج حياة ونظام مجتمع[٣].

والكتاب المقصود هنا هو **(وجهة الإسلام)** الذي ألفه خمسة من المستشرقين، وقد جمعهم هاملتون لهذه المهمة، وهذا يعني أن التغريب كمصطلح كان متداولاً بين الغربيين المستشرقين، بل

آدم، انتصـــار محمد أحمد، **محمد مصـــطفى هدارة وجهوده النقدية**، رســـالة دكتوراه من جامع أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، ٢١٠٢م.

(١) هدارة، محمد مصـــطفى، **نحو مفهوم متميز للأدب الإســـلامي: التغريب وأثره في الشـــعر العربي الحديث**، (مقالة من مجلة الأدب الإسلامي، مج.١، ع.٢، ١٩٩٣م)، ص٨.

(٢) OXFORD UNIVERSITY: OXFORD Advanced Learner's Dictionary, (oxford university press, fifth edition, 1995, 7th impression, 1999), P1355.

(٣) ينظر: الجندي، أحمد أنور سيد أحمد فرغلي، **تاريخ مصطلح التغريب**، (القاهرة: مجلة الهلال، رقم العدد:٢، تاريخ: ١/فبراير/١٩٩٣م) ص٦١.

إن خطة التغريب لم تقتصر على الدول المسلمة، وإنما خطتهم كانت تسمى بتغريب العالم[١].

المطلب الثالث: مفهوم التغريب عند المفكرين الإسلاميين

تعددت التعريفات والمفاهيم المتعلقة بالتغريب عند كل من علماء الشريعة وعلماء التربية والفكر، فمن تلك التعريفات ما ذكره الدكتور علي عبد الحليم محمود حين قال: "أن تتحول عادات الناس ووسائل تناولهم لحياتهم اليومية، إلى مثل ما عليه أهل الغرب من عادات وأنماط سلوك لا تنبع من الدين، ولا تمت لآداب الأديان بصلة"[٢].

وعرّف أنور الجندي ﷾ التغريب فقال: "صبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها من طابعها الإسلامي الخالص"[٣]. وقال أيضاً: "خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم، ولا سيما الحضارة الإسلامية"[٤].

ومن التعريفات كذلك، أن التغريب: "حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر الأممي"[٥].

ومن التعريفات الطريفة ما ذكره الدكتور محمد محمد حسين فقال: "طبع العرب والمسلمين

---

(١) ينظر: الجندي، **تاريخ مصطلح التغريب**، ص٦٤.

(٢) محمود، علي عبد الحليم، **وسائل التربية عند الإخوان المسلمين دراسة تحليلية تاريخية**، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١١هـ-١٩٩٠م) ص٤٩.

(٣) الجندي، **شبهات التغريب**، ص٥.

(٤) الجندي، **المرجع السابق**، ص١٣.

(٥) الراوي، فؤاد محسن، **الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي**، (عمّان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٣٣٤.

عامة بطابع الحضارة الغربية، والثقافة الغربية، مما يساعد على إيجاد روابط من الود بين الحمار وراكبه، وهي روابط تفيد الراكب دائماً، ولا تفيد الحمار"[1].

ومن خلال هذه التعريفات المنتقاة نستنتج ونخلص إلى أن الغرب يريد من الشرق عموماً، ومن العرب والمسلمين خصوصاً، أن تتحول حياتهم وعاداتهم وسلوكهم وثقافتهم وفكرهم إلى النمط الغربي، وأن يكون هذا التحول وهذا التقليد عن انبهار وإعجاب بحياتهم المادية والفكرية، والهدف من كل ذلك أن ينتهي الانتماء الإسلامي والعربي من الفرد والمجتمع الشرقي ليسهل التسلط عليه.

أما تعريف التغريب عند الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷾ فعلى الرغم من كثرة تطرقه في تفسيره لذكر مخططات أعداء الأمة من يهود ونصارى ومنافقين وتلاميذهم المتأثرين بهم، إلا أنني لم أجده يذكر تعريفاً للتغريب في أي موضع من تفسيره، وعليه فبعد الاستقراء، أعرض المواضع الآتية والتي تحدد معنى التغريب عنده، وهي:

في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٧-٤٨]، بيَّن الشيخ أن هذه الآيات تُذَكّر اليهود بنعم الله عليهم، ولكنهم تنكروا لها، ونقضوا العهود، وجَنَوا على التوراة، وقاموا بالمؤامرات المتواصلة على المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى اليوم، لم تنقطع ولم تفتر ولم تتغير إلا في الشكل دون الحقيقة، فهذا ديدنهم الدائم مع المسلمين عبر العصور، فرغم كونهم مضطهدين في فترة من الفترات، ولم يجدوا مكاناً يأويهم ويحفظ لهم حريتهم إلا عند المسلمين، إلا أنهم دسوا الدسائس

(١) حسين، محمد محمد، **حصوننا مهددة من داخلها**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، ص١٠١.

بين المسلمين وأعانوا المستعمر على الأمة، وأشغلوا الأمة بالخونة حتى تفرقت في زماننا[1].

وفي موضع آخر وضح الشيخ غاية هؤلاء اليهود ومن تبعهم أنها: إزاحة المسلمين عن العقيدة الحنيفية الأصيلة، وعن الأخلاق والشمائل المحمدية، وجعلهم يتعشقون الأخلاق والنظم الغربية والشيوعية[2].

إذاً خلاصة الأمر أن حركة التغريب من وجهة نظر الشيخ بناء على المعطيات السابقة هي: حركة يهودية في الأساس قد ساندتها عدة قوى من الشرق والغرب، وهدفها إزاحة العقيدة الإسلامية من قلوب المسلمين، وأن تتبع بل تعشق الأمة النظم الشرقية والغربية.

المطلب الرابع: أهداف التغريب

وضعت القوى الغربية هدفاً رئيساً لها من خلال مشروعها التغريبي، وهو القضاء على الوجهة الإسلامية، ووضعت لهذا الهدف الرئيس أهدافاً تفصيلية عديدة لتصل تلك القوى إلى مبتغاها النهائي من التغريب، ومن أبرز تلك الأهداف:

١- **أن يتخلى المسلمون عن دينهم وتاريخهم:** فنحن المسلمون نقع في مواجهة خطيرة مع الصهيونية العالمية والاستعمار والتغريب، فهم يحاولون جاهدين أن نتخلى عن ديننا وفكرنا وتاريخنا ولغتنا وقيمنا.

وقد حذَّر الشيخ الدوسري من أن يتخلى الإنسان عن دينه بسبب وساوس شياطين الإنس، ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:٥]، ذكر عدة معاني للعبادة والاستعانة ومن تلك المعاني: "أن عبادة الله ضرورة اجتماعية كما هي فطرة

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) ينظر: الدوسري، **المرجع السابق**، ج١، ص٢١٤، ٢٨٧، ج٢، ص٢١٥-٢٢٣.

أساسية في الإنسان ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [سورة الروم:٣٠]، لأنه لابد للإنسان منها، فإن سلك منهجها الصحيح كملت إنسانيته، وقويت شخصيته، وتحرر التحرر الصحيح الذي يرتفع به عن مستوى البهائم، وإن لم يسلك ما رسمه الله لعبادته في سائر نواحي حياته؛ فإن أمره سينعكس مهما حاول خلافه، فإنه إذا لم يحقق عبادة الله ويحصر اتجاهه إليه في كل شيء؛ استعبده الهوى والمادة، واستحوذ عليه شياطين الإنس بشتى أنواع المبادئ والمذاهب المادية والعصبية والنفعية، فتستعبده طواغيت الهوى وشياطين الإنس من اليهود وأذنابهم، كما حصل فعلاً لمن ينقاد ل (كارل ماركس، وتروتكسي) اليهوديين اللذين نبشا مذهب (مزدك) اليهودي القديم، أو من يقدس (نيتشه، وداروين، وفرويد) وغيرهم من طغاة اليهود وملاحدة النصارى، ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير دين يدين به، وشيء يتألهه، إلا إن استطاع أن ينخلع من كيانه ودوافعه أو ينتزع نفسه من الحياة الكونية"[١].

٢- **التبعية:** فالغرب يسعى لتكون الشخصية المسلمة شخصية تابعة للفرد الغربي في شتى المجالات، وتذويب شخصية الفرد العربي المسلم، وشخصية الجماعة العربية الإسلامية، في شخصية المستعمر الغربي، وبين أيدينا بروتوكولات صهيون[٢]، التي من خلالها تُعرف أبعاد حملة الغزو والتغريب التي تشنها القوى الاستعمارية والصهيونية على المسلمين، وكيف كان تركيزها على الفكر الإسلامي والثقافة العربية، ولهذا تقوم على تزييف الحقائق، وعلى تلميع الفكر الغربي ليعجب به المسلم، فيكون تابعاً ومسلّماً ومقلداً للغرب في شتى المجالات الثقافية

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص١١٥-١١٦.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون اسم لكتاب كثر حوله اللغط بين مشكك في صدق نسبته لليهود، وبين مثبت لذلك، فيرى البعض أنها مجموعة بحوث كتبها يهودي ثم أخذ في ترويجها اليهود لبث الرعب في قلوب مخالفيهم، إلا أنهم أحياناً يتبرؤون منها، ويرى آخرون أنها أفكار وضعها وجهاء اليهود خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الصهيوني عام ١٨٩٥م، واستطاعت مخابرات قيصر روسيا الحصول عليها وترجمتها. ينظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ج٢، ص٩٨٧-٩٨٨.

والأدبية والقومية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والتربوية والسياسية وكذلك اللغة، ومحاولات تذويب شخصية الفرد العربي المسلم، وشخصية الجماعة العربية الإسلامية، التي بدأها الاستعمار وقد واجهت مقاومة خلال الاحتلال، لكن بعد الاستقلال وبعد حصول الأمن، حصل التراخي وبدأ الاستعمار الثقافي(١).

يقول الشيخ الدوسري ﷺ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]: وإكمال الله لهذا الدين، وإيضاح بيانه وشموله لجميع حياة المؤمنين، هو إتمام من الله لنعمته الكبرى عليهم، التي هي أعظم من نعمة الإيجاد بكثير، فإنها النعمة التي تُمثل حقيقية الإنسان، بمميزاته الإنسانية الصحيحة، الرافعة له عن مستوى الحيوان، والتي إذا رفضها وانسلخ منها صار أحط من الحيوان، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾ [سورة الأنفال:٥٥]، فالذين لا يعقلون وحي الله، ولا يعملون به، فهم شر الدواب، ولا يجوز للمسلم أن يرتجي من هؤلاء الخير للإنسانية أبداً، ولا يثق بما قرروه من حقوق الإنسان، التي من وَضَعها هو أول كافر بها، ولا يجوز التعويل على أنظمتهم أو تقاليدهم، كما لا يجوز تقليدهم أو الاتقاء معهم في أدنى شيء، ولا يجوز الاغترار بما أبدعوه من المخترعات؛ وذلك لخبث أهدافهم، وسوء مقاصدهم، فإنهم يريدون الاستغلال، وغزو أسواق الخاملين المبذرين، لاستنزاف ثرواتهم وتمييع شخصيتهم(٢).

٣- **الحط من شأن العرب والمسلمين:** فقد تم التقليل من شأن الشخصية العربية المسلمة، والسعي

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٥٣، ١١٥-١١٧، ويمكن مراجعة فصل: (التبعية) من كتاب شبهات التغريب ص٣٧-٤٤.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ٩٩.

في تدمير الشخصيات النابغة في فكرنا وتاريخنا من سلف هذه الأمة، وإعلاء شأن الزنادقة، ومن اشتهروا بالانحلال الأخلاقي، وقد تطرق الشيخ الدوسري ﷺ لهذا الأمر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة البقرة:١٠٩]، فقال الشيخ: إن شأن الحاسد تمنيه أن يسلب محسوده النعمة ولو لم يصله شيء منها، لذلك سعى اليهود عبر المؤامرات والشبه لتشكيك المسلمين في الإسلام، ومن تلك المؤامرات التي تجعل الشباب يتنكرون لدينهم وأمجاد أمتهم وتاريخها، جعلهم يعتزون بالفراعنة(١).

٤- **ضرب العقيدة الإسلامية:** ومن أهداف الاستعمار والصهيونية العالمية ضرب العقيدة الإسلامية من خلال جمع كل المذاهب والأفكار المنحرفة عن المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وكل ذلك تحت مسمى (التغريب والغزو الفكري) ومن تلك المذاهب الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية، ودعوات التحلل والانحراف والزندقة والإباحية التي عرفتها عصور ما قبل الإسلام، وقد ساهم في إحياء هذه الأفكار التبشير والاستشراق ومعاهد الإرساليات وكثير من الصحف والدعاة والأسماء اللامعة(٢).

وفي هذا الإطار ذكر سيد قطب ﷺ في مقدمة حديثه عن سورة آل عمران، ما تحتويه السورة من قضايا ومحاور رئيسية، وذكر منها محور العقيدة، والصراع الحاصل بشأنها، فقال: "إن المعركة بين الأمة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة، وحتى حين يريد أعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنهم يحاولون أولاً أن يغلبوها

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٣٢.

(٢) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٢٢.

على العقيدة، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئاً والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها، ومن ثم يبذل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبارين في خداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال، وهم آمنون من عزمة العقيدة في الصدور، وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة، ولكن لنفس الغاية القديمة، ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٦٩]، فهذه هي الغاية الثابتة الدفينة، لهذا كان القرآن يدفع هذا السلاح المسموم أولاً، كان يأخذ الجماعة المسلمة بالتثبيت على الحق الذي هي عليه وينفي الشبهات والشكوك التي يلقيها أهل الكتاب، ويجلو الحقيقة الكبيرة التي يتضمنها هذا الدين، ويقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها في هذه الأرض، ودورها ودور العقيدة التي تحملها في تاريخ البشرية، وكان يأخذها بالتحذير من كيد الكائدين، ويكشف لها نواياهم المستترة ووسائلهم القذرة، وأهدافهم الخطرة، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين، لاختصاصهم بهذا الفضل العظيم"[(١)].

ويتحدث الشيخ الدوسري عن حقد أعداء الإسلام الذين يريدون زعزعة عقيدة المسلمين، فيقول عند تفسيره لآية: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٩]: يخبر الله عن الحقد الدفين في نفوس كثير من أهل الكتاب، حقداً يحدوهم إلى إضلال المسلمين، فيرمون الشبه حول القرآن والنبوة، ويقصدون من هذه الشبه التشكيك وزعزعة العقيدة[(٢)].

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٥٤.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص١٤٩-١٥٠.

٥- **السيطرة على خيرات المسلمين:** فديار المسلمين تتمتع بخيرات عديدة في البر والبحر، بسبب موقعها الاستراتيجي في قلب العالم القديم، وبإطلالتها على عدة بحار ومحيطات ومضائق، جعلتها تحوي العديد من الثروات المائية، وكذلك تتمتع بثروات زراعية وحيوانية، وتتميز بتعدد الأقاليم المناخية فيها مما ساعد ذلك على تنوع من تلك الثروات، وتتواجد في بطون أراضيها الثروات المعدنية كالبترول والغاز الطبيعي والفوسفات والحديد والرصاص وغير ذلك، فكل هذه النعم التي أنعم الله بها على الأمة، جعلتها محط أنظار الحاقدين والحاسدين من أعداء الملة والدين، لذلك فهم يسعون جاهدين ليل نهار للاستيلاء عليها، والاستفادة منها مستغلين ضعف المسلمين، وانشغالهم بأنفسهم.

وما تلك النعم إلا بإكرام من المولى سبحانه وتعالى للإنسان، قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة لقمان:٢٠]، يقول سيد قطب رحمه الله: من فضل الله على هذا الإنسان، وتكريمه له على كثير من خلقه، أن جعل له وزن في نظام الكون، وأن هيأ له القدرة على استخدام الكثير من طاقات هذا الكون وقواه، ومن ذخائره وخيراته، وهذا هو التسخير المشار إليه في الآية، في معرض نعم الله الظاهرة والباطنة، وسخر الله له ما في السماوات، فجعل في مقدوره الانتفاع بشعاع الشمس ونور القمر وهدي النجوم، وبالمطر والهواء والطير السابح فيه، وسخر له ما في الأرض، وهذا أظهر وأيسر ملاحظة وتدبراً، فقد أقامه خليفة في هذا الملك الطويل العريض، ومكنه من كل ما تذخر به الأرض من كنوز، ومنه ما هو ظاهر ومنه ما هو مستتر، ومنه ما يعرفه الإنسان ومنه ما لا يدرك إلا آثاره، ومنه ما لم يعرفه أصلا من أسرار القوى التي ينتفع بها دون أن يدري، وإنه لمغمور في كل لحظة بنعمة

الله السابغة الوافرة التي لا يدرك مداها، ومع هذا كله فإن فريقاً من الناس لا يشكرون ولا يذكرون ولا يتدبرون ما حولهم، ولا يوقنون بالمنعم المتفضل الكريم[1].

ومع هذا الإكرام الرباني للمسلمين بتلك الخيرات والنعم، إلا أنك تجد الطامع الذي يلهث وراءها من ماسوني حاقد وصليبي حاسد، يقول الشيخ الدوسري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:٥]، أحدثت الماسونية مذاهب اقتصادية هدفها إفقار الشعوب، وربط أرزاقها بأيدي طُغمة مفترسة للحكم بالخيانة والتسلط، لذلك أوجب الله على المسلمين استغلال الأراضي وعمارتها بزرع أو غراس أو بنيان ليعم الانتفاع بها ولا يقتصر على المالك الذي يقصد التكاثر، فضوابط الاقتصاد في الشريعة كفيلة بسعادة المجتمع ورفاهيته وحصوله على التقدمية الفعالة، لا التقدمية الكاذبة التي يزعمها المفسدون الذين ينهبون الأموال ويسعون إلى مصادرة الخيرات بضروب الإرهاب والكبت[2].

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص١٢٢.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣٣١-٣٣٢.

المبحث الثاني
وسائل التغريب

ويشتمل على خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: الوسائل الثقافية والفكرية للتغريب.**
- **المطلب الثاني: الوسائل التعليمية والتربوية للتغريب.**
- **المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية للتغريب.**
- **المطلب الرابع: الوسائل الاقتصادية والمالية للتغريب.**
- **المطلب الخامس: الوسائل السياسية والعسكرية للتغريب.**

تمهيد

قبل الشروع في وسائل التغريب، أعرج على نقطتين باختصار:

الأولى: للتغريب عوامل عديدة، منها الداخلية ومنها الخارجية، فمن العوامل الداخلية: البعد عن الكتاب والسنة، وضعف العلم الشرعي، وجمود الفكر، والركون إلى الدنيا، وغير ذلك.

والمتأمل في هذه العوامل يجدها ترجع إلى خلل داخل الأمة، وقد نبهنا القرآن الكريم على المصائب التي سببتها العوامل الداخلية، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [سورة آل عمران:١٦٥]، فهذه الآية نزلت عندما هُزم الصحابة ﷺ في غزوة أحد، فرغم كونهم أصحاب رسول الله ﷺ، وأصحاب المكانة العظمى، وكان بين أظهرهم أشرف الخلق، وهم يقاتلون صناديد الكفر

والطغيان، ومع ذلك هزموا في الغزوة، وتعلموا من تلك الهزيمة دروساً عظيمة، وتعلمتها الأمة من بعدهم، ومن أهم تلك الدروس: أن النصر لا يتحقق إلا بشرط، وهو طاعة الله ورسوله، قال القرطبي رحمه الله:"﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾، أي من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل، ونحن نقاتل في سبيل الله، ونحن مسلمون، وفينا النبي والوحي، وهم مشركون؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني مخالفة الرماة، ما من قوم أطاعوا نبيهم في حرب إلا نصروا؛ لأنهم إذا أطاعوه فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون"(١).

ولا تقتصر الهزيمة على الجانب العسكري مع العدو الخارجي، فالدوسري في تفسيره لهذه الآية قال: الذين لا يمثلون لأوامر الرسول الكريم في حياتهم، كيف لهم أن يطلبوا النصر من الله، ويقولوا كيف ننتصر على إسرائيل؟ وهم قد هُزموا من عدوهم الداخلي، فيتبعون كل منافق يعطل حكم الله، ويرمي الشريعة بالقسوة، ويزعم أن الدين مدعاة للتخلف والشقاق(٢).

وأما العوامل الخارجية للتغريب فمنها الاستعمار العسكري، والتبشير، والسيطرة على مؤسسات الأمة الثقافية والتعليمية والتربوية والإعلامية والاقتصادية وغيرها.

الثانية: في هذا المبحث، ستكون استشهاداتي لبيان وسائل التغريب مزيجاً من أقوال الشيخ الدوسري رحمه الله مع أقوال بعض علماء الأمة ومفكريها، حتى تتكامل الصورة وتتضح أغلب الوسائل، وستكون أغلب الاستشهادات على الوسائل التي طُبقت على المجتمع المصري في القرنين الماضيين، لما لهذه الحقبة في تلك البقعة من أهمية بالغة، حيث تتجلى تلك الأهمية بعدة أمور منها:

١- طول الفترة التي سعى فيها الغرب لمحاربة عقيدة وفكر المسلمين في مصر.

٢- تعدد الوسائل وأدوات الفساد المستخدمة على المجتمع المصري.

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، ج٥، ص٤٠٢.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ٤١١.

٣- شراسة المقاومة التي كانت من المصريين خواصهم وعوامهم.

٤- الأهمية الثقافية لمصر وعمقها التاريخي والفكري.

ولقد كان الشيخ الدوسري مطلعاً على أحوال المجتمع المصري، وعارفاً بالهجمات الشرسة التي يقوم بها أعداؤه، كنشر الأفكار الهدامة في أبرز مؤسساته التعليمية والإعلامية، وتسلطهم على بعض مفاصل الدولة، وقد وجه الشيخ رسالة في شهر رمضان المبارك عام ١٣٩١م للرئيس محمد أنور السادات في أول مرحلة حكمه، وحثه فيها على تطهير القيادات الفكرية قبل العسكرية، ونبه إلى أن الماسونية ألقت بثقلها على مصر لقوة تأثيرها في الميدان الثقافي والإعلامي، وأن الماسونية صنعت رجالات حشت أدمغتهم بسمومها وأبرزتهم في تلك الميادين، وجعلتهم يتبوؤون مناصب حساسة في الجامعات والصحف والمجلات، وسلطت عليهم الأضواء ليغتر بهم الشباب، فنصحه بتطهير تلك الميادين من كل ملحد، ورفض مشورة الماسونية ونبذ أفراخها ليكون من أنصار الله الصادقين معه، وختم رسالته بقوله: "فما يجدي المسلم صومه وصلاته إذا لم يقم بما أوجب الله عليه من النصح لله ولكتابه ولرسوله وعباده المسلمين"[١].

المطلب الأول: الوسائل الثقافية والفكرية للتغريب

المقصود بالغزو الفكري: هي "الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وما يتعلق بالعقيدة، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك"[٢].

والفكر الإسلامي خلال أكثر من مئة عام واجه الاستعمار الغربي الذي طرح العديد من

---

(١) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٢) محمد قطب، بن إبراهيم حسين الشاذلي، **واقعنا المعاصر**، (جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ص١٩٥.

النظريات والمفاهيم، وأصبحت اليوم بعد تكرارها من المسلمات التي لا تقبل النقاش، كالأمور المرتبطة بالتاريخ والفكر والعقائد واللغة، ولا يزال هذا التحدي قائماً، والمسلمون لن يتحرروا من الغزو الاستعماري الصهيوني المادي إلا إذا أزالوه نهائياً، ولن يزيلوا هذه الظلمة إلا بمناراتهم التي تسرج من قرآنهم، ولقد واجه المسلمون من قبل مثل ذلك، كما حصل عندما ترجمت آثار الفكر اليوناني، فدفع الفكر الإسلامي خطرها وذلك بجهود العلماء كالأشعري وابن حزم والغزالي وابن تيمية رَحِمَهُمُ اللهُ[1].

ومن الشواهد التاريخية التي تدل على تركيز العدو على فكر المسلمين وعقيدتهم؛ ما حصل في الحروب الصليبية عندما أُسر لويس التاسع ملك فرنسا على يد المسلمين، بعد هزيمته في حملته الصليبية، وسجن لفترة، ثم افتداه قومه وفكوا أسره، وفي أثناء سجنه أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، ثم قال لقومه: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم"[2].

وقد أكد الشيخ الدوسري رَحِمَهُ اللهُ هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة النساء:٢٧]، فقال: "الواجب على أمة محمد ﷺ أن يحاربوا الثقافة الاستعمارية الزائفة أعظم من محاربته عسكرياً؛ لأن الاستعمار الثقافي أنكى وأفظع"[3].

ويمضي الشيخ محذراً من الغزو الفكري في موضع آخر فيقول: "قال الله عن أعدائنا: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [سورة النساء:٨٩]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٠٥.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٩٦.

(٣) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٠٣.

﴿يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [سورة البقرة:٢١٧]، فهم لا يكفيهم العمل على إبقاء نفوذهم واستمرارهم على اغتصاب سلطان الله فحسب، بل يعملون على فتنة المسلمين بالحرب العسكرية والحرب الفكرية، ليصدوا المسلمين عن واجبهم؛ وليعملوا على زحزحتهم عن دينهم من ناحية أخرى بأنواع الغزو الفكري الفاتن لهم، المفسد لقلوبهم، المخبط لأدمغتهم، المصادر لعقولهم، وهو الذين أجمل الله اسمه بالفتنة، وحكم عليها بأنها أشد من القتل وأكبر"[١].

وبعد هذه المقدمة نعرض أبرز الوسائل التي اتخذها الغرب لهدم ثقافة وفكر الأمة، وهي على النحو الآتي:

١- الترويج للمفاهيم المغلوطة:

فقد سعى المستعمر إلى إحلال بعض المفاهيم الدخيلة بدلاً من المفاهيم الأصيلة التي يراد إبعادها في مجال الحياة والفكر، ومن تلك المفاهيم نظريات التطور والحرية والعقلانية، ومفهوم القيم والتقدم والتجديد، وغير ذلك، فمثلاً نظرتهم للعقلانية والعلم أنها تجعل التطور مذهباً لا سبيل لمعارضته، أما العقلانية بمفهومها الصحيح فإنها تكون متكاملة؛ على العقل والروح، والعلم والدين، والعقل جهاز كاشف، ولكنه يسير وفق الوحي، ومن المفاهيم التاريخية الزائفة في الفكر الإسلامي التي روج لها النفوذ الأجنبي عبر أبحاثه ومؤلفاته ومناهجه الدراسية؛ وصف حملات الاستعمار على أفريقيا وآسيا على أنها طلائع الكشوف الجغرافية، وأن البرتغالي هنري الملاح مستكشف عظيم، وأن فاسكو دي جاما رحالة مخلص للعلم، ولم تذكر الحقائق من أن هؤلاء تلطخت أيديهم بدماء المسلمين، ومن المفاهيم المغلوطة كذلك الزعم بأن دولة الخلافة العثمانية ما هي إلا احتلال أو استعمار تركي للمناطق العربية[٢].

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٣٨.

(٢) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٤٩، ١٧٩-١٨٠، ١٠٩-١١٤.

ومن الأفكار التي روجها هؤلاء وشكلت مفاهيم مغلوطة للمسلمين؛ الفصام بين العروبة والإسلام، وأنه يمكن الفصل بينهما، وأن الدين الإسلامي ليس مرتبطاً بالعرب ولغتهم، وكذلك الخلط بين الثقافة والحضارة في الاصطلاح، والصواب أن الثقافة فكر والحضارة مادة يملكها كل البشر ويتشاركون فيها.

ومن مكرهم؛ دعم التوسع في تعلم العلوم المادية على حساب العلوم الإنسانية، ودعوى الفصل بين الماضي والحاضر، وعزل الثقافة والأدب والفكر في حاضرها عن جذورها، وكذلك الترويج للقول بأن نهضة العالم الإسلامي بدأت بوصول الحملة الفرنسية، والإرساليات التبشيرية، والحملات الاستعمارية، والقول بأن انحطاط المسلمين والعرب يرجع إلى ارتباطهم بالإسلام(١).

ومن دسائس التبشير والاستعمار ترويج مصطلح العصور الوسطى في مدارس المسلمين وكتبهم، والمقصود بها الحقبة التاريخية التي سقطت فيها الإمبراطورية الأوروبية الشرقية على يد الأتراك العثمانيين، وأن هذه العصور عصور انحطاط وجهل، وبهذا التعبير جُعلت الحضارة البشرية مرتبطة بالجنس الأوروبي وحده(٢).

ومن حيلهم التشكيك في عالمية الإسلام واتساعه ومرونته وقدرته على مواجهة التحديات عبر التاريخ، وقدرته على العطاء للحضارة البشرية، وأن الإسلام قام بدوره في تلك الحقبة التاريخية التي انقضت، فهم بذلك يريدون غرس مفهوم أن الإسلام ليس الدين الخالد إلى يوم القيامة، ويصورن الأنبياء على أنهم مصلحون وأبطال استوعبوا فكر أمتهم(٣).

يقول الشيخ الشعراوي ﷺ عن الذين يريدون أن يتعاملوا بالربا لأن تحريمه لا يتوافق مع

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٣٥٣-٣٦١.

(٢) ينظر: شـــاكر، محمود محمد، **أباطيل وأســـمار**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص٣٢٣.

(٣) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٢٩٥،٢٤٣.

هذا العصر: "وحين نقول: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان يجب أن نفهم هذه القضية جيداً، وإياك أن تقول: إن الإسلام لا يصلح في زمان كذا، أو في مكان كذا، والآن نسمع البعض ينصرف عن منهج الإسلام ويقول لك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٨٦]، أي: ليس في وُسْعه الآن تنفيذ شرع الله، لكن نقول له: مَن الذي يحدد الوُسْع؟ أنت أم المشرِّع سبحانه؟ ما دام الله تعالى قد كلَّف، فاعلم أن التكليف في وُسْعك، فخذ الوُسْع من التكليف، لا أن تُقدِّر أنت الوسع وتنسى ما كلَّفك الله به، لذلك ترى أن الله تعالى إذا ضاق الوُسْع يُخفِّف عنك دون أنْ تطلب أنت التخفيف، كما في صلاة وصوم المريض والمسافر.. إلخ وكما في التيمم إنْ تعذَّر استعمال الماء، فلا معنى لأن نقول: إن تعاليم الدين لا تناسب العصر، إذن: اجعل العصر هو المشرِّع، وانصرف عن تشريع السماء إلى ما يحتمله العصر.

لذلك قلنا: إن الحق سبحانه حينما يلقي تكاليفه يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [سورة الأنعام:١٥١]، فمعنى ﴿تَعَالَوْاْ﴾ ارتفعوا عن مستوى أهواء البشر، وتعالوا إلى تكاليف الله، فإنْ هبطت بالتكاليف إلى مستواك، وقُلْت ظروف العصر تحتم عليَّ كذا وكذا فقد أخضعتَ منطق السماء لمنطق الأرض، وما جاء منطق السماء إلا ليعلو بك"[1].

ومن الدعوات العجيبة في هذا النطاق ما زعمه بعض دعاة القومية العربية، حيث ذكروا أن العرب كانوا وشيكين من ذوات أنفسهم على التجمع القومي وطرد الفرس والروم، وتشكيل ثورة اشتراكية من الفقراء على الأغنياء، وهذا زعم فارغ، لأن التجمع القومي المتوقع الذي زعموه لم تكن له أي بوادر بين القبائل، ولا الثورة الاشتراكية كذلك، وإنما غايتهم من هذا الطرح التقليل من شأن

---

(١) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي (خواطر)**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م)، ج١٨، ص١١٤٦٤.

عقيدة الإسلام التي جمعت العرب ووحدتهم وجعلتهم ينتصرون على باقي الأمم، والأمر لا يقتصر على العرب فقط بل كل الأمم والشعوب التي تجمعت ولم تقم على الدين الحق؛ مصيرها إلى التخبط ثم الزوال، ومن أبرزها التجمع الروماني القديم، وكذلك رابطة الشعوب البريطانية، والتجمع الأمريكي (الولايات المتحدة لأمريكية) والاتحاد السوفييتي، وقد شرح محمد قطب ﷺ عوار تلك التجمعات في كتابه **(واقعنا المعاصر)**[1].

وها هو الشيخ الدوسري ﷺ يسرد بعضاً من تلك المصطلحات والمفاهيم عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٢]، فيقرر أن كل مغرض يسعى لهدم الدين يتذرع بدعوى الإصلاح والعمل على رفع الظلم وإزالة البؤس بحجة الحرية، ويرى الصد عن دين الله إصلاحاً، زاعماً أن هذا الدين مخالف لتراث الأجداد، وأنه مفرق للصفوف، كما يرى أن موالاة الكفار دون المؤمنين إصلاح لأحوالهم، وتقوية للوحدة الوطنية، ويستبعد الدين عن جميع شؤون الحياة، ويحصره في المسجد، لأنه لا يصلح للعصر ولا يساير التطور، ويسمي الخلاعة وإباحة الخمور، واختلاط الجنسين، والتبرج، والتعري، وبث المراقص والمسارح، رقياً ومسايرة لروح العصر والتقدم، وإباحة الزنى، وبث سائر أنواع الفحشاء والمنكر حضارة[2].

٢- الاهتمام بحضارات ما قبل الإسلام:

فقد "اهتم التغريب بدراسة عالم ما قبل الإسلام، وإحيائه في صورة الفرعونية، والجاهلية، والوثنية، والفارسية المجوسية القديمة، وإحياء الحديث عن الحركات الهدامة كالباطنية، والقرامطة، والخُرَّميَّة، والبابكيَّة[3]، والتوسع في دراستها، وكذلك إسقاط دور الحضارة الإسلامية في التاريخ

---

(١) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٥١، ٥٨.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٤-٢٥.

(٣) **البابكية:** هي فرقة من الخرمية، ظهرت قبل الإسلام واستباحت المحرمات، وزعمت أن الناس شركاء في الأموال والنساء، وظهرت أيضاً في دولة الإسلام، واتبعت بابك الخرمي، الذي ظهر في ناحية أذربيجان، وكثر

العالمي إسقاطاً كاملاً، ومحاولة تجاهلها وإنكار أثرها في الغرب وفي الحضارة الحديثة"[1].

وقد ذكرنا في أهداف التغريب تفسير الشيخ الدوسري ﷺ لقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة البقرة:١٠٩]، وأشار إلى سعي اليهود عبر المؤامرات والشبه لتشكيك المسلمين في الإسلام، ومن المؤامرات التي تجعل الشباب يتنكرون لدينهم وأمجاد أمتهم وتاريخها، جعلهم يعتزون بالفراعنة[2].

٣- التلقيح الثقافي للفكر الإسلامي:

وقد عبَّر بهذا المصطلح أنور الجندي ﷺ وقصد به: "إخضاع نصوص القرآن والشريعة لأنماط الغرب، وفتح باب التأويل في مصطلحات وكلمات اللغة العربية"، وخلال هذا التلقيح بدأت محاولات العبث بالشريعة، فنُشر من الزيف عن القرآن والسنة عبر منصاتهم ومنابرهم ما لا يحصيه أحد، ومن الأمثلة على زيفهم ما قالوه عن القرآن الكريم، من أنه انطباع في نفس محمد ﷺ، وهذه إشارة منهم على أنه كلام من عند النبي ﷺ وليس وحياً من السماء، ويدسون السم بالعسل بقولهم إن هذا التعبير دلالة على عبقرية النبي ﷺ، وغايتهم من هذا القول هي قطع الصلة بين المسلمين والقرآن، لأنه لو كان كلامه ﷺ لبقي على أنه كلام بشر، فبذلك يفقد معناه الأسمى وجلاله الأعظم[3].

بها أتباعه، واستباحت المحرمات كذلك، وقد قتلوا الكثير من المسلمين. ينظر: البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد، **الفرق بين الفرق**، (بيروت: دار المعرفة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ص٢٣٩.

(١) الجندي، **شبهات التغريب**، ص٧.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٣٢.

(٣) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٦٩، ٢٣٢.

ومن نماذج تطاولهم على القرآن الكريم ما قاله لويس عوض[1] حين فسر قول الله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الرحمن:٣٧]، قال: إنها روزا مستيكا[2].

وسبب تركيزهم في إلقاء الشبه على القرآن الكريم؛ علمهم أن سبب قوة أي جيل هو هذا القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء:٩]، يقول ابن عاشور ﵀: وقد جاءت هذه الآية تنفيساً على المؤمنين من أثر القصص المهولة التي قصت عن بني إسرائيل، وما حل بهم من البلاء مما يثير في نفوس المسلمين الخشية من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، فأخبروا بأن في القرآن ما يعصمهم عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل إذ هو يهدي للطريق التي هي أقوم مما سلكه بنو إسرائيل، ولذلك ذكر مع الهداية بشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ونذارة الذين لا يؤمنون بالآخرة، و﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ صفة لمحذوف دل عليه يهدي، أي للطريقة التي هي أقوم؛ لأن الهداية من ملازمات السير والطريق، أو للملة الأقوم، وفي حذف الموصوف من الإيجاز من جهة، ومن التفخيم من جهة أخرى ما رجح الحذف على الذكر، والأقوم: تفضيل القويم، والمعنى: أنه يهدي للتي هي أقوم من هدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة الإسراء:٢]، ففيه إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة

---

(١) أديب وناقد مصري، ولد في المينا عام ١٩١٤م وتوفي ١٩٩٠م، بعد تخرجه من الثانوية التحق بكلية الأدب قسم اللغة الإنجليزية، وتأثر أثناء دراسته بطه حسين عندما كان يزور قسم اللغة العربية، وكان يحضر له ليتعلم النقد والشعر العربي، بعدها عمل في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة ثم أُقصى منها عام ١٩٥٤م، وكانت له مشاركات شعرية وكتابات في صحيفتي الأهرام والجمهورية. ينظر في ترجمته: سعيد عدنان، **لويس عوض ناقداً**، (مجلة القادسية في الأدب والعلوم التروية، العدد:١، مجلد٨، ٢٠٠٩م)، ص٥-١٢.

(٢) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٣٠١. معنى روزا مستيكا: إحدى الألقاب التقليدية التي أطلقت على مريم العذراء عند النصارى، والله أعلم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾، قال ابن كثير ﵀: "تتلون كما تتلون الأصباغ التي يُدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم" ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ج٤، ص٢٢٤٥.

عن الطريق الأقوم؛ لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكاً إلى ناحية من نواحي الأخلاق، والطبائع إلا سلكه إليها تحريضاً أو تحذيراً، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه، وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى، وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة(١).

٤- دمج الفكر الإسلامي بأفكار الأمم الأخرى، أو ربطه بها:

فقد سعت القوى الاستعمارية إلى القضاء على الشخصية العربية الإسلامية، وتذويبها في فكر الأمم وباقي الحضارات، بدعوى توحيد الفكر البشري، أو بزعمهم أن الفكر الإسلامي مستمد من الفكر اليوناني الإغريقي، والحق أن الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم، تكوَّن قبل أن يلتقي المسلمون بالإغريق، فلما جاء الفكر اليوناني المترجم، نظر المسلمون فيه، وأخذوا منه ورفضوا، وكان مقصدهم من تطلعهم إلى التراث اليوناني هو العلوم الطبيعية والرياضية لا اللاهوتية(٢).

٥- الغرق في الحياة المادية:

فهم يريدون من المسلمين أن يغرقوا معهم بالحياة المادية التي لا تهتم بالروح ولا بالأخلاق، فالمادية وحدها لن تكون بأي حال أساساً لبناء المجتمع البشري، وكل حضارة تبدأ من نقطة التحرر والانفلات من الضوابط والقيم الأخلاقية فلا بد لها أن تنهار، وهذه سنة كونية، والتاريخ يشهد بذلك، والآن تمر الحضارة الغربية في طور من التدهور والانحلال الذي مرت به الحضارات السابقة، من

---

(١) ينظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م) ج١٥، ص٤٠.

(٢) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٥٣، ١٧١.

أجل هذا كانت فنون الصناعة والاقتصاد وغيرها من المعارف غير كافية لتوفير الاستقرار والسعادة للإنسانية، ذلك أن الروابط الروحية هي العمد التي يقوم عليها صرح المجتمع ويتماسك بناؤه، وبالمقارنة بين القيم في الإسلام والقيم عند الغرب نجد أن القيم التي يقدمها الإسلام هي قيم الفطرة والعقل والعلم في إطار متكامل، والقيم الغربية هي قيم جزئية قوامها المادة والنفعية والوثنية، وللإنسانية أن تعرف أين الخير والحق الذي تمضي إليه؟[1].

يعلق الشيخ الدوسري على حال الذين يعيشون للحياة المادية البهيمية الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [سورة محمد:١٢]، فيقول: "لقد أثبتت التجارب أن طلب العلوم والفنون مع إهمال النفس عن التربية الدينية المحمدية لا يجدي نفعاً ولا يحل مشكلاً بل يتكون منه عالمٌ ماديٌ لا هم له سوى النفعية والوصولية بأي شيء كان وعلى أي حساب كان"[2].

إن المؤسسات التغريبية تسعى بخيلها ورجلها وعبر أبواقها لترسيخ حياة الترف والتحلل والإباحية، والتي من شأنها أن تحول دون تحقيق بناء الأجيال، وتريد أن تجعل هذا الجيل في موضع اليأس والقنوط من تراثه، وتزين للشباب الانفلات من قيود الأخلاق، والانسلاخ من الإسلام جملة، وتروج للانحلال الأخلاقي عبر نظريتهم الاجتماعية (نسبية الأخلاق) التي يتزعمها صاحب مدرسة العلوم الاجتماعية، اليهودي الفرنسي دوركايم، وتعني النظرية: عدم وجود أخلاق مطلقة، فليس هناك صواب وخطأ أخلاقي، لأنها تتفاوت تبعاً للفرد والزمان والمكان، وهذه النسبية تجعل المجتمع هشاً سريع الانحلال والذوبان، فالأخلاق المطلقة هي التي تجعل المجتمع متماسكاً، لذا لا بد أن تكون هناك قضايا أخلاقية مجمع على صوابها وخطأها، فالرشوة مثلاً وإن كانت قضية

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٢٨.

إيمانية فهي كذلك قضية أخلاقية، وإنه عمل مشين يؤدي إلى فساد المجتمع وينبغي أن يرفض من الكل[١]، وأيضاً ما يتعلق بنشر ثقافة الأزياء الغربية في المجتمعات المسلمة، فعلى فلسفتهم الأزياء تتغير معاييرها الأخلاقية بحسب المكان والزمان، فالأزياء التي كانت محرمة أو فاضحة في زمن قد تكون مباحة ومحببة في زمن آخر.

٦- **تأثير حركات الترجمة على الفكر الإسلامي:**

فمن التأثير الفكري في السابق ما حصل في العصر العباسي عندما نشطت حركة الترجمة من الإغريقية واللاتينية، فنقل النافع والضار، كالفكر العقلاني التجريدي، الذي يضخم دور العقل، حتى أصبح هو الحكم في كل شيء، وبسبب نقل هذا الفكر بين المسلمين نشأت فرق كثيرة أحدثت تخبطات في فكر المسلمين، كفرقة المعتزلة الذين جعلوا العقل هو المحكم على الوحي، وليس فكرهم هو الوحيد الذي نشأ بسبب العقلانية الإغريقية، بل كل الأفكار والفرق التي خاضت في قضايا الصفات، وقضايا القضاء والقدر والجبر والاختيار[٢].

ولا تزال هذه الترجمة العشوائية قائمة في العصر الحديث، ولهذا حدثنا الدكتور محمد حسين عن أعمال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية، وترجمتها وطباعتها للعديد من الكتب الأوروبية والأمريكية، فيقول: الأصل في معيار انتقاء أي مادة وترجمتها ونشرها هو مصلحة العرب، لأنهم أقدر الناس على إدراك ما يصلحهم وينفعهم، لكن الحقيقة أن من اختار ما يترجم هو السفارة الأمريكية واليونيسكو![٣].

---

(١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م)، ص٣٣٥-٣٤٨. وينظر: بقنة، مبارك عامر، **نقض المذهب النسبي**، موقع صيد الفوائد، https://www.saaid.net/Minute/١٦٦.htm ، تاريخ الرجوع للموقع: ١٠/فبراير/٢٠٢٠.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٢٦-١٢٧.

(٣) ينظر: محمد حسين، **حصوننا مهددة من داخلها**، ص١١٩-١٢٠.

إذاً فمحاولات فتح باب الترجمة على مصراعيه دون التمييز بين ما هو غث وما هو سمين، وبين ما تحتاج إليه الأمة وما لا تحتاج إليه، ومن غير مراعاة للتأثير السلبي على الفكر الإسلامي؛ كان سعياً منهم لخلق مرحلة مشابهة لما حصل سابقاً عندما ترجمت الفلسفة اليونانية، وهدفهم هو إغراق الفكر الإسلامي والثقافة العربية في بحار متلاطمة[1].

٧- **التخلف العقدي:**

يؤكد محمد قطب ﷺ أن التخلف العقدي هو الذي سبَّب التخلف في جميع الميادين، ومنها الفكري والثقافي، وقد زعم الدجالون أن سبب تخلف المسلمين هو الدين الإسلامي، ويستدلون على ذلك بتاريخ الكنيسة في أوروبا، وأن أوروبا كانت متخلفة في كل الميادين ومنها الميدان الفكري والثقافي[2].

وبعد إسهابه في الكلام عن التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والفكري والثقافي؛ ختم كلامه ﷺ فقال: "حين حدث هذا القدر الهائل من التخلف العقيدي أولاً، ثم العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والثقافي والفكري، فماذا بقي؟ إسلام بلا أخلاق، إسلام بلا حضارة، إسلام بلا علم، إسلام بلا ثقافة ولا فكر، إسلام متهالك القوى الاقتصادية والحربية والمادية، ماذا بقي فيه من حقيقة الإسلام؟ فأما الفكر الإرجائي فقد رضي عن هذا الإسلام المتخلف المتهالك وقال: لا ضير، لأنه لا يضر مع الإيمان شيء، وأما الفكر الصوفي فقد رضي كذلك عن هذا الإسلام المتخلف المتهالك وقال: لا ضير، فهذه كلها من أمور الدنيا الفانية، وليس المهم هو الدنيا إنما هو الآخرة، ليس عالم المادة وإنما عالم الروح، وأما بالنسبة لحقيقة الإسلام، فقد كان هذا الإسلام المتخلف المتهالك يوشك في الحقيقة أن يصبح إسلاماً بلا إسلام، وعندئذ أقبل الصليبيون

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٢٨٦.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٨٤.

من كل حدب ينسلون"[1].

ويقول سيد قطب ﷺ في حديثه عن حقيقة عداء أهل الكتاب للمسلمين: والله سبحانه يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة، وهو يقول لرسوله ﷺ في السورة الأخرى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، ويقول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة المائدة:٥٩]، وهذه الحقيقة التي يقررها الله، هي التي يريد تمييعها وتلبيسها وتغطيتها وإنكارها اليوم كثيرون من أهل الكتاب، وكثيرون ممن يسمون أنفسهم مسلمين باسم تعاون المتدينين في وجه المادية والإلحاد كما يقولون، وقطاع مؤثر من أهل الكتاب يريدون اليوم تمييع هذه الحقيقة بل طمسها وتغطيتها، لأنهم يريدون خداع سكان الوطن الإسلامي وتخدير الوعي الذي كان قد بثه فيهم الإسلام بمنهجه الرباني القويم، ذلك أنه حين كان هذا الوعي سليماً لم يستطع الاستعمار الصليبي أن يقف للمد الإسلامي، فضلاً على أن يُستعمر الوطن الإسلامي، ولم يكن بد لهؤلاء بعد فشلهم في الحروب الصليبية، وفي حرب التبشير أن يسلكوا طريق الخداع والتخدير، حيث أشاعوا بين ورثة المسلمين، أن قضية الدين والحرب الدينية قد انتهت، وأنها كانت مجرد فترة تاريخية مظلمة عاشتها الأمم جميعاً، ثم تنور العالم فلم يعد من اللائق أن يقوم الصراع على أساس العقيدة، وإنما الصراع اليوم على المادة، على الموارد والأسواق فحسب، وحين يطمئن أهل الكتاب وهم الذين يستعمرون أوطان المسلمين إلى استتامة هؤلاء لهذا التخدير، وحين تتميع القضية في ضمائرهم، فإن المستعمرين يأمنون غضبة المسلمين لله وللعقيدة، الغضبة التي

---

(١) محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٨٦.

لم يقفوا لها يوماً، ويصبح الأمر سهلاً بعد التنويم والتخدير، ولا يكسبون معركة العقيدة وحدها، بل يكسبون معها ما وراءها من المغانم والاستثمارات والخامات، ويغلبون في معركة المادة بعد ما يغلبون في معركة العقيدة.

ونحن نلاحظ أن عملاء أهل الكتاب في الوطن الإسلامي، ممن يقيمهم الاستعمار علانية أو في خفية، يقولون القول نفسه لأنهم عملاء يؤدون الدور من داخل الحدود، وهؤلاء يقولون عن الحروب الصليبية ذاتها: إنها لم تكن صليبية، ويقولون عن المسلمين الذين خاضوها تحت راية العقيدة: إنهم لم يكونوا مسلمين وإنما هم كانوا قوميين، وفريق ثالث مستغفل مخدوع يناديه أحفاد الصليبيين في الغرب المستعمر: أن تعالوا إلينا، تعالوا نجتمع في ولاء، لندفع عن الدين غائلة الملحدين! فيستجيب هذا الفريق المستغفل المخدوع، ناسياً أن أحفاد الصليبيين هؤلاء وقفوا في كل مرة مع الملحدين صفاً واحداً، حينما كانت المواجهة للمسلمين على مدار القرون وما يزالون، وأنهم لا يعنيهم حرب المادية الإلحادية قدر ما تعنيهم حرب الإسلام، ذلك أنهم يعرفون جيداً أن الإلحادية المادية عرض طارئ وعدو موقوت، وأن الإسلام أصل ثابت وعدو مقيم[1].

٨- قضية إفساد المرأة باسم الحرية الشخصية:

فقد أعطت الحضارة المعاصرة للمرأة حق الفساد والتبذل باسم الحرية الشخصية، وسمحت بترجيل المرأة وإفساد أنوثتها وهي تنفخ في كيانها باسم المساواة مع الرجل، وعملت الحضارة على إحراج صدر المرأة من قوامة الرجل، وجعلتها تنظر إليها على أنها عدوان على كيانها وكرامتها، وخرجت بها هذه الحضارة عن الحكمة التي خلق الله بها الزوجين، وجعل العلاقة بينهما سكناً ومودة ورحمة، فانقلبت قلقاً وخصاماً وفرقة[2].

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص٩٢٤-٩٢٥.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٥١٢.

وللشيخ الدوسري ﷺ تعليق نفيس في قضية تحرير المرأة، فعند مناقشته لمسألة خروج المرأة للحج من غير محرم عند آيات الحج قال: "فعلى المسلمين أن يتقوا الله في نسائهم وعوراتهم، ويعتبروا إذا كان الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام لا تؤديه المرأة إلا مع ذي محرم، ويسقط عنها إذا عدمت محرماً، فكيف بالتي يسمح لها أولياؤها بالسفر إلى بلاد الكفر والخلاعة والإباحية لغرض ليس بركن من أركان الإسلام بدون محرم؟ وغرضها أقصى ما يكون حكمه الإباحة أو الندب، ولكن التربية الماسونية المادية الحديثة أرخصت على الناس أعراضهم، وذلك لقلة تقوى الله في القلوب"(١).

وختاماً فإن المأساة تكمن في أن من تولى كبر هذا الصراع في ميدان الثقافة والفكر، هم رجال من بني جلدتنا، ينطقون بلساننا، ويزيد الأمر بشاعة، أن الذين هم هدفٌ للتدمير والتمزيق، لا يدركون أن هذه الميادين هي أخطر ميادين هذه الحرب الخسيسة الدائرة في ساحاتنا الثقافية وعلى كامل النطاق الجغرافي لأرضنا.

المطلب الثاني: الوسائل التعليمية والتربوية للتغريب

تعجب الغرب عندما رأوا أمماً مختلفة الأجناس والألوان والألسنة، من روسيا إلى الصين إلى الهند إلى فارس إلى تركيا إلى بلاد العرب إلى شمال أفريقيا إلى أوروبا نفسها، تتلوا كتاباً واحداً يجمعها، فقرروا دراسة هذه الظاهرة الخارقة عن طريق إرسال المستشرقين، ليخوضوا من خلالهم حرباً على القرآن الكريم، الذي هيمن على قلوب هذه الشعوب المختلفة، وجعلها أمة واحدة، تعدُّ العربية لسانها، وتعدُّ تاريخ العرب تاريخها، فبدأ الغزو المسلح، وسار الاستشراق تحت رايته، وزادت

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٠٢.

الخبرة بهذه الأمم، وتبين لهم ألا وسيلة إلى إقصاء القرآن الكريم إلا بالسيطرة على التعليم[١].

لذلك كثف الغرب جهوده التخريبية في المسار التعليمي على ديار المسلمين عموماً وعلى مصر بشكل خاص، فعندما حاول نابليون أن ينحي الشريعة الإسلامية ويضع قانوناً باسمه لمصر، لم يستطع في البداية بسبب إباء الأمة المصرية المسلمة، لكن في عام ١٨٨٢م استطاع الإنجليز تنحية الشريعة الإسلامية، والسبب في ذلك، أنهم مند قدوم نابليون عام ١٧٩٨م وهم يتبعون سياسة التغريب التي اتبعها محمد علي، وورثها من بعده أبناؤه، وقد بذروا تلك البذرة منذ ذلك الحين، وتم جني الثمار بعد أكثر من ثمانين عاماً، ومن أبرز معالم هذه السياسة، الابتعاث وتواجد المدارس التبشيرية التي تعلم فيها أبناء المسلمين، وتعليم الأبناء بعض السلوكيات التي تعلموها من المعلمين[٢].

ونستطيع حصر عملهم في هذا المجال من خلال ثلاثة اتجاهات، وهي:

١ – المدارس:

تعد المدرسة المحضن الرئيسي للأجيال، ومن أهم الوسائل لتغيير الأفكار، بل حتى المعتقدات، لذلك ركز الغرب على تشييد المدارس ودعمها بالمال وبالمعلمين المتأثرين بهم، تقول المبشرة أناماليجان عن التعليم: "إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل الذين سيصبحون يوماً ما قادة أوطانهم"[٣].

ومما يدل على استهدافهم للمدارس واهتمامهم بها ما حصل في مؤتمر المبشرين بالقاهرة عام ١٩٠٦م، فقد كانوا مستائين من ضعف الإقبال على دينهم رغم فتحهم للمستشفيات والمدارس

---

(١) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص١٢٨–١٣٠.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٣٠٥.

(٣) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٢٠١–٢٠٣.

والملاجئ، وبذلهم الأموال الطائلة التي صرفت، ولم يؤمن بدينهم إلا طفل صغير تم خطفه من أهله، أو رجل كبير جاء لأجل المال ولا تضمن عقيدته بعد ذلك، فقام الأب زويمر في المؤتمر مخاطباً الحضور، وقال: "ليست مهمتنا هي تنصير المسلمين، فهذا شرف ليسوا جديرين به، ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وفي ذلك نجحنا نجاحاً باهراً بفضل مدارسنا التبشيرية، والسياسة التعليمية التي وضعناها للبلاد الإسلامية"(١).

وفي تلك الفترة برز اسم القسيس المستر دنلوب، وهو أبرز مؤسسي المدارس التبشيرية والتغريبية في مصر، فقد عينه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف، وكان يهدف دنلوب لضرب مؤسسة الأزهر عن طريق فتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية ولا تعلم الدين أو تعلمه تعليماً هامشياً، وأصبح المتخرج في هذه المدارس هو من يحظى بالمكانة الاجتماعية والرواتب العالية، أما خريج الأزهر فلا يجد العمل، وإن وجد فبراتب زهيد جداً، وبسبب هذه الخطة طويلة الأمد، فَقَدَ الأزهري قيمته الاجتماعية التي كان يجدها سابقاً، حيث كانت الأسر تتسابق لانتساب أبناءها فيه، ويلقى خريج الأزهر التبجيل والإكبار ويصبح محط الأنظار، أما في عهد دنلوب فلم يعد يذهب للأزهر إلا الفقراء الذين يعجزون عن دفع مصروفات المدارس الحديثة، وأصبح خريجو المدارس الحديثة هم الطبقة الجديدة في المجتمع، والطبقة الصاعدة(٢).

وكان دنلوب يهدف من خلال مدارسه إلى شق الأمة إلى شقين؛ شق يدور في فلك ثقافته، وهم أعوانه الذين كونهم خلال تلك السنين من أبناء المسلمين وأصبح لهم الاحترام والتمكين، وشق متحير في ثقافته، يتشكك فيه يوماً بعد يوم، وتلقى عليه تبعة كل تخلف وجهل وبؤس(٣).

---

(١) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٩٦-١٩٧.

(٢) ينظر: محمد قطب، **المرجع السابق**، ص٢١٧-٢٣٤.

(٣) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٣٥٣.

ومن بعد دنلوب تسلل من تربوا في مدارسه للمؤسسات التعليمية، واستطاعوا الاستحواذ على مفاصلها حتى صارت لهم الكلمة، فغيروا العديد من السياسات والإجراءات لصالح أهدافهم، ومن تلك الإجراءات التي قاموا بها، فرض الاختلاط بين الجنسين في المدارس، فيذكر الدكتور محمد حسين أن الاختلاط كان عبارة عن قضية نقاشية هل هو جائز أو غير جائز؟ وهل هو مفيد أو ضار؟، فإذا به يصبح حقيقة واقعة بطريق ملتو خفي لم يكد ينتبه إليه أحد، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات، والمعروف أن الطلاب في مصر يدخلون سن المراهقة قبل بلوغ الحادية عشرة في كثير من الأحيان، ثم دخل الاختلاط في بعض المدارس الإعدادية، وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع الأب أن يفر منه أو يتفاداه، ثم استشهد الدكتور بمجموعة من الآيات التي تبين حدود العلاقة بين الجنسين وسأقتصر على دليل واحد وهو قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، فذكر أن هذه الآية خاصة بنساء النبي ﷺ، وهي تأمر المسلمين إلى أنهم لو أرادوا طلب شيء من نساء النبي ﷺ أن يكون حديثهم إليهن من وراء ستار يحجب كلاً منهم عن الآخر، وتُعلّل الآية الكريمة ذلك بأنه أدعى إلى طهارة الطرفين وأحوط في تجنب أسباب الفتنة، فإذا كان هذا الحال مع نساء النبي وهن من هن ومع الصحابة وهم من هم فكيف يكون الأمر مع أبناء هذا الزمن؟[1].

(١) ينظر: محمد حسين، **حصوننا مهددة من داخلها**، ص٦٦، ١٦٣.

٢- الابتعاث الخارجي:

وسياسة الابتعاث الخارجي سياسة قديمة كانت تسعى لها الدول والمنظمات لكسب ولاءات المبتعثين والتأثير في أفكارهم وتوجهاتهم، لذا قام بهذه الخطة محمد علي في مصر، فأرسل الشبان الصغار بأعداد متزايدة ليتعلموا في أوروبا من دون تحصين مسبق، فيتعلموا العلم والفساد معاً في غالب الأحيان، ثم يعودوا إلى أوطانهم ليكونوا رأس الحربة المتجه إلى الغرب، الذي يجر بلاده كلها إلى هناك(١).

ومن خلال تلك السياسية التعليمة خصوصاً وسياسات التغريب في العموم، برز عدة مثقفين رضعوا من لبان الثقافة الأوروبية المسيحية، وهم من بني جلدتنا، وكان لهم من الإقدام على التكلم والتأثير، ما ليس يملك مثله من جاء من جلدة أخرى كالجلدة الأوروبية المسيحية الوثنية(٢).

٣- المناهج التعليمية:

وهذا المجال يعد من أخطر الاتجاهات التغريبية في التعليم، قال أنور الجندي ﷺ: "أبزر معالم التغريب هو غرس مفاهيم ثقافية وتربوية في نفوس المسلمين، تخلق فيهم نزعة الاحتقار لقيمهم والاعتزاز بقيم الغرب، وتتصل هذه المفاهيم بتحريف التاريخ الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته، وانتقاص الدور الذي لعبه في تاريخ الثقافة الإسلامية، ومحاولة خلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين يحملهم على الرضا والخضوع للنزعات والمذاهب الغربية، وكذلك العمل عن طريق المناهج الدراسية ووسائل الثقافة والفكر على توهين القيم الإسلامية، والنيل من اللغة العربية، وتغييب هذه القيم وإحلال قيم أخرى بدلاً منها بحيث تصبح هذه القيم الجديدة معتقدات عامة، وبالجملة، فالتغريب محاولة لحمل عالم الإسلام على قبول ذهنية الغرب، والانصهار في بوتقة فكره

---

(١) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢٠٧-٢١٠.

(٢) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٤٠٢.

ومفاهيمه، والتحرك من خلال المناهج والأساليب والوسائل التي فرضها على العقل الإسلامي العربي، والنفس الإسلامية، وهذه هي أخطر مراحل التغريب"[١].

ويمكن إجمال طرق العبث بالمناهج التعليمية من خلال عدة أمور:

أ- **التلاعب بعقيدة المسلمين:**

ذكرنا سابقاً أن من أهداف الغزو الفكري هو اقتلاع العقيدة من قلوب المسلمين، وقد حصر الشيخ محمد قطب ﷾ وسائل تحقيق هذا الهدف في مجالين أساسيين: مناهج التعليم، ووسائل الإعلام[٢].

ب- **التقليل من شأن بعض المواد التعليمية التي تضر المستعمر:**

ولنا في دنلوب مثلاً في استغلال المناهج التعليمية لتحقيق غاياته الاستعمارية، ففي عهده تم التقليل من شأن بعض المناهج التي تضر مصالح المستعمر، كمنهج الدين ومنهج اللغة العربية ومنهج التاريخ، فخفَّض راتب معلم اللغة العربية، لدرجة أن فراش المدرسة يتقدمه في الراتب أحياناً إذا كان ذا أقدمية طويلة! بالمقابل يلقى معلم اللغة الإنجليزية الاحترام والتوقير في المدرسة، ويُستشار في العديد من الأمور المتعلقة بشؤون المدرسة، بل ويشارك في إدارتها، وبهذا التعامل المهين لمعلم اللغة العربية، أصبحت المادة ومعلمها محل سخرية عند الجميع، مما أثر في مستوى الطلاب وفهمهم للنحو والصرف والبلاغة والأدب، فأصبحت اللغة الإنجليزية هي صاحبة السيادة في التعليم، ولغة القرآن لغة أجنبية تدرس في غربة شديدة على نفوس الناشئة[٣].

---

(١) الجندي، **شبهات التغريب**، ص٣٢٩.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٩٦.

(٣) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢١٧-٢٣٤؛ وينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٤٤٩.

ويبدي الشيخ الدوسري ﷺ تعجبه وتأسفه من اهتمام الأبناء بتعلم اللغة الأجنبية على حساب لغة القرآن فيقول: أليس من المؤسف المبكي أن أغلب أولاد المسلمين في حاجة ماسة إلى لغات الأجانب؟ ولا يخفى على أحد ما للغة من تأثير عظيم في الدين والأخلاق العقول، ولو استمسكت الأمة حقاً بكتاب ربها وحملوه كما أمر، لنطق باللغة العربية جميع أهل الأرض عن حب ورغبة[1].

أما منهج الدين، فقد وضع من ضمن المقررات الاضافية، التي تحذف في جدول الصيف المختصر، كالرسم والألعاب الرياضية.

وأما منهج التاريخ، فيصوّر الإسلام عند ظهوره على أن غايته محاربة عادات كانت في الجاهلية، كوأد البنات وحروب السلب والنهب، وعبادة الحجارة والأصنام، ومنع الخمر والميسر، وعمداً يتم إغفال شمولية الإسلام وأهدافه السامية، وهذه النظرة القاصرة تجعل التلميذ يرى أن الغاية تمَّت حين لا يرى حوله أصنام، والفتيات حوله يتمتعن بحياتهن ويعشن غاية الدلال، وفي المقابل عند الحديث عن أوروبا يتم تضخيمها في نفس الطلاب، فأوروبا هي العالم وهي الحضارة وهي القيم وهي الديموقراطية وحقوق الإنسان والحرية والتقدم الصناعي والاقتصادي والسياسي والعسكري[2].

وعند تدريس الطلاب لتاريخ الخلفاء الراشدين والخلافات الإسلامية، فتصوَّر هذه الحقبة في المناهج على أنها مجرد تاريخ اقتتال وصراع بين الملوك والأمراء[3].

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٣٢.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢٢٤-٢٣٤.

(٣) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٤١.

أمَّا محاولاتهم في تزييف السيرة النبوية فقد تمثلت في عدة مسائل:

- **الأولى:** إضافة أساطير قديمة.
- **الثانية:** إنكار أن الإسراء كان بروحه وجسده ﷺ.
- **الثالثة:** إنكار النبوة والوحي.
- **الرابعة:** وصف النبي ﷺ بالعبقرية دون الرسالة.

ومن عبثهم: تصوير الإسلام على أنه ثورة الفقراء ضد الأغنياء فحسب، وفسروا الإسلام على أنه جاء في نطاق التغيير الاقتصادي والمادي، وأغفلوا جوانب الحياة التي أثر وغير فيها الإسلام عند ظهوره، سواء الجوانب الاجتماعية والأخلاقية وغيرها.

ومن الأقوال كذلك الزعم أن نبينا محمداً ﷺ ليس في حاجة إلى خارقة تعينه على إقناع الناس بما يريد لأنه بما يقول إنما يستجيب لآمال الناس وأحلامهم، وهذا افتراء وتقليل من شأن الرسالة، وهذه التفسيرات وغيرها التي يزعمها المستشرقون الماديون عن نبينا ﷺ وعن والرسالة إمَّا أنها ظهرت من حقد دفين أو جهل أعجز أذهانهم عن تصور شمولية ديننا وعالمية رسالة نبينا[1].

ج- **التقليل من شأن أعلام المسلمين، وإبراز شخصياتهم المشبوهة:**

ديدن الأشقياء على مر العصور الحط من شأن أهل الصلاح والدين، والاستهزاء والسخرية منهم، كما قال الله جل جلاله في كتابه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ [سورة الأنبياء:٣٦].

قال الشيخ الدوسري معلقاً على هذه الآية: "فالمتعلقون بالمذاهب العصرية، والمتجهون إلى روادهم من فلاسفة مذاهبهم وزعمائها إذا سمعوا من يتكلم بتوحيد الله أو يكتب عنه هزئوا به، ولقبوه

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٢٢٤-٢٢٥، ٢٣٤.

بشتى الألقاب البشعة، لتنفير العوام عنه، وقالوا هذا عدو الزعيم الفلاني، والمذهب الفلاني، والرائد الفلاني، والجنس الفلاني، هذا الرجعي المتحجر المتزمت"[١].

فأسلوب التهكم والسخرية من الصالحين هو ديدن الأشقياء على مر العصور، ومن أساليب التقليل والاستنقاص لأعلام المسلمين إلقاء الشبه حولهم، كالشبه التي قالوها عن الأنبياء ﷺ، وبالأخص على نبينا محمد ﷺ، ومن أمثلة ذلك الشبه التي أثاروها حول وجود إبراهيم ﷺ، وإنكارهم لرحلته إلى الحجاز، وهدفهم في ذلك هو قطع الصلة بين دين إبراهيم ودين محمد ﷺ، كما تركزت شبههم حول أعلام الأمة كالغزالي وابن تيمية والمتنبي، في المقابل سعوا لإعلاء أسماء كان لها الأثر السلبي والسيئ على الأمة كالحلاج، وأبي نواس، وابن الراوندي[٢].

ومن سياساتهم أيضاً إبراز زعامات علمانية معاصرة وإخلاء الساحة من القيادات الدينية، عبر خطط مدروسة، فأي شخصية قيادية تصلح للقيادة، يتم التركيز عليها وإخفاؤها عن الأنظار لصناعتها، ومن ثم تبرز كشخصية قومية مناضلة تسعى لحقوق الشعب والجماهير، وتدندن بمصطلح الإصلاح في التعليم والصحة وغير ذلك، كما حصل لسعد زغلول في مصر وبن بيلا في الجزائر، والهدف من ذلك إخلاء الساحة من القيادة الدينية وهم علماء الدين، ولا يقتصر عمل المؤسسات التغريبية على إبراز المشبوهين، بل من مهامهم الدفاع وحماية مخرجاتهم، ومن الشواهد ما حصل لطه حسين عندما هاجم القرآن الكريم والإسلام، فطالب الأزهر بسحب شهادته ومحاكمته، فحماه المندوب السامي البريطاني، حيث ذهب إلى رئيس الوزراء في مكتبه، وفي الحال أوقف التحقيق وأُسكت الأزهر[٣].

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٢٢.

(٢) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٤٩، ٣٠٦.

(٣) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٣٢٤-٣٢٩، ٥٢٩. وكيف لا يدافعون عن طه حسين وهو الذي أسلم عقله وقلبه للغرب، وهو الذي حث الأمة المصرية بأن تسير سيرة الأوروبيين، وتتبع طريقتهم، في حلوها

د- **جمود العلم الشرعي:**

فعلى الرغم من تفشي الأمية والجهل بين أبناء الأمة، وتوسع المدارس الأوروبية، نرى البعض قد جمَّد العلم الشرعي على صورته التي كان عليها قبل قرون، فقد أدخل في محتواه علم الكلام ومسائل ذهنية معضلة ومعقدة لا غاية منها ولا نتيجة، وأصبح العديد من الطلاب حفظة لا مفكرين، فيحفظون العديد من المتون دون فقهها، وتربى العديد من الطلاب على التعصب المذهبي والتقليد الأعمى، وهمه هو أن ينصر دين ومذهب شيخه لا أن يتحقق من صواب المسألة وموافقتها للشرع(١).

ختاماً: وفي لمحة عميقة من لمحات الشيخ الدوسري ﷺ عند تفسيره لقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [سورة البقرة:٢٦١]، حيث أشار إلى جمال المَثَل الذي ضربه الله في الآية لتقريب الفهم للأذهان، وليرغّب المؤمن للإنفاق في سبيل الله عز وجل، وأن الأمة بحاجة إلى الإنفاق في سبيل خدمة الدين من تركيز العقيدة ونشر الدعوة إلى الله بكل أسلوب يتطلبه الوقت، فالعصور تختلف، فسابقاً كانت المساجد تحقق ذلك، لكن لما ضُيّق على المساجد صارت الوسائل الجديدة تحقق الهدف من خدمة الدين كالصحف والمجلات والقصص الهادفة والمناظرات المراكز والمعاهد الدينية التي ليس للأجنبي عليها سلطان ولا تستورد مناهجها من الشرق والغرب(٢).

فالشيخ يريد إيصال رسالة وهي أننا بحاجة إلى الإبداع في طرق تعليمنا، وإيصال رسالتنا

ومرها، حسنها وسيئها، حتى تصل إلى النهضة والحضارة التي ينشدها. ينظر: طه حسين، علي بن سلامة، **مستقبل الثقافة في مصر**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت)، ص٤٣.

(١) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٧٦.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٤٨٤-٤٨٥.

التعليمية للناس، كما هو الحال مع الأمثلة القرآنية التي بسطت الصورة لنفهم منها المقصد الرباني من الأحكام، والرسالة الأخرى أننا بحاجة إلى الإنفاق على مثل هذه المؤسسات العلمية والإعلامية المتطورة والتي تُجاري العصر في الطرح والأسلوب والكيفية، ونبتعد عن الجمود العلمي والدعوي، حتى ينتشر الدين على أوسع نطاق، وأن نَحْذَرَ من إدخال المناهج الغربية في مدارسنا ووسائلنا التعليمية حتى لا نُخترق.

وتأكيداً على ما ذكره الشيخ الدوسري يقول صاحب المنار عند تفسيره لهذه الآية: "قال الأستاذ الإمام ﷺ في الدرس: إن المراد بالإنفاق هنا الإنفاق في خدمة الدين، وقال في وقت آخر: إن كلمة في سبيل الله تشتمل جميع المصالح العامة، وهو ما جرينا عليه آنفا.

أقول: ومن أراد كمال البيان في ذلك فليعتبر بما يراه في الأمم العزيزة التي ينفق أفرادها ما ينفقون في إعلاء شأنها بنشر العلوم وتأليف الجمعيات الدينية والخيرية وغير ذلك من الأعمال التي تقوم بها المصالح العامة"[1].

المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية للتغريب

الإعلام لا يقل أهمية عن باقي الوسائل، فهو يسهم في إيصال المعلومة لأكبر شريحة ممكنة، ومن خلاله تمرر الأفكار عبر طرقه المتنوعة، كالكتاب والصحيفة، والسينما والمسرح، والإذاعة والتلفاز، وكلما تقدم الزمن ظهرت أمامنا وسائل إعلامية جديدة تؤثر على الجماهير، وآخرها ما نراه في شبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية.

ومن خلال هذه الوسائل ركز الإعلام على الترويج لكل النقاط التي ذكرت في الوسائل التغريبية السابقة، خصوصاً المتعلقة بتغيير ثقافة وفكر المجتمع المسلم، إضافة إلى ذلك فمن طرقهم

---

(١) رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج٣، ص٥١.

الإعلامية الحرب النفسية، فبإعلامهم خوفوا الناس من الموت والفقر، وأرهبوهم بقوة العدو، وهذه الأمور خلاف ما تربى عليه أهل القرآن الذين تحرروا من هم الرزق والخوف من الموت، وامتلأت قلوبهم ثقة بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، ومن أهم العوامل التي تواجه بها هذه الحرب النفسية ومقاومتها، هو الحفاظ على اللغة والتاريخ والتراث[١].

ومما يدل على استخدامهم لهذه الأساليب الإعلامية أثناء غزوهم الفكري للمجتمع المصري، ما أخبر به محمد قطب رحمه الله في معرض حديثه عن الصحوة الإسلامية، حيث ذكر أن فريق المتدينين كان يتضاءل، وبزوالهم تزول العقبات كلها من طريق التغريب، ثم ذكر ما حصل للمدن المصرية حينما قلَّ فيها المتدينون وانحصر التدين في الريف، ومع ذلك خطط الأعداء لإزالة الدين حتى من أهل الريف، فبحسب مقترح اليهودي الأمريكي مرو برجر، فقد أوصى بمطاردة بقايا الدين في الريف عبر السينما الداعرة، أو الإذاعة الداعرة، أو الصحافة الداعرة، ويذكر أنه في زمن جمال عبد الناصر تم ترتيب رحلات للريفيين والريفيات للشواطئ العارية بمبالغ زهيدة بهدف إذهاب الحياء من نفوسهم[٢].

إذاً من الصعب أن نستبعد الأيادي الخفية المتلاعبة في المجال الإعلامي والتي تعزز التغريب في ديار الإسلام، تلك الأيادي اليهودية والنصرانية التي أدارت دفة الإعلام عبر أغلب الصحف العربية منذ نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وعلى مدى نصف قرن أو يزيد، ولكن نقول من الصعب أيضاً أن نعلق الانحراف إلى تلك الأيادي الخفية ونبرئ أنفسنا من تبعية هذا

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٥٤-٥٦.

(٢) ينظر: محمد قطب، **وقعنا المعاصر**، ص٣٧٠.

التقصير، أو نغض الطرف عن الأسباب الذاتية والأساسية التي أدت إلى ذلك الانحراف والخلل[1].

ومع هذا التقصير فقد كان لبعض علماء الأمة صولات وجولات في مواجهة التغريب عبر هذه الوسائل، ومن أبرزهم الشيخ محمود شاكر ﵀، حيث ساهم بقلمه في مواجهة الكتابات التي تُنشر في وسائل الإعلام، وذكر أن في الصحف وفي الكتب شيء لا يحتمل، فسلاح الكلمة أصبح بيد الأعداء، يضربوننا به، عن طريق العبث بتاريخنا، وآدابنا، وأخلاقنا، وماضينا، وحاضرنا.

وذكر ﵀ أن من أهداف هؤلاء الكتَّاب التنزيل من قدر لغة القرآن عبر وسائلهم الإعلامية، وذلك بانصرافهم عن كتابة الرواية والقصة إلى المسرح والتلفزيون والسينما، لأن أكثر ما فيها هو الكلام العامي، ومن أوائل من تزعم الدعوة إلى العامية من هؤلاء الكتُّاب هو لويس عوض، وكان يصرّح بذلك حين يُعرّف عن نفسه فيقول: "عُرف بدعوته للأدب العامي في صدر حياته الأدبية، وللأدب في سبيل الحياة في طوره الحالي"[2].

وجاهد شاكر ليُظهر للناس خلل ما يكتبه لويس، وعوار المؤسسات الإعلامية التي شهرت به، فخلال نقده للويس، ختم إحدى مقالاته بقوله: لا يهمني لويس ألبتة، ومهما قال سأكشفه وأرد عليه مثلما فعلت مع أشباهه من المستغربين والمستشرقين، ولكن همي هو صحيفة الأهرام، كيف لهذه الصحيفة التي يتابعها الملايين أن تُسلّم إلى رجل لا يحسن قراءة العربية ولا يحسن فهم أدبها؟

ويقول إنه كان يتوقع من الصحيفة أن تعتذر وتتبرأ مما نشرته باسم لويس، خاصة وأن هذه الصحيفة هي الناطقة بلسان العرب اليوم، والداعية إلى توحيد أمة العرب، وكان شاكر ﵀ يصف كتابات لويس بأنها كتابات قامت على أسس تبشيرية، متخفية تحت ثياب الدراسات الأدبية، حتى

---

(١) ينظر: جمال سلطان، **جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث**، (برمنجهام: مركز الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م)، ص١٢٦.

(٢) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص١٢٧، ٣٨٢.

سماه في أحد كتبه بصبي المبشرين، وأنه يروج للغة العامية على حساب لغة القرآن[1].

إذاً فالصحافة ووسائل الإعلام في العموم لها تأثير كبير على الأفكار، فمن خلالها يستطيع الغرب خلق الرأي العام للمجتمعات، يقول المبشر ولسن كاش: "إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط، أو تهيئه لقبول ما ينشر عليه، بل هي تخلق الرأي العام، وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحوال نادرة"[2].

ويبين الشيخ الدوسري ﷾ خطر الإعلام عند قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [سورة البقرة:٢٠٤]، فيقول: "وقد تفاقم غش هؤلاء في هذا الزمان، وعظم خطرهم، لانتشار الخداع من صحافة ووسائل إعلام أخرى، تؤثر على أكبر مساحة من عقول الأمة، وتستخدم أسوأ استخدام، لغسل العقول من معاني الفضيلة والخير، وحشوها بكل ما يريده أهل الباطل والنفاق من زيغ وتلبيس"[3].

المطلب الرابع: الوسائل الاقتصادية والمالية للتغريب

ذكرنا أن من أهداف التغريب، سطو الغرب على خيرات بلاد المسلمين، فالمواقع الاستراتيجية التي تتمتع بها، والخيرات الزاخرة من الأراضي والبحار، كانت سبباً في أن يسيل لعاب العدو الطامع لها، لذا فهم يسعون ليل نهار لسرقة تلك الخيرات والاستحواذ عليها، ولهم في ذلك

---

(١) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص٨٤، ١٠٨، ٢١٥-٢٢٨.

(٢) شاكر، **المرجع السابق**، ص٢٠٣.

(٣) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٠٨.

سبل عديدة منها:

١- إخضاع المسلمين للنظم المالية الظالمة:

فبسبب تحكم الغرب بالنظم العالمية المالية والاقتصادية؛ استطاعوا بنفوذهم التأسيس لنظمهم الفاسدة في بلاد المسلمين كتقريب الربا عبر المؤسسات والبنوك المالية، ونشر الفكر الشيوعي والرأس مالي بين المسلمين وغير ذلك.

أكد على ذلك سيد قطب ﷺ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ [سورة البقرة:٢٧٥]، حيث قال كلاماً طويلاً وبديعاً في بيان النظام الاقتصادي الإسلامي العادل، والنظام الربوي الظالم، فكان مفاده:

١- في العصر الحاضر بَدَتْ جميع معالم فساد الربا والتي ما كانت كلها بادية في الجاهلية.

٢- النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على الإيمان بأن الله هو خالق الكون وهو الحاكم والواهب سبحانه، والناس وكلاء مستخلفون وليسوا ملاكاً لما في أيديهم من الأرزاق.

٣- حق الله في هذه الأرزاق هو التكافل بين المسلمين وأن ينتفعوا بالأرزاق على قاعدة الملكية الفردية المقيدة لا الشيوع المطلق كما هو عند الماركسية، وعليهم تنمية أموالهم عبر وسائل لا تؤذي الآخرين، كالأساليب التي تجعل المال حكراً على فئة من الناس.

٤- الربا عملية تصادم الإيمان، فلا مراعاة للمبادئ والغايات والأخلاق التي يريد الله للبشر أن تقوم حياتهم عليها، فالمرابي يقوم ابتداء على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر، فالإنسان هو سيد الأرض، وغير ملزم باتباع أوامر الله، وأنه حر في وسائل حصوله على

المال وطرق تنميته، كما هو حر في التمتع به، وغير مقيد بمصلحة الآخرين، ولا يهمه لو تأذى الملايين إذا هو أضاف إلى خزانته ما يستطيع إضافته.

٥- النظام الربوي أَنشأ في النهاية نظاماً يسحق البشرية لمصلحة حفنة من المرابين، فيشقيها في حياتها أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً، ويحطها أخلاقياً ونفسياً وعصبياً، ويحدث الخلل في دورة المال ونمو الاقتصاد البشري، ويتسلط على البشرية زمرة من أحط خلق الله وأشدهم شراً، يداينون الحكومات والشعوب في داخل بلادهم وفي خارجها، وترجع إليهم الحصيلة الحقيقية لجهد البشرية، وكد الآدميين وعرقهم ودمائهم، في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا هم فيها جهداً.

٦- المرابون لا يمتلكون المال فقط بل يمتلكون النفوذ ليستخدموه في إنشاء الأوضاع والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال، بهدف تحطيم أخلاق البشرية، وإسقاطها في مستنقع آسن من اللذائذ والشهوات، ويتحكمون في جريان الاقتصاد العالمي وفق مصالحهم المحدودة، مهما أدى هذا إلى الأزمات الدورية المعروفة في عالم الاقتصاد، وإلى انحراف الإنتاج الصناعي والاقتصادي كله عما فيه مصلحة المجموعة البشرية إلى مصلحة الممولين المرابين، الذين تتجمع في أيديهم خيوط الثروة العالمية.

٧- المرابون استطاعوا بما لديهم من سلطة هائلة مخيفة داخل أجهزة الحكم العالمية وخارجها، وبما يملكون من وسائل التوجيه والإعلام، سواء في الصحف والكتب والجامعات والأساتذة ومحطات الإرسال ودور السينما وغيرها، أن ينشئوا عقلية عامة بين جماهير البشر المساكين الذين يأكل أولئك المرابون عظامهم ولحومهم، ويشربون عرقهم ودماءهم في ظل النظام الربوي، هذه العقلية العامة خاضعة للإيحاء الخبيث المسموم بأن الربا هو النظام الطبيعي المعقول، والأساس الصحيح الذي لا أساس غيره للنمو الاقتصادي، وأنه من بركات هذا

النظام وحسناته ما نراه من تقدم حضاري في الغرب، وأن الذين يريدون إبطاله جماعة من الخياليين غير العمليين، وأنهم إنما يعتمدون في نظرتهم هذه على مجرد نظريات أخلاقية ومثل خيالية لا رصيد لها من الواقع.

٨- إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة، وقد بلغ من سوئه أن تنبه لعيوبه بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين أنفسهم، وهم قد نشأوا في ظله، وأشربت عقولهم وثقافتهم تلك السموم التي تبثها عصابات المال في كل فروع الثقافة والتصور والأخلاق.

٩- إن الديون التي تقترضها الحكومات من بيوت المال لتقوم بالإصلاحات والمشروعات العمرانية، فإن رعاياها هم الذين يؤدون فائدتها للبيوت الربوية كذلك، إذ إن هذه الحكومات تضطر إلى زيادة الضرائب المختلفة لتسدد منها هذه الديون وفوائدها، وبذلك يشترك كل فرد في دفع هذه الجزية للمرابين في نهاية المطاف، وقلما ينتهي الأمر عند هذا الحد، ولا يكون الاستعمار هو نهاية الديون، ثم تكون الحروب بسبب الاستعمار[1].

ونجد الشيخ الدوسري ﷾ يقرر ما ذكره سيد قطب ﷺ في كشف عوار الأنظمة المالية المستبدة التي طغت في عصرنا الحاضر، فعند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [سورة البقرة:١٨٨]، ذكر أن الإسلام فتح باب المضاربة والشركات ومشروعية القرض الحسن بلا ربا، بخلاف النظام الرأسمالي الذي لا يجد فيه الفقير تعاوناً مع تاجر أو صاحب شركة أو مصنع أو مصرف من مصارف البنوك، فتبقى الطبقية بدون تحويل، وكذلك الطبقية الجديدة التي بعثتها روسيا الشيوعية باسم العدالة الكاذبة، ومحو الطبقات الذي هو خرافة لم تحدث ولا يمكن حدوثها بعقلية بشرية كافرة قائمة على الإلحاد من أساسه؛ لأنها مخالفة لفطرة الإنسان القائمة على التفاوت

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣١٨-٣٢١.

في الملكات والمجهود والقدرات، ولهذا كانت النتيجة هي محو طبقات لتحل محلها طبقات أخرى في الظهور أبشع وأفظع من كل طبقية عرفت في التاريخ، فإن الشيوعية تحتقر الفرد والجماعة إلا ما كان من أعضاء الحزب البارزين العاملين على إرهاب الشعب، فإنهم يتمتعون بالقصور البلورية العظيمة كما حدثنا صاحب جريدة الأهرام، والذي نشر في جريدته وصور لنا ما رأى بعينه عن حياة أحد زعمائهم(١).

٢- الترويج للترف:

فمن أسباب سقوط وانحراف الخلافات الإسلامية في بعض العصور السابقة اللعب بالثروات والأموال والإسراف فيها، سواء على مستوى الرؤساء أو المرؤوسين، وقد حصل في زمن الخلافات من البذخ والسرف المُبالغ فيه عند بعض الخلفاء، فتُصْرف المَبالغ الخرافية من الدراهم والدنانير من بيت مال المسلمين على مدّاحيهم من الشعراء، وعلى الأمراء الموالين لهم، وعلى حفلات الزواج الخاصة بهم(٢).

وفي مقدمة ابن خلدون، في فصل انقلاب الخلافة إلى ملك، ذكر الخلفاء الذين جاؤوا بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكيف استعملوا الملك لأغراضهم الدنيوية، وبالغوا في الإسراف والترف، وانغمسوا في الدنيا، وقصدوا الشهوات، وركبوا اللذات، وكانت همومهم بطونهم وفروجهم، وعصوا الله سبحانه وتعالى بشربهم الخمر وتجبُّرهم على الناس، فكانت عاقبتهم أن ألبسهم الله الذلة وسلب منهم العزة، وحرمهم النعمة بذنوبهم(٣).

وهؤلاء الخلفاء ومن دونهم لم يتعظوا من تحذير الله ونهيه عن الإسراف والتبذير والبذخ

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢١٢-٢١٣.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٢٥، ١٣٢-١٣٧.

(٣) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص٢١١-٢١٧.

وكذلك لم يتعظوا من الأمم السابقة التي سقطت بسبب إسرافها، فقد حذر الله من الإسراف وبين عاقبته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الإسراء:١٦]، يقول صاحب تفسير المنار: "ومن عجائب الجهل والبغي، أن متبعي الإتراف من شعوبنا يقلدون الإفرنج في الإسراف فيه دون ما به يرجو الإفرنج اتقاء الهلاك من فساده، وهو القوة الحربية وفنون الصناعة، فإذا كان فسق الإتراف يهلك الأمم القوية، فكيف تبقى مع اتباعه وفساده الأمم الضعيفة؟ وكيف يزول والمتبعون له هم الملوك والأمراء، والزعماء والحكام، والكتاب والخطباء، وهم الأكثرون الظاهرون، والناهون عن فسادهم الأقلون الخاملون؟ ثم بين سنته تعالى في إهلاك الأمم وما يحول دونه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة هود:١١٧]، أي: وما كان من شأن ربك وسنته في الاجتماع البشري أن يهلك الأمم بظلم منه لها في حال كون أهلها مصلحين في الأرض، مجتنبين للفساد والظلم، وإنما أهلكهم ويهلكهم بظلمهم وإفسادهم فيها"(١).

وفي كتاب (ماذا خسر العام بانحطاط المسلمين)، ذكر الندوي بعض أحوال الأمم السابقة للعظة والعبرة، وكيف كان سقوطها بسبب ترفها، فالدولة الرومية انهارت بسبب ترفُّه طبقة صغيرة على حساب الجماهير الذين كانت هذه الطبقة تستغلهم وتمتص دمائهم، وأما ملوك الساسانيين، فكانوا يكتنزون النقود ويدَّخرونها حتى نقل أن خسروا الثاني كان في خزانته ٨٠٠ مليون مثقال ذهب، في المقابل كان الفلاحون في عهدهم يعيشون الشقاء والبؤس العظيم، وكان لكسرى أبرويز ١٢ ألف امرأة، فقد كانت تأتيه الهدايا والجاريات من كل البلدان الواقعة ما بين الشرق الأقصى والشرق الأدنى، وله خمسون ألف جواد، وشيء لا يحصى من أدوات الترف والقصور الباذخة

(١) رشيد رضا: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج١٢، ص١٥٩.

ومظاهر الثروة، وقصره مثال في الأبهة والغنى، ولما فتح المسلمون المدائن رأوا ذلك البذخ والترف[1].

إذاً فالمؤسسات التغريبية بعلمها بالتاريخ وبواقع الأمم، تريد إغراق الدول الإسلامية بداء الترف والولوغ في مستنقعاته حتى لا تقوم لها قائمة، وتكون همم الناس وخصوصاً القادة منشغلة خلف تلك الملذات الفانية.

٣- الدعوة إلى الدروشة والزهد الزائف:

سعت أوروبا إلى تحويل التجارة العالمية بين أيديهم، ولم يحصل لهم ذلك إلا عندما ضعفت عقيدة المسلمين بتركهم العلوم الدنيوية، وتركهم الجهاد، وتركيزهم على التصوف وتزكية النفس فقط، فاحتل الغرب خيرات بلاد المسلمين وأهم الممرات المائية العالمية واستغلوا ثرواتنا الزراعية والمعدنية[2].

فعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [سورة البقرة:١٧٢]، فيذكر الشيخ الدوسري ﷾ أن في الآية تنبيه من الله لعباده المؤمنين إلى عدم الالتفات إلى الحمقى الذين أبيحت لهم خيرات الأرض، فأخذوا يحرمون بعضها بوساوس شيطانية أو تقليد أعمى لزعامات عصبية، أو تعذيباً لأنفسهم كبعض جهال الصوفية الذين لعب عليهم الشيطان لتعطيل طاقاتهم الروحية العظيمة، فهؤلاء عطلوا عقولهم الفطرية، فما أقاموا وزناً للدين الذي يبين لهم الحلال والحرام، بل نفضوا أيديهم من عز الاستقلال، راغبين في الاستذلال، وأعقب الله بقوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ أي: اشكروا الله الذي خلق لكم هذه

---

(١) ينظر: الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، ص ٤٨-٥٣.

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٨١.

الطيبات وسهل عليكم أسبابها باتباع سنته الحكمية في طلبها واستخراجها، واشكروا لله شكراً عملياً بحسن التصرف باستعمال هذه النعم؛ لتتقووا بها على طاعته، وتستعينون بها في حمل رسالته، والجهاد لإعلاء كلمته، وقمع المفتري عليه، وتحكيم شريعته[1].

وقد يكون الأمر ليس من باب ترغيب الناس للتزهد والبعد عن الدنيا، بل جعل هذا الأمر قسرا فيكون الفقر واقعاً في المجتمع المسلم، وتخلق البطالة بين الشباب، حتى ينشغل الناس بلقمتهم التي بالكاد تكفي يومهم، ويصير أعلى أماني الشخص كسرة خبز له ولأبنائه يسعى للحصول عليها طوال يومه.

يقول الشيخ محمد الغزالي ﵀: الفقر قد يكون معصية يسأل الفرد عن الوقوع فيها، وقد يكون نكبة تسأل الدولة عن ضرورة تلافيها، وعوام الناس يرون أن رقة الحال ضرب من التدين، وهذا خطأ، فالإسلام يعتبر الفقر مصيبة، ويعمل على تخليص الناس من آثاره، وقد امتن القرآن على النبي ﷺ بنعمة النجاة من متاعب العَيْلة والحيرة واليتم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [سورة الضحى:٦-٨]، ومن أدعية النبي ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»**[2]، فمن جلب لنفسه الفقر قصداً فهو مخطئ ومقصر، لكن المصيبة عندنا ترى الرجال يأخذون بأسباب العيش، ويحرق الواحد منهم دمه وأعصابه، ثم لا يجد شيئاً بعد هذا الجهد، أو يجد شيئاً يمسك الرمق، ويسد بعض حاجاته الملحة، وتسود الدنيا في

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٥٣٦-٥٣٧.

(٢) أبو داود: **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ج٤، ص٣٢٤، رقم (٥٠٩٠)؛ ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث أبي بكرة بن الحارث، ج٣٤، ص١٧، رقم (٢٠٣٨١)؛ والنسائي: **سنن النسائي**، كتاب الاستعاذة، ج٨، ص٢٦٢، رقم (٥٤٦٥)، وقد صححه الألباني في الإرواء تحت الحديث: (٨٦٠) وقال: "وهذا سند صحيح على شرط مسلم"، ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، إشراف: زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ج٣، ص٣٥٦.

وجهه، وتضرم في نفسه ثورة مكتومة على المجتمع والدولة، ويسوء ظنه في قيمة السعي والعمل، وهذا الحال يحصل حين تضطرب الأوضاع الاقتصادية وتتدخل أمور غير إرادية في توزيع الخسائر والأرباح، وتعمل الأوضاع المضطربة على أن يزداد الغني غنى والفقير فقراً، والدول مسؤولة عن إعادة التوازن وتنظيم الأمور وتحقيق العدالة ولا يجوز إقحام الدين عندئذ في الرضا بالقسمة والنصيب[1].

المطلب الخامس: الوسائل السياسية والعسكرية للتغريب

يدرك الغرب أنه من خلال سيطرتهم على السلطة في بلاد المسلمين، وإضعاف الأمة سياسياً وعسكرياً، ستسهل عليهم مهمة هدم الإسلام، لذلك كانوا يسعون جاهدين منذ قرون لإسقاط الخلافة الإسلامية، ولكن عندما أدركوا أن الحل العسكري المباشر ليس هو الحل الأمثل أصبحوا يمهدون له بالوسائل الفكرية والإعلامية وغيرها.

والتمهيد للغزو الفكري قبل العسكري لم يكن وليد هذا العصر، بل حصل سابقاً في القرون الخامس والسادس والسابع الهجرية، من خلال الصليبيين والتتار في المشرق، والفرنجة في المغرب، حيث دخل الغزو الفكري لهدم الفكر الإسلامي عبر الحركات الباطنية والفلسفات اليونانية والفارسية والهندية، وذلك بهدف إثارة الشبهات والبلبلة والاضطراب، وقد دخلت هذه الحركات التي اتخذت لبوس العلم والفكر بعدة مسميات منها: الباطنية والقرامطة، والزنادقة والملاحدة، وغيرها، وكلها تخدم هدفاً واحداً هو هدم الإسلام، فبعد هذه الحركات الفكرية سهل ضرب المجتمع الإسلامي في بغداد بالتتار، وفي الشام بالصليبيين، وفي الأندلس والمغرب بالفرنجة، والغزاة على مر التاريخ الإسلامي

---

(١) ينظر: الغزالي، محمد، **الإسلام والأوضاع الاقتصادية**، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢١١٥م)، ص٩٦-٩٨.

يعلمون القوة الذاتية والمعنوية والنفسية التي صنعها الإسلام في نفوس أبنائه، ويعلمون أنه لا سبيل لهزيمة المسلمين إلا بالسيطرة عليهم أولاً نفسياً وعقلياً وروحياً، لذلك كان الغزو الفكري مقدمة للغزو العسكري وتدعيماً له، غزو فكري يهدف لهدم التوحيد والأخلاق والإيمان باليوم الآخر، غزو يدعو للإلحاد والإباحية والمادية[1].

ويرى الشيخ الدوسري أن الهزيمة الفكرية أعظم وأفظع من الهزيمة العسكرية، فعند قول الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٠-١٤١]، قرر الشيخ أن في الآية هدايات تقي المسلمين من الهزيمة النفسية والفكرية واللتان هما أعظم وأفظع وأخطر من كل هزيمة عسكرية، ذلك أن الهزيمة العسكرية وحدها تدمي قلوب الرجال، وتذكي فيهم روح النقمة، وتكشف لهم ما في صفوفهم من خليط النفاق ومرض الجبن والإرجاف إذا سلمت نفوسهم من سكرة الشهوة والهوى، وسلمت عقولهم من مؤثرات الإيهام والتضليل، وقلب الحقائق وفساد التصورات الناشئ عن الغزو الفكري[2].

وفي العصر الحديث رأينا كيف أن الغربيين كانت لهم جهود في القضاء على الإسلام في مصر لأنها مركز ثقافي مهم، وكذلك كانت لهم جهود كبيرة في تركيا للقضاء على الخلافة التي تعد المركز السياسي والعسكري للأمة، وبنجاح الحملات التغريبية في هاتين المنطقتين سهل عليهم نقل الأفكار التغريبية لباقي البقاع الإسلامية.

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٣٢٦.

أما عن الوسائل السياسية فهي على النحو الآتي:

١- **الاستعمار**: فللاحتلال وللاستعمار دور كبير في التغريب، فعلى الرغم من وجود التنافس على النفوذ والغنائم بين الدول المحتلة لبلاد المسلمين، إلا أنهم يتعاونون لطمس الهوية الإسلامية في الدول التي يحتلونها، بدليل ما حصل في مصر، فعند المقارنة بين المستعمرين لها، نرى الفارق بين الحملة الفرنسية التي حكمت بالعسكرة والقوة، كما كان قائدها نابليون الذي وصف بشدة غضبه، وبضربه للأزهر بالقنابل وجعله إسطبلاً للخيل، وبين الإنجليز الذين لا يقلون في صليبيتهم عن الفرنسيين، ولكن سياستهم العمل بمهل وهدوء ودون أن يشعر الناس بالتغيير، فمهما اختلفوا في طرق سياستهم لإدارة حكمهم الاستعماري، إلا أنهم يتَّحدون في عدائهم للإسلام والمسلمين، ويساند بعضهم البعض، ويحمون مصالح بعضهم إذا تعلق الأمر بتغريب المسلمين، وتغيير دينهم وفكرهم، بدليل أن إنجلترا لم تتعرض قط للمؤسسات الصليبية الفرنسية كالمدارس والمعاهد التبشيرية في مصر، على الرغم من طرد النفوذ الفرنسي السياسي.

ومما يدل أيضاً على دهاء الإنجليز ما نقل عن اللورد كرومر، أول معتمد بريطاني في مصر، عندما شكاه المبشرون إلى الحكومة البريطانية بدعوى التضييق عليهم، فرد على المبشرين: هل تتصورون أنني أضيق عليكم؟ ولكنكم تخطفون الأطفال، وتخطفون الرجال لتنصيرهم، فتستفزون المسلمين فيزدادون تمسكاً بدينهم، ولكني اتفقت مع شاب تخرج قريباً في كلية اللاهوت (trinity college) بلندن، ليضع سياسة ستحقق جميع أهدافكم[١].

ومن يتابع أحوال المسلمين في ظل الاستعمار في مصر وغيرها يلاحظ تبعية المسلمين للأفكار الوافدة، لأنها قامت عن طريق إرادة مقيدة في ظل سيطرة الأجنبي على التعليم والصحافة

---

(١) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢١٥-٢١٦.

والثقافة، ولم تكن هذه التبعية عن رغبة أصيلة[1].

ولا يمكن أن يستغني المستعمر عن المستشرق، فالعلاقة بينهما علاقة قوية كما وصفها محمود شاكر ﷺ بقوله: "الاستشراق كما رأيت قبل هو عين الاستعمار التي يبصر ويحدق بها، ويده التي بها يُحس ويبطش، ورجله التي بها يمشي ويتوغل، وعقله الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظل في عميائه يتخبط"[2].

٢- **الانقلابات العسكرية:** وهي وسيلة من وسائل محاربة الإسلام، ومن أشهر الانقلابات ما حصل للخلافة الإسلامية في تركيا، فقد كان مخططاً يهودياً هدفه إزالة الدولة الإسلامية التي كانت سداً منيعاً أمام مخططات وأطماع اليهود خاصة بعد رفض الخليفة إعطاءهم وطناً في فلسطين، فقد دون السلطان عبد الحميد الثاني ﷺ تلك الأحداث في مذكراته، فذكر فيها عظم النكسة التي حلت بالمسلمين، وكيف تم التخطيط لهذا الانقلاب، فذكر في مذكراته وجه المقارنة بين الوضع الجغرافي والاقتصادي الذي وصلت إليه الخلافة من ازدهار في زمانه رغم توليه الخلافة في ظروف صعبة، وما حصل لتلك المكتسبات من بعده، فالانقلابيون قد فرطوا في الحدود وخسروا الجيش ولم يبق من تلك المكتسبات إلا العُشر، وأما ديون الخلافة فقد خففها السلطان من ثلاثمائة مليون ليرة إلى ثلاثين مليون ليرة، ولكن بعد الانقلاب وصلت الديون إلى أربعمائة مليون ليرة، ثم يصف السلطان أحوال من تمردوا عليه كمدحت باشا وأمثاله من حركة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي، فذكر أنهم لا يفهمون من الديمقراطية إلا معنى تقليد الغرب، وأنهم كانوا يدمنون الخمر، ويأخذون الرشاوي من الدول المعادية للخلافة، ولهم تواصل مشبوه مع المحافل

---

(١) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٨١.

(٢) شاكر، محمود محمد، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، د.ط، ١٩٩٧م)، ص٨٧.

الماسونية، فهي تساندهم في الانقلاب وتحميهم وتدعم أسرهم، وكان الانقلابيون يستعينون بالصحف الأجنبية ضد السلطان، وبالصحف المحلية لإثارة الرأي العام، ويحاولون تفتيت الخلافة داخلياً بدعم الثورات والحركات الانفصالية في المناطق العربية والبلقان وغيرها، ويستغلون المناصب القيادية داخل الدولة لمصالحهم ومخططاتهم، ويبعثون الشباب لأوروبا ليتأثروا بالمجتمع الغربي فيرون السيدات يراقصن الرجال ويشربون الخمر وليدرسوا مبادئ الثورة الفرنسية دون أن يعرفوا أسباب انفجارها، وغير ذلك[١].

ثم حصل من ثمرات هذا الانقلاب وسقوط الخلافة العثمانية أن تولى أتاتورك مقاليد الحكم، والذي لم يكتف بدوره في المشاركة في إسقاط الخلافة بل نكل بالمسلمين وأجرم في حق لغة القرآن الكريم، حيث منع من التعامل باللغة العربية، وجعل الأذان باللغة التركية، وأمر بخلع الحجاب، وألغى كل أثر للدين في واقع الحياة[٢].

ويؤكد الشيخ تورط اليهود بأنهم لهم أيادي خفية في الاستعمار والانقلابات العسكرية، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٧-٤٨]، ذكر تنكرهم لنعم الله عليهم، وذلك بنقضهم العهود، وتحريفهم للتوراة، ومؤامراتهم المتواصلة ضد المسلمين، فأسسوا للاستعمار، وخططوا للانقلابات والثورات في الشرق والغرب، وغيرها من الدسائس والمكائد[٣].

---

(١) ينظر: عثمان، السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الأول، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب (دمشق: دار القلم، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

(٢) ينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٣٥٢.

(٣) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢٦-١٢٧.

٣- **التبشير:** عند الحديث عن التبشير يتبادر إلى الذهن دعوة غير النصارى إلى دين النصرانية، لكن الواقع مع المؤسسات التبشيرية هو خلاف ذلك، فللتبشير ارتباط وثيق بالغزو الحربي والسياسي، ومن تمام الجهل الظن بأن معنى التبشير هو اقتصار فئة من الرهبان أو القسوس بالدعوة إلى دينهم، من حيث هو عقيدة يسمعها المرء فيرضاها أو ينكرها، فهذا أمر باطلٌ، لا من حيث الواقع فحسب؛ بل من حيث شرح (المبشرون) أنفسهم لمعنى (التبشير)، وهم الممارسون له، وأشد بطلانًا أن يتصور امرؤ أن التبشير بمعزل عن الغزو الحربي، أو الاقتصادي، أو الفكري، أو السياسي، وعن محاولة الجنس الأوربي المسيحي أن يُخضع الأممَ لسيطرةٍ تدوم ما دامت له حضارة، وأشد بطلاناً منهما جميعاً أن يخطر ببال أحد أن التبشير قد غاب عن كثير من الدعوات التي قام أصحابها ينادون بضروب من الإصلاح في بلاد الإسلام، وفي غيرهما من البلاد، وأنه لم يضع فيهما إصبعه ليحول معنى الإصلاح إلى معنى من التدمير والهدم والتحطيم، ومن اطَّلع على كتب المبشرين أنفسهم، عرف أن أكثر الحركات السياسية والاجتماعية قد لُوثتْ بمكره الخفي، وأخفى طريق عرفه المبشرون، وأقرَّتْه سياسة الدول الأوربية الغازية جميعًا هو التعليم؛ لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع، وبخاصة في زمن اليقظة بعد الغفوة، هذه واحدة، والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال قد صُبغوا على أيدي معلميهم بالصبغة التي يريدها الدهاة من أساتذتهم، وهو أخطر عامل في توجيه أفكار الصغار إلى الجهة التي يريدها المعلِّم، فينشأ الطفل ويكبر حتى يصير رجلاً، فلا يحس في نفسه أنه قد طبع طبعًا جديدًا، يراد به استبقاء سيطرة الغازي عليه وعلى بلاده، وتدمير أمَّته بمسخه هو وأقرانه إلى عبيد يذلِّلون الطريق لأقدام السادة الطغاة، من حيث لا يدري أنه عبدٌ مسخَّر[١].

---

(١) ينظر: شاكر، محمود، **أباطيل وأسمار**، ص١٥٠-١٥١.

ومما يدل كذلك على أن همهم ليس إدخال المسلمين إلى النصرانية، ما قاله زويمر المبشر النصراني في المؤتمر التبشيري السنوي في القدس عام ١٩٣٥: "إنكم أعددتم نشئاً (يقصد شباب المسلمين) لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب"(١).

والعمل على تأسيس المدارس التبشيرية لم يكن وليد هذا العصر، بل دعا إلى تأسيسها البارون دي ويتز عام ١٦٦٤م، حيث دعا إلى تأسيس مدرسة تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي، وتعلم فيها لغات الشرق لمن يناط بهم أمر التبشير(٢).

ومن المضحك المبكي أن العمل التبشيري في البلاد العربية مكفول مادياً من أموال المسلمين، فقد نقل عن أحد المبشرين أنه قال: "المكان الوحيد في العالم الإسلامي الذي لا يكاد التبشير ينفق فيه شيئاً يُذكر، هو مصر" ويقصد بذلك أن المبشر على الرغم من أنه عدو لمصر وأهلها ودينها إلا أنه في نفس الوقت يأكل من رزق وقوت هذا البلد المسلم، من خلال عمله في الصحافة والمدارس والمستشفيات(٣).

وسبب انتشار العمل التبشيري في البلاد العربية هو تجميد المسلمين لرسالتهم، فشغل

---

(١) محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٣٨٦.

(٢) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص١٤٩.

(٣) ينظر: شاكر، **المرجع السابق**، ص٣٢٨.

الأعداء هذا الفراغ الذي حصل، فجندوا عشرات الآلاف من المبشرين ومثلهم من الملاحدة لنشر المسيحية، وإشاعة الإلحاد، ففتنوا أولاد المسلمين وأشغلوهم بالملذات والأباطيل، وما الذنب إلا ذنب المسلمين الجامدين القاعدين عن رسالتهم، الواثقين بأعدائهم حيث يتسابقون إلى إدخال أبنائهم المدارس التي يُدرِّس فيها أفراخ الإفرنج[1].

ومما يعزز الارتباط بين التبشير والاستعمار ما ذكره سيد قطب ﷺ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ [سورة المائدة:٥٧-٥٨].

فقد قال ﷺ: "لقد كان هذا الاستهزاء واللعب يقع من الكفار، كما كان يقع من اليهود خاصة من أهل الكتاب، في الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها على قلب رسول الله ﷺ للجماعة المسلمة في ذلك الحين، ولم نعرف من السيرة أن هذا كان يقع من النصارى، ولكن الله سبحانه كان يضع للجماعة المسلمة قاعدة تصورها ومنهجها وحياتها الدائمة، وكان الله سبحانه يعلم ما سيكون على مدار الزمان مع أجيال المسلمين، وها نحن أولاء رأينا ونرى أن أعداء هذا الدين وأعداء الجماعة المسلمة على مدار التاريخ أمس واليوم من الذين قالوا: إنهم نصارى، كانوا أكثر عدداً من اليهود ومن الكفار مجتمعين! فهؤلاء كهؤلاء قد ناصبوا الإسلام العداء، وترصدوه القرون تلو القرون، وحاربوه حرباً لا هوادة فيها منذ أن اصطدم الإسلام بالدولة الرومانية على عهد أبي بكر وعمر ﷺ حتى كانت الحروب الصليبية ثم كانت المسألة الشرقية التي تكتلت فيها الدول الصليبية في أرجاء الأرض للإجهاز على الخلافة، ثم كان الاستعمار الذي يخفي الصليبية بين أضلاعه فتبدو في

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٦١.

فلتات لسانه، ثم كان التبشير الذي مهد للاستعمار وسانده، ثم كانت وما تزال تلك الحرب المشبوبة على كل طلائع البعث الإسلامي في أي مكان في الأرض، وكلها حملات يشترك فيها اليهود والنصارى والكفار والوثنيون"[١].

٤- **دعم الفرق المبتدعة والقوميات المتعددة:** وذلك من أجل تشتيت الدولة الإسلامية وانتكاستها؛ فقد سعت الجهود التغريبية إلى هدم العقيدة الإسلامية الصافية في قلوب المسلمين من خلال دعم الفرق الضالة والقوميات المتعددة، لأنهم يعلمون تمام العلم أن زعزعة العقيدة ينتج عنها تخلف علمي وحضاري واقتصادي وحربي وفكري وثقافي للأمة، فالتخلف العقدي سبب هذه النكسة التي أصابت العالم الإسلامي، وأن الفكر الإرجائي والفكر الصوفي من أسباب التخلف الظاهرة، فقد أسهما في تكريس الاستبداد السياسي، فالصوفية جعلت الإنسان منشغلاً بنفسه، لا يلتفت إلى مصالح الجماعة ولا حاجات الأمة، وبسببها أُهملت العلوم الدنيوية لأنها تفرق بين الدنيا والآخرة، وتهمل الدنيا وتترك عمارة الأرض بحجة تزكية الروح من أجل الآخرة، وعلى ذلك أُهملت العديد من العلوم التي تساهم في نهضة الأمم كالطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها[٢]، وأما الفكر الإرجائي فلا يقل خطورة عن الفكر الصوفي، فمن خلاله استبد الظلمة والطغاة من الحكام، حتى قيل: "الإرجاء دين يوافق الملوك"، وقد تسبب هذا الأمر في تخلف المسلمين في جميع مناحي الحياة، وتمكن الاستعمار الأجنبي من تسلطه على البلاد والعباد.

ومن الدعوات الداخلية التي صورت الفكر الإسلامي بمنظور ناقص ومشوه، ما دعا إليه المعتزلة في محاولة تصوير الإسلام بأنه فكر عقلاني بحت، والصوفية على أنها فكر حدسي

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص٩٢٢-٩٢٣.

(٢) محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٧٤.

ووجداني، ومنهم من حاول تصوير الإسلام بأنه فكر فلسفي، كما دعا إلى ذلك الكندي والفارابي[1].

أما الفرق الباطنية فيكفينا الإشارة إلى ما أحدثته تلك الفرق عندما انتشرت في العصر العباسي، فقد مدت لها جذوراً في أراضي المسلمين، وكونت دويلات هدفها إشغال المسلمين بحروب ومطاردات لعدة قرون، وكانت هذه الفرق ذات صلة خفية باليهود المندسين في العالم الإسلامي، كالدولة الفاطمية أو العبيدية التي امتد حكمها لمئتين وثمانين سنة، وكان أول ملوكهم رجل اسمه سعيد، وتسمى بعبيد الله المهدي، وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي، وقد راج له ما افتراه في تلك البلاد، وآزره جماعة من الجهلة، وصارت له دولة، وبنى مدينة سماها المهدية، نسبة إليه، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض، وينطوي على الكفر المحض، وخلفه بعده أبناؤه ودخلوا مصر، وكانوا أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً، وأجبرهم وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم المنكرات والبدع، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون، وكثر بالشام النصيرية والدرزية والحشيشية، وتغلب الإفرنج على سواحل الشام، وأخذوا القدس والعديد من البلدان، وقُتل من المسلمين أمم لا يعلمهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين من الولدان والنساء مما لا يُحد ولا يوصف، وحين زالت أيام الدولة الفاطمية أعاد الله هذه البلاد كلها، ورد الله الكفرة خائبين[2].

يقول شيخ الإسلام عن دولتهم: "ادَّعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي، وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة، لا الإمامية، ولا الزيدية، بل ولا الغالية الذين يعتقدون إلهية علي أو نبوته؛

---

(١) الجندي، **شبهات التغريب**، ص٢٠٥.

(٢) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **البداية والنهاية**، ج١٤، ص٢١٣-٢١٥، وينظر: محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ص١٢٨.

بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم"[١].

ومن الوثائق التي دلت على تأثير تلك الفرق الضالة، ما نشر في جريدة التايمز إذ قالت: "كان الاعتقاد قديماً أن الإسلام دين شعوب الصحراء، وقد يتقدم إلى الحضر، وما كان أحد يصدق أنه يستطيع أن يخترق المناطق الاستوائية وأن يصل إلى جنوب أفريقيا"، ثم قالت: "ويختلف الغربيون في اتجاههم الفكري نحو مستقبل الإسلام في أفريقيا، فمن قائل: إن تقدم الإسلام لن يضر بالمصالح الاستعمارية ما دام يسير (أي: الإسلام) في الخطوط التي رسمها له الاستعمار، بينما يرى آخرون ضرورة (الحد من تقدم الإسلام) عن طريق نشر البدع والخرافات (أي: نشر البدع المخالفة لأصل الإسلام لإفساده وإزالة حقيقة الإسلام عنه مع بقاء اسم الإسلام عنواناً له) حتى يكون ذلك بمثابة حائل يقف أمام ضغط الإسلام المتزايد"[٢].

أما عن العصبية للقوميات والعرقيات على حساب الانتماء الإسلامي، وتأثير ذلك على إضعاف الأمة حينما تُدعم من الغرب بهدف التحكم بها؛ فلنا فيما أحدثته القومية التركية في زمن أتاتورك أعظم شاهد على ذلك، فأتاتورك قد أساء للشعب التركي وللعالم الإسلامي، فهو دمر بنيان الماضي، وأنزل بالعالم الإسلامي نكبة كبرى بفقدانه عضواً من أعضائه، وسبب ذلك أنه أخذ الأفكار الغربية دون تحفظ، وأسس للقومية التركية، ودمر اللغة العربية والعقيدة الإسلامية[٣].

وتفتيت وحدة الأمة بتعزيز النعرات القومية هي مهمة الماسونية اليهودية، فبمكرها تقلب الحقائق وتشوه التاريخ باختلاق المفتريات تارة، وتجسيم الأخطاء تارة، وبث الحسد وإلهاب نيران

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ج٤، ص١٦٢.

(٢) الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٨١.

(٣) ينظر: شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص١٨٨.

الحقد، وقد تم لهم ما أرادوا، والعجب أنك ترى رؤساء القوميات ليسوا من أهل القومية التي يدعون إليها ويتحمسون لها، فنرى أعاجم من تركي وقبطي وشركسي وقوقازي وأشكالهم يتحمسون للعروبة ويصنفون في سبيلها ما يهدم أمة محمد، وهم لم يبرزوا إلا على حساب المسلمين، وقد تفيأوا من فضل أهله ظلاً ظليلاً[١].

٥- **فصل الدين عن الدولة:** وهذا الشعار يعتبر من أهم أسس العلمانية، والمقصود منه: "قيام الدولة في الحكم والإدارة والسياسة على غير الدين، وغايته: فصل الدين عن الحياة، وهي غاية إلحادية"[٢]، ومرجع هذا الشعار هو القول المنسوب للمسيح: "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، ولا يمكن التسليم أنه من أقوال المسيح لأن الكنيسة بدلت وحرفت أقواله وتعاليمه، وقد ظل هذا الشعار ترفعه أوروبا كلما أملى عليها الهوى أن تخالف شرع الله، وبفضل الشعار انكمش الدين على مر العصور حتى لم يبق له إلا ساعة في الأسبوع خاوية من كل معنى[٣].

ولا يخفى على ذي عقل وبصيرة تلك الحملة الخطيرة التي تبنتها الصهيونية والاستعمار لفصل الدين عن الدولة، وما ينتج عن ذلك من تعطيل التحاكم بالشريعة، وتحريف الإسلام، فيجعلونه ديناً لاهوتياً، فيسقطون منه جوانب التشريع والاجتماع والنظم الاقتصادية والتربوية فيه، ويكون مكانها المناهج الغربية، وقد أشار إلى هذه الخطة هاملتون جب في بحثه **(وجهة الإسلام)** حيث أشار إلى أن الغزو الفكري والتغريب قد استطاع أن يعزل الإسلام عن مكانته الاجتماعية والقانونية، ويصبح دين صلاة وصيام فحسب[٤].

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٦٣.

(٢) أبو زيد، بكر بن عبد الله، **معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في الألفاظ**، (الرياض: دار العاصمة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص٣٩٩.

(٣) ينظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، (القاهرة: مكتب الطيب، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص٦٥.

(٤) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٤٦-١٤٧.

ولن يمرر هذا المشروع العلماني على المجتمعات المسلمة، إلا بتسليط أنظمة سياسية عليها، ترفع راية الإسلام ظاهرياً، لكنها في الواقع تخدم المخططات التغريبية في هدم الدين، كما قال سيد قطب ﷺ: وأحسب والله أعلم أن اليهود والنصارى كليهما، قد يئسوا من هذا الدين في هذه المنطقة الإسلامية الواسعة، كذلك يئسوا من أن يحولوا الناس فيها إلى الإلحاد عن طريق المذاهب المادية، كما يئسوا كذلك من تحويلهم إلى ديانات أخرى عن طريق التبشير أو الاستعمار، ذلك أن الفطرة البشرية بذاتها تنفر من الإلحاد وترفضه حتى بين الوثنيين، وأن الديانات الأخرى لا تجرؤ على اقتحام قلب عرف الإسلام أو حتى ورث الإسلام، وأحسب أنه كان من ثمرة اليأس من هذا الدين أن عدل الصهيونيون والصليبيون عن مواجهة الإسلام جهرة عن طريق الشيوعية أو التبشير؛ فعدلوا إلى طرائق أخبث، لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع في المنطقة كلها تتزيا بزي الإسلام، ولا تنكر الدين جملة، ثم هي تحت هذا الستار الخادع، تنفذ جميع المشروعات التي أشارت بها مؤتمرات التبشير وبروتوكولات صهيون، ثم عجزت عن تنفيذها كلها في المدى الطويل، إن هذه الأنظمة والأوضاع ترفع راية الإسلام بينما هي تحكم بغير ما أنزل الله، وتقصي شريعة الله عن الحياة، وتنشر تصورات وقيماً مادية عن الحياة والأخلاق تدمر التصورات والقيم الإسلامية، وتسلط جميع أجهزة التوجيه والإعلام لتدمير القيم الأخلاقية الإسلامية، وسحق التصورات والاتجاهات الدينية، وتنفذ ما نصت عليه مؤتمرات المبشرين وبروتوكولات الصهيونيين، من ضرورة إخراج المرأة المسلمة إلى الشارع، وجعلها فتنة للمجتمع، باسم التطور والتحضر ومصلحة العمل والإنتاج، بينما ملايين الأيدي العاملة في هذه البلاد متعطلة لا تجد الكفاف، وتيسر وسائل الانحلال وتدفع الجنسين إليها دفعاً بالعمل والتوجيه، كل ذلك وهي تزعم أنها مسلمة وأنها تحترم العقيدة، والناس يتوهمون أنهم يعيشون في مجتمع مسلم، وأنهم هم كذلك مسلمون، أليس الطيبون منهم يصلون ويصومون؟ أما أن تكون الحاكمية لله وحده أو تكون للأرباب المتفرقة، فهذا ما قد خدعتهم

عنه الصليبية والصهيونية والتبشير والاستعمار والاستشراق وأجهزة الإعلام الموجهة، وأفهمتهم أنه لا علاقة له بالدين، وأن المسلمين يمكن أن يكونوا مسلمين، وفي دين الله، بينما حياتهم كلها تقوم على تصورات وقيم وشرائع وقوانين ليست من هذا الدين!

وإمعاناً في الخداع والتضليل، وإمعاناً من الصهيونية العالمية والصليبية العالمية في التخفي، فإنها تثير حروباً وعداوات مصطنعة في شتى الصور، بينها وبين هذه الأنظمة والأوضاع التي أقامتها والتي تكفلها بالمساعدات المادية والأدبية، وتحرسها بالقوى الظاهرة والخفية، وتجعل أقلام مخابراتها في خدمتها وحراستها المباشرة، تثير هذه الحروب لتزيد من عمق الخدعة، ولتبعد الشبهة عن العملاء، الذين يقومون لها بما عجزت هي عن إتمامه في خلال ثلاثة قرون أو تزيد[1].

ويقرر الشيخ الدوسري ﷾ ما سبق ذكره من تزعم الاستعمار واليهود قضية فصل الدين عن الدولة متسترين خلف من تأثروا بهم من بني جلدتنا، فيذكر أن أفراخ الإفرنج ممن تربوا على ثقافة الماسونية التي تسمى بالأفكار العصرية، يلجؤون إلى مغالطة جديدة وهي فصل الدين عن الدولة، أي فصله عن السياسة وجعله محصوراً في المساجد والزوايا ونحوها، وهم لا يرضون لأفكارهم ومذاهبهم المادية أن تكون محصورة في النوادي وأن يجري الحكم السياسي على خلافها، فقد جعلوا لأنفسهم منزلة أعظم من الله، بل نادوا بعزل الله عن ألوهيته وسلطانه في الأرض بجعلهم الحكم والسياسة لمبادئهم ومذاهبهم فقط من دون حكم الله فكانوا كاليهود الذين بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم[2].

٦- **تعطيل فريضة الجهاد:** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠]، يقول الشيخ الدوسري ﷾ مفسراً

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١٠٣٢-١٠٣٣.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٤٨٣.

الآية: لما كانت سورة آل عمران من سور العقيدة، ناسب ختامها بهذه الوصايا العظيمة، فقد أمر بالصبر على ما يلاقي المؤمن ويمسه من الشدائد والمكاره في الحرب والسلم، والصبر على تكاليف الإسلام ومشقتها، والصبر على ما يصيبه عند أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وأعظم أنواع الصبر والمصابرة ما كان في سبيل الجهاد الحسي والمعنوي، من مجالدة أعداء الإسلام، ومجاهدتهم بالحجة والسنان، أما الرباط فهو الإقامة في مواقع الجهاد، ولزوم كل ثغر من ثغور المسلمين يتعرض لهجوم الأعداء ومطامعهم، ومن أهم أنواع المرابطة مقابلة تخطيط الأعداء بتخطيط مضاد، يمنع خططهم، ويقطع الطريق عليهم من كافة الاتجاهات والميادين، كما يجب حماية الثغور المعنوية، من غزو كل ملحد ومجادل بالباطل، ويحفظ الثغور الحسية من غزو كل محارب، والمسلم في كل هذا وذلك متدرع بتقوى الله القائل في ختام الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾[1].

وعند قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، يُخبر الشيخ أن في الآية "دليل واضح على أن مقصود الله من إيجاب الجهاد زوال الفتنة على أهل دينه بتحطيم القوى المادية والسياسية التي تحول بين الناس وبينه؛ لأجل تعبيدهم لغير الله، والتي تظهر على الناس بأسماء وألقاب وأزياء مختلفة لدس السم في الدسم، ومنها ما يسمى بالدين وينشط بوسائل التبشير، ومنها ما يظهر باسم البحث العلمي كالمستشرقين، ومنها ما يظهر بالمظهر السياسي متسمياً (بالجمهورية) يدعي العدالة والإخاء والمساواة، كما هو المخطط الماسوني الذي يتلون بتزعمه الثورات على الأوضاع، ويخص منها الدين بأفظع تركيز مبغض منفر، ومنها ما يظهر باسم الإصلاح والعدالة

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٤٨٥-٤٨٧.

الاجتماعية الخداعة التي نهايتها الإفساد والمساواة في البؤس والفقر، كالشيوعية وذيولها، ومنها ما يبرز بتقديس الوطن أو الجنسية العنصرية العمل لذا أو ذاك مما حاصله تقديس أشخاص تتمثل بهم الوطنية أو القومية ويخلع عليهم خلعة الإخلاص، ومنها ما يظهر بمذهب مادي أو نحلة جنسية شهوانية باسم الحرية البهيمية، إلى غير ذلك مما ظهر قديماً وحديثاً، ولا يزال يتجدد ظهوره بالألقاب البراقة الخداعة المغرية على الشرود عن سبيل الله"[١].

وبما أن كيان الدولة الإسلامية وسياستها لا تحفظ إلا بالقوة العسكرية، جعلت القوى التغريبية من مهامها الرئيسية قتل روح الجهاد الإسلامي، للقضاء على المقاومة المستمرة التي يلقاها الغزو الصليبي المسلح، ويزيلوا الحاجز العقدي الذي يذكر المسلم دائماً بأنه مسلم وعدوه كافر يجب أن يجاهده ولا يسمح له باحتلال أرضه، فإذا تغرب لم يعد هذا الحاجز قائماً في نفسه، والمتأثر بالغرب فَقَدَ بوصلة الانتماء، فيحس أن انتماءه لم يعد للإسلام وإنما للغرب[٢].

والاستعمار حاول بشتى الطرق من خلال التبشير والاستشراق ومعاهد الإرساليات تشويه صورة الجهاد؛ وذلك لإماتة روح المقاومة، وللسيطرة على مقدرات المسلمين، وهدم مقومات التاريخ واللغة والوحدة الفكرية والعربية الإسلامية، من أجل القضاء على الحضارة الإسلامية والوجود العربي، وعندما نجحوا في ذلك سهل عليهم إسقاط الخلافة واحتلال فلسطين[٣].

والغرب لم يكن ليجرؤ على استعمار بلاد المسلمين إلا حينما رأى تفريطهم في الإعداد الذي أمر به رب العباد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]، ومن الإعداد في زماننا الاهتمام بالتقنية العسكرية، وباقي العلوم، للحفاظ على الشريعة من كيد الكائدين،

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) ينظر: قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢٠٦.

(٣) ينظر: الجندي، **شبهات التغريب**، ص٣٠٦-٣٠٧.

قال صاحب كتاب **(العروة الوثقى)**: "الديانة الإسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة والعلم، ورفض كل قانون يخالف شريعتها، ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها، فالناظر في أصول هذه الديانة، ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل، يحكم حكماً لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لا بد أن يكونوا أول ملة حربية في العالم، وأن يسبقوا جميع الملل إلى اختراع الآلات القاتلة، وإتقان العلوم العسكرية، والتبحر فيما يلزمها من الفنون: كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها!

ومن تأمل في آية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ أيقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة، وطلب كل وسيلة الى ما يسهل سبيلها"[1].

ولم تقتصر محاربتهم على جهاد السنان، بل طالت جهاد اللسان، فيُخرسون الخطيب الحر عن النطق بكلمة الحق، ويقيدون المساجد بما يريدون، فلا يستطيع الإمام شرح التوحيد شرحاً وافياً صحيحاً بحيث يوضح فيه مدلول الشهادتين المستلزم للكفر بالطاغوت وبيان أحوال الطواغيت وأنواعهم، بل يصل التضييق بالمنع من ذكر الله الذي يشعر القلوب بعظمته، حتى ينسى الناس من هو الرقيب والمهيمن عليهم، فيصيرون كالهمل، وتفشوا المنكرات والفواحش، فما أفجر اليهود والنصارى، وتلاميذهم وأفراخهم من أصحاب المبادئ العصبية والمذاهب المادية الذين يقيمون حكماً علمانياً يتبجحون فيه بالحرية، وهي حرية الفساد والإفساد، لا حرية الدين والنصيحة لله[2].

وختاماً "لقد عجز الفكر الغربي من خلال الاحتلال والاستعمار والسيطرة السياسية عن تحقيق هدف احتواء الفكر الإسلامي، أو تذويبه في بوتقة الفكر الغربي، أو تدمير قيمه وأسسه، أو

---

(١) الأفغاني، جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني، محمد عبده، بن حسن خير الله، **العروة الوثقى**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت)، ص٥٧.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٤٣-٣٤٤.

صبغ مناهجه بصبغة التغريب، وإن كان قد استطاع أن يصيبه بصدع، استطاع الفكر الإسلامي أن يستعلي على جرحه، وأن يستعيد مكانه، ذلك أن الفكر الإسلامي، له ذاتيته المستمدة من القرآن، والتي تحمل أساساً طابع التوحيد، وتقوم على أساس الحق والعدل، ولذلك فقد أصبح من العسير الصعب انصهار الفكر وذوبانه في بوتقة الفكر الغربي الذي يقوم أساساً على قيم ومفاهيم تختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً"[1].

(١) الجندي، **شبهات التغريب**، ص١٦٨-١٦٩.

الفصل الثالث

مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسير صفوة الآثار والمفاهيم.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات العقيدة.**
- **المبحث الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لقصص القرآن الكريم.**
- **المبحث الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات الأحكام.**

المبحث الأول:

مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب في تفسيره لآيات العقيدة

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الإيمان بالغيب.**
- **المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الولاء والبراء.**
- **المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات التحاكم إلى شرع الله.**
- **المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات إثبات ربوبية الله.**

المطلب الأول: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الإيمان بالغيب

في الفصل الأول من البحث تم الإقرار أن الشيخ الدوسري ﷺ كان تركيزه على العقيدة، وأنها أعظم جانب ميّز تفسيره القيم، وأن تضلعه في العقيدة الصافية وفهمه لها وشعوره بأهميتها وعظم شأنها، جعله يعايش آياتها خلال تفسيره كله، وتتركز أفكاره عليها، وقد تطرق إلى قضايا العقيدة المعاصرة وعالجها بأسلوبه المتميز، خاصة تلك التي تتناول موضوع التغريب، ووجه الآيات

توجيهاً مناسباً وفريداً لمقاومة هذا البلاء، ومقاومة تلك الثلة الفاسدة التي قادته ورفعت لواءه.

وقد أبدع الشيخ ﷺ في مواضع عديدة من تفسيره للوصول إلى تلك المعاني، وقد انتقيت بعضاً منها، خاصة ما يتعلق في آيات الإيمان بالغيب، فمثلاً:

١- عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [سورة البقرة:٣]، قسّم الشيخ الناس إلى قسمين:

- **الأول:** قسم مؤمن بالغيب، مستشعر لمشاهد يوم القيامة، كنعيم الجنة وعذاب النار، وكان إيمانه باليوم الآخر سبباً في صلاحه ومبادرته للطاعات، وسبباً في كبح جماح شهواته وأطماعه.
- **والثاني:** قسم مادي، لا يؤمن بالغيب ولا باليوم الآخر، فعبادته للمادة كانت سبباً في شقائه وأنانيته وجشعه، وبسبب الجشع وقعت الحروب الفتاكة والطاحنة، التي نتج عنها لأهل الأرض الويلات والدمار، ومن أهم صورها الحروب العالمية المعروفة.

إذاً لا يردع هذا الجهل وهذا الظلم والطغيان إلا التقوى الصحيحة الناشئة عن الإيمان بالغيب، وأما ما زعمه بعض العلمانيين ممن أبرزتهم الثقافة الماسونية من أن الدين الذي هو سبيل تأمين ما بعد الحياة قد ذهب بأمن الحياة ذاتها! فهذه مغالطة وكذب مفضوح، فالذي يطمع بتأمين ما بعد الحياة هو الذي يسعى للحصول على الأمن الصحيح في الدنيا كي يناله في الآخرة، فالمتقون لله، والواقفون على حدوده في كل شأن من شؤونهم السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والحربية، هم الذين يعملون لتحصيل الأمن في الحياة الدنيا، وعلى العكس، فمن يرفض تعاليم الدين ويسلم وجهه لغير الله في كل ما يهواه، فهذا الذي يسعى لشقائه وشقاء البشرية بسبب أنانيته وقصر نظره[١].

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٧-٩.

٢- ومن الآيات المتعلقة بالإيمان بالغيب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] الآية، فقد وضح الشيخ الدوسري ﷺ حقيقة السحر وأنه لا يجوز إنكارها، وكذلك بقية الأمور الغيبية كالملائكة والجن والشياطين، والغربيون وأفراخهم ممن تتلمذ على أيديهم ينكرون هذه الحقائق التي نص عليها القرآن الكريم، ولكن في المقابل تجدهم يؤمنون بعلم تحضير الأرواح كما يسمونه وهو تحضير للجن -تسمى بالتعزيم-، وكذلك التنويم المغناطيسي، ولا يستبعد الشيخ أن يكون هذا التنويم من ضروب التعامل بالجن، فهم يؤمنون بالغيبيات التي تأتي من الغرب ولا تستطيع عقولهم تقبل الغيبيات التي تأتي من القرآن الكريم![1].

ومن خلال الشاهدين السابقين يمكن استنباط مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من عدة جوانب، وهي:

١- وجوب تعزيز الإيمان بالغيب واليوم الآخر في قلوب المسلمين عموماً وقلوب الأبناء على وجه الخصوص، حتى يتربوا تربية إيمانية تحفظ لهم عقولهم من الزيغ والوقع في شباك أهل التغريب.

٢- من أسباب الأنانية المتغلغة في قلوب الأشقياء عدم إيمانهم بالغيب، وبسبب أنانيتهم وحبهم للمادة حصلت كوارث وحروب دمرت الإنسانية والعالم، لذا حذر الشيخ من عواقب الأنانية التي تربى عليها أهل التغريب.

٣- من ثمرات الإيمان بالغيب واليوم الآخر طمأنينة القلب، والأمان في الدنيا والآخرة، لا كما يزعم المتأثرون بالتغريب من أن الدين الذي هو سبيل تأمين ما بعد الحياة قد ذهب بأمن الحياة ذاتها، وكلام سيد قطب ﷺ يؤكد ما قاله الدوسري، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣١١.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [سورة البقرة:٢٠٨]، قارن بين المجتمع الإسلامي المؤمن بالله واليوم الآخر الذي يعيش في أمان وتسوده المحبة والمودة، وبين المجتمع الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فيقول: والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال، كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام، هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتكافل، هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره، ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية، ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفته ثم تنكرت له، وارتدت إلى الجاهلية، تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان، هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين، وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو السويد، حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام، وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقداً والعلاج المجاني في المستشفيات، وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت، وغير ذلك الرخاء المادي، ولكن ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله؟ إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط والطلاق بمعدل

طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط، والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات؛ ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة، والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب ثم الانتحار، والحال كهذا في أمريكا، والحال أشنع من هذا في روسيا، إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة، فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة، ولينعموا فيه بالأمن والراحة والقرار[1].

٤- من تناقضاتهم التي بينها الشيخ أن عقولهم القاصرة لا تستطيع تقبل الغيبيات التي ذكرت في القرآن الكريم، لكنها تتقبل الغيبيات التي تأتي من الغرب كتحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي، والأمر لا يقف على تحضير الأرواح بل إن الغربيين لديهم الكثير من الخرافات والمعتقدات الغيبية سواء الدينية أو الشعبية في الماضي والحاضر، فرغم التطور العلمي الذي وصلوا إليه إلا أنهم لا يزالون يمارسون هذه الطقوس ويؤمنون بها، ويمكن الرجوع إلى كتاب **(معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا)** للاطلاع على المئات من تلك المعتقدات، وإذا استعرضنا بعض تلك الخرافات في هذه الموسوعة والتي تبدأ بحرف الألف نجد العجب العجاب، فمثلاً نراهم يعتقدون في يوم الأحد أن من ولد فيه كان معصوماً من وقوع الشرور عليه، لأنه في حماية الرب، ويمكنه التغلب على الأرواح الشريرة دون الاعتماد على تميمة خلا يوم ولادته، ومن المعتقدات عند كلمة (اسطبل) أنه يجب الامتناع عن لمس بيوت العناكب التي تكثر في الإصطبلات فهي تبعد عنها السحرة، ولهم معتقدات متعلقة بالحجارة فمثلاً حجر أوبال حجر مشؤوم، وحجر أوريت إذا جعل تميمة وقى الإنسان من شر الحوادث كلدغات الحية وعضات الكلاب، أما حجر إيريس النادر، فله تأثيرات على الناس، وقد قال عنه القديس

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٠٩-٢١١.

ألبير الكبير عنه: "إنه حجر رائع مدهش"، إلى غير ذلك من المعتقدات والخرافات التي يؤمن بها الغرب، فهل المتأثرون بالغرب المتحضر المتطور يؤمنون بهذه المعتقدات الغيبية؟ وإن كانوا لا يؤمنون بها فهل يسخِّرون أقلامهم ومنابرهم للنقد والسخرية من هذه المعتقدات الباطلة أم أنهم لا يجرؤون على نقد الغرب، ويسهل عليهم نقد الغيبيات الواردة في القرآن الكريم؟[1].

٥- موقف الشيخ الدوسري من التنويم المغناطيسي أنه لا يستبعد أن يكون ضرباً من ضروب التعامل بالجن، وقد شاركه في هذا الرأي من المفسرين المعاصرين صاحب تفسير **(زهرة التفاسير)**، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] الآية، لم يكتف بجعله نوعاً من أنواع السحر بل قال: "هو أشد أنواع السحر"[2]، بينما نجد صاحب تفسير **(في ظلال القرآن)** عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورة الفلق:٥]، يجعل التنويم المغناطيسي من الأمور مجهولة السر والكيفية[3]، وقد تباينت فتاوى العلماء حول التنويم بين محرم ومجيز، فمن حرمه صنفه في مجال الكهانة والسحر واستخدام الجن، ومن جوزه صنفه في مجال الإيحاءات والمجالات العلمية والنفسية، واشترط من جوزه أن يُستخدم للخير والعلاج، وسموه بالتنويم الإيحائي، والغاية منه إقناع المريض بالعلاج الذي كان يرفضه في أحواله الاعتيادية، وتشكيل قناعة جديدة إيجابية لدى المريض حتى يتجاوز قناعته السلبية، لا كما يشاع أنه ضرب من ضروب الإخبار بالغيبيات، وبناء على ما سبق فقد أفتى عدد من

---

(١) ينظر: بيار كانافاجيو، **معجم الخرافات والمعتقدات الشـــعبية في أوروبا**، ترجمة: أحمد الطبال، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ص٧-٢٥.

(٢) أبوزهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (دار الفكر العربي، د.م، د.ط، د.ت)، ج١، ص٣٤٣.

(٣) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٤٠٠٨.

العلماء ومراكز الفتوى كمركز فتوى الشبكة الإسلامية (إسلام ويب) أن التنويم المغناطيسي إن كان يقوم على الإيحاء والممارسة النفسية كان مباحاً إذا استخدم فيما هو خير، وحراماً إذا استخدم في الشر[1].

المطلب الثاني: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات الولاء والبراء

في هذا المطلب نجد أن الشيخ عبد الرحمن الدوسري ﷺ قد تطرَّق إلى جوانب تتضح منها معالم مقاومته للتغريب عند تفسيره لآيات الولاء والبراء، ومنها ما يأتي:

١- قول الحق سبحانه تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة البقرة:١١٦]، فبعد أن بيَّن الشيخ في تفسيره الفرية العظيمة التي قالها اليهود وأغلب النصارى بأن لله ولد، ذكر أنه يوجد من المحسوبين على الإسلام من يزعم أخوة النصارى باسم العروبة، رامياً بملة إبراهيم عرض الحائط، ثم قال: "إن لباب الدين هو الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة لله، والمعاداة لله، ولو لأقرب قريب، فكيف بأبعد بعيد، وأخبث كافر، مفتر على الله، مغضب لله، جانٍ على وحي الله، ورسل الله؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف بلغ جهل المسلمين بحقيقة دينهم وعقيدتهم هذا المبلغ؟"[2].

فهنا يوجه الشيخ وينصح من اغتر ببريق شعارات العروبية والقومية حين قالوا: "إن الأخوة أخوة الأرض والقومية لا الدين"، فيؤكد الشيخ التوجيه القرآني، أن أخوة الدين فوق كل هذه الشعارات.

---

(١) ينظر: موقع الشبكة الإسلامية (إسلام ويب)، مركز الفتوى، رقم الفتوى (١٠١٣٢٠)، https://www.islamweb.net/ar/fatwa/١٠١٣٢٠، تاريخ الرجوع للموقع: ٢٦امارس٢٠٢١م.

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٥٠.

٢- ويتابع الشيخ ﷺ تقرير نفس المعنى في موطن آخر من كتاب الله، عند قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، فيستدل من خلال هذه الآية الكريمة على أن المعركة مع أهل الكتاب وأذنابهم، ليست معركة اقتصادية ولا عسكرية، وإنما هي عقدية بحتة، فإذا قال لنا أحد تلاميذ اليهود والنصارى: إنهم إخواننا في القومية، أو الوطنية أو العروبة، فنرد عليه ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾، ليس لنا إخوان إلا في العقيدة، ففيها نحب ونوالي، وعلى ضدها نتبرأ ونعادي، وإذا قال لنا أحدهم: الدين لله والوطن للجميع، فنرد عليه ونقول: كلا بل الدين لله، والوطن لله، يجب أن تحكمه شريعة الله[١].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معلم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره للآيات، أن شعار الأخوة الإيمانية فوق كل الشعارات القومية التي تروج لها القوى الغربية، وأن عقيدة الأمة مستهدفة من قِبل القوى الغربية، وأن صمام أمان هذه الأمة هو رابطة أخوة العقيدة التي أسسها النبي ﷺ، فلكي تُزعزع هذه الرابطة سعى الغرب لمزاحمتها بروابط القومية والوطنية والعروبية، فعلى الأمة أن تقاوم التغريب بتعزيز رابطة أخوة العقيدة ولا تنخدع وراء تلك الروابط الواهية، ولا يعني ما ذكره الشيخ أن المؤمن يكون معادياً لمن خالفه في المعتقد إن كان مسالماً، ويقطع كل الروابط معه، فهناك حقوق للإنسانية وعلاقات يجب أن تحترم وتراعى خاصة إذا تعلق الأمر بالقرابة والنسب، يقول صاحب **(تفسير المنار)**: المقصد الرابع من مقاصد القرآن: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان، وذكر منها وحدة الجنس البشري، ووحدة الجنسية السياسية الدولية، ووحدة اللغة.

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٥٩-٣٦٠.

ثم قال: جاء الإسلام والبشر أجناس متفرقون، يتعادون في الأنساب والألوان واللغات والأوطان والأديان، والمذاهب والمشارب، والشعوب والقبائل، والحكومات والسياسات، يقاتل كل فريق منهم مخالفه في شيء من هذه الروابط البشرية وإن وافقه في البعض الآخر، فصاح الإسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها إلى الوحدة الإنسانية العامة الجامعة وفرضها عليهم، ونهاهم عن التفرق والتعادي وحرمه عليهم.

ومن أصول الإصلاح الاجتماعي: الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم، وشاهده قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات:١٣]، وقد بلَّغ النبي ﷺ ذلك للأمة يوم العيد الأكبر بمنى في حجة الوداع، وهذه الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعارف، وإلى ترك التعادي بالتخالف.

ومن الأصول: وحدة الدين باتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر، وشاهده الأعم قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، ولما كان الإسلام دين الفطرة وحرية الاعتقاد والوجدان جعل الدين اختياريا بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

ومن الأصول أيضاً: وحدة الجنسية السياسية الدولية، بأن تكون جميع البلاد الخاضعة للحكم الإسلامي متساوية في الحقوق العامة، إلا حق الإقامة في جزيرة العرب أو الحجاز فإنه خاص بالمسلمين.

والأصل الأخير: وحدة اللغة، ولا يمكن أن يتم الاتحاد والإخاء بين الناس، وصيرورة الشعوب

الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة، ومازال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة، يتعاونون بها على التعارف والتآلف ومناهج التعليم والآداب والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدنيوية، وهذه الأمنية قد حققها الإسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة لجميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله، لفهمهما والتعبد بهما والاتحاد بإخوتهم فيهما، وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وبذلك كرر في القرآن بيان كونه كتاباً عربياً وحكماً عربياً، وكرر الأمر بتدبره والتفقه فيه والاتعاظ والتأدب به، وأما غير المؤمنين فيتعلمون لغة الشرع الذي يخضعون لحكمه، والحكومة التي يتبعونها لمصالحهم الدنيوية كما هي عادة البشر في ذلك، وكذلك كان الأمر في الفتوحات الإسلامية العربية كلها[1].

ومن الصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤمن مع من خالفه في المعتقد، الشفقة عليه، وحب الخير له، وإرشاده لعقيدة الإسلام الصافية، يقول الله سبحانه وتعالى واصفاً نبيه الكريم ﷺ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، قال صاحب تفسير **(زهرة التفاسير)**: هذه منة من الله تعالى منَّ بها على العرب إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، ومن أعلاهم نسباً وشرفاً وهذا شرف للرسالة، والنبيون يبعثون من أعلى الأوساط، وإذا كان النبي ﷺ من العرب، ومن أنفسهم، فإن الأثر الذي يترتب على ذلك، ويكون من جنس الأخوة المحبة أن يكون رؤوفاً بهم محباً لهم ورحيماً، ولذا قال تعالى: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} العنت الشدة، ويقول ابن الأنباري أصل العنت الشديد، والمعنى يعز على النبي ﷺ وقد بعث إليكم بالملة السمحة السهلة ملة إبراهيم أن يكون في شريعته ما يعنتكم ويصعب

(١) ينظر: رشيد رضا، **تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)**، ج١١، ص٢١٢.

عليكم، وقد وُصِفَ النبي ﷺ بثلاثة أوصاف للمؤمنين من العرب وغيرهم؛ لأنه بعث للناس كافة:

- **أولها:** أنه عزيز عليه عنتهم، فالشريعة التي جاء بها من عند الله سهلة لا مشقة فيها تعلو على الطاعة وفيها الاعتدال الكامل، وليس فيها إرهاق للنفوس، ولا للأجسام، والعقول تدركها وتعرفها.
- **الثانية:** وهي من أعلى صفات البشر أنه رؤوف، والرأفة انفعال النفس بالمحبة والرفق بالناس، وهي صفة ضد الفظاظة والغلظ، وهما ينفران ولا يقربان، ولقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].
- **الثالثة:** الرحمة، وهي أوسع شمولا من الرأفة، إذ إن الرحمة النبوية تكون بالكافة، وقد يكون العقاب منافيا للرأفة، وهو من مقتضيات الرحمة، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى يقول في حد الزاني: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [سورة النور:٢]، ونرى أن الرأفة قد تجافي العقاب أما الرحمة فإن العقاب ينبعث منها؛ لأنه رحمة بالكافة(١).

نستنتج مما سبق أن المؤمن يراعي حقوق الإنسانية التي حددها الشرع والتي لا تتعارض مع ما قرره الله في آيات الولاء والبراء، كالتعارف والتعاون في شؤون الحياة، والشفقة والرحمة لمن ندعوه إلى الإسلام، والمصاحبة بالمعروف لذوي القربى من غير المسلمين، وما إلى ذلك.

---

(١) ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٧، ص٣٤٩٦.

المطلب الثالث: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات التحاكم إلى شرع الله

ركيزة الحاكمية في العقيدة الإسلامية تُعدُّ من الركائز الرئيسة في الدين، وقد اهتم بها الشيخ ﷺ وأكد عليها في عدة مواضع من تفسيره، وأذكر على سبيل المثال ما يأتي:

١- ما قاله عند قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[سورة المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة المائدة:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[سورة المائدة:٤٧]، فقد قرر أن الذي يحكم بغير ما أنزل الله استخفافاً بألوهية الله، وانتقاصاً لجنابه، واستهانة بشريعته، وسخرية واعتقاد عدم أحقيتها أو صلاحيتها، وتفضيل القانون الوضعي عليها؛ فهذا لا شك في كفره، ولا شك أنَّ رافض الحكم بشريعة الله رافض لألوهية الله، وغير معترف بأنه إله الناس ملك الناس، خصوصاً إذا ادعى أن الشريعة قاسية، وأنها لا تصلح لهذا العصر، أو أن أسبابها مضت وانقضت، إلى غير ذلك من دسائسهم الخبيثة المرتكزة على مكر الماسونية اليهودية وأفراخها على اختلاف أجناسهم، وأما المنقول عن بعض علمائنا أن المقصود به الكفر الذي لا يُخرج من الملة إلا بالجحود ونحوه، فهذا مما تعلل به بعض المبطلين، وخصوصاً ما ينسب عن ابن عباس ﷺ مما رواه الحاكم وصححه الذهبي، وابن عباس ﷺ كلامه ليس بحجة على الأمة، خصوصاً إذا استغله المنافقون المتعذرون لحكام السوء، الجالبون لقوانين الكفر مفضلين لها على شرع الله في جميع ميادين الحياة، فعدم الحكم بما أنزل الله إن كان عن جهل أو تأويل، أو بسبب ضغوط وتأثيرات فلا يكون كفراً مخرجاً من الملة، وأما إن كان باختيار وعدم قبول وارتياح لما شرع الله، وتفضيل لغيره عليه من أعراف الطواغيت وقوانين الكفر فلا شك

في ردة صاحبه عن الإسلام[1].

بعد ذلك نقل الشيخ الدوسري كلام محمود شاكر ﷺ المعروف في هذه المسألة، والذي يرد فيه على أدلة من يتعذرون للحكام الذين يحكّمون بالقوانين الوضعية بدلاً من التحكيم بالشريعة، كقول ابن عباس ﷺ كفر دون كفر، وأثر أبي مجلز الذي رواه الطبري ﷺ[2].

٢- يواصل الشيخ تقرير مبدأ الحاكمية في موضع آخر، فعند قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥] الآية، فسر الشيخ المقصود باتخاذ الأنداد أي: نظراء له، تُوكل الأمور إليهم، وتُعلق عليهم الآمال، فلهم الحب والتعظيم كحب الله وتعظيمه، أو أشد من ذلك، ويجعلونهم أنداداً لله في التشريع والتنظيم على خلاف شرع الله وحكمه، ويسلكون ما يخطونه لهم من مناهج الحياة في جميع شؤونها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ويلبّسون على دهماء الناس بقلب خطئهم إلى صواب، وضررهم إلى مكسب، وهزيمتهم إلى نصر، وهذا نوع من أنواع الأنداد، حيث عطلوا الله عن جميع حقوقه في شؤون الحياة، فشركهم شرك تعطيل ويعتبر من أفظع أنواع الشرك، والنوع الثاني هو تقديس الأحجار والأصنام والقبور، يتلمسون منها الخير والبركة، فهذا شرك تخريف، والنوع الثالث هو اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، يأخذون عنهم الدين والتشريع، فيبيحون ما أباحوه، ويحرمون ما حرموه من دون الله، فكل هؤلاء اتخذوا من دون الله أنداداً، والند لغة: المثل، وزاد البعض: إنه المماثل الذي يعارض مثله ويقاوم، وهذا القيد الزائد يصدق على أنداد هذا العصر من الزعامات المادية والقومية، حيث عارضوا الله في حكمه وتشريعه، بل عارضوه في أصل

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٨، ص٤٩٨-٥٠٠.

(٢) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ج١٠، ص٣٤٦-٣٤٨.

من الأصول من دينه القويم، حيث جعلوا المحبة والموالاة تابعة لرابطة الجنس ونابعة منها، لا تابعة لرابطة الدين، ولا نابعة منها، وهذا عين المحادة لله، ولهذا كان شركهم أعظم من شرك الذين يتخذون الأنداد وسطاء يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده[1].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط مقاومة الشيخ للتغريب من عدة جوانب، وهي:

١- الآيات السابقة أكدت على أن الحاكمية لله وحده، ولا يحق لغيره وضع القوانين والشرائع التي تخالف شرعه، ولا عبرة لمقولة اليهود وتلاميذهم من التغريبيين بأن شرائع الإسلام وقوانينه لا تناسب العصر، بل هي صالحة لكل زمان ومكان، ويجب أن تكون هي الحاكمة في جميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

٢- في مسألة الحكم على من يحكم بغير ما أنزل الله، سأفصل فيها بحسب رأي الشيخ مع تدعيم قوله بكلام من أهل العلم، فمفهوم كلام الشيخ أن الحاكم بغير ما أنزل الله يكون على أربعة أحوال:

- **الأولى:** هو من جحد شرع الله، واستخف بألوهية الله، واستهان وسخر من شريعته، واعتقد أنه لا يصلح لهذا العصر ولا يساير التطور، فقال الشيخ عن هذا النوع: لا شك في كفره، بل كفره كفر ردة أشد وأفظع من كفر اليهود الأصلي والعياذ بالله.
- **الثانية:** من بدل شرع الله بقوانين وضعية عامة تطبق على الجميع، حتى لو لم ينطق بالاستحلال والجحود، فهو كالأول.
- **الثالثة:** من صدر عنه الحكم بغير ما أنزل الله في حالات فردية خاصة ووقائع محددة جهلاً أو تأويلاً، أو اتباعاً للطمع والهوى، وهو معترف به ومُقدّر له، غير منكر ولا ساخر، ولا مُفضل عليه غيره؛ فهذا لا يخرج من الملة، وظلمه دون ظلم.

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٥١١-٥١٢.

- **الرابعة:** من حكم بغير ما أنزل الله بسبب ضغوط وتأثيرات، فهذا لا يكون كافراً.

ومن علماء الأمة الذين فسروا الآيات السابقة، وتطرقوا لبعض تلك الأحوال الأربعة هو الإمام ابن كثير ﷺ، وهو من الذين عاصروا حكم التتار الجائر الذي بدلوا فيه حكم الله بأحكام ملكهم جنكيز خان، فقال: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان، الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير"(١).

ومن المعاصرين الذين وافقوا على هذا الكلام الشيخ الشنقيطي ﷺ ففي تفسيره لقول الله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الكهف:٢٦]، قال: ويفهم من هذه الآيات أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢١]، فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الإشراك في الطاعة واتباع

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٧٤٢.

التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يس:٦٠-٦١]، وبهذه النصوص السماوية يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله –صلى الله عليهم وسلم– أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم(١).

فمن خلال النصين السابقين يظهر لنا أن التحاكم إلى قوانين جنكيز خان في السابق وإلى القوانين الوضعية الحالية كفر بالله تعالى ولا يشترط أن ينطق بالاستحلال من يشرعها.

وأما التفرقة بين الحكم العام المخالف للشريعة والحكم المعين لشخص، فوضح الفرق شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ فقال: "فإن الحاكم إذا كان دَيِّنا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار، وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص.

وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين فجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، ونهي عما أمر الله به ورسوله، وأمر بما نهي الله عنه ورسوله، فهذا لون آخر، يحكم فيه رب العالمين، وإله المرسلين مالك يوم الدين، الذي ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة القصص:٧٠]، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا

(١) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ج٣، ص٢٥٩.

﴿٢٨﴾ [سورة الفتح:٢٨] "[١].

فشيخ الإسلام في النقل السابق استعظم الحكم العام المخالف للشريعة، وفرق بينه وبين الحكم المتعلق بقضية شخصية ومنفردة.

ولشيخ الإسلام كلام آخر يخص مسألة تعليق التحاكم إلى الشريعة حال الخوف، فيقول في موضع آخر: "من بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله، فآمن به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام، لكونه ممنوعاً من الهجرة، وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام؛ فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام، مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً، ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد، والإيمان، فلم يجيبوه"[٢].

إذاً من خلال النصوص السابقة يتضح لنا عمق فقه الشيخ وإحاطته بالمسائل المهمة المتعلقة بالحاكمية، وارتباط فهمه بفهم السلف الصالح رحمهم الله، وأنه بهذا التفصيل يُحكم الأمر ويغلق الباب أمام من أراد التلاعب بنصوص الشريعة من العلمانيين والمستشرقين والتغريبيين.

المطلب الرابع: مقاومة الشيخ الدوسري للتغريب من خلال تفسيره لآيات إثبات ربوبية الله

الآيات التي تثبت ربوبية الله وأنه هو الخالق الرازق المدبر كثيرة، والشيخ ﷺ عندما فسر

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٣٥، ص٣٨٨.

(٢) ابن تيمية، **المرجع السابق**، ج١٩، ص٢١٧.

تلك الآيات أكد على ما فيها من تقرير الوحدانية، ودحض الملحدين والماديين والمشككين بوجود الله وحكمته وقدرته سبحانه، ومن تلك الآيات:

١- قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٤]، فقد ذكر الشيخ أن هذه الآيات الكونية التي ذكرها الله دلت على وجوده ووحدانيته ورحمته، وأن هذه المخلوقات العظيمة فيها دلالات واضحة على ذلك، فصاحب العقل المستقل والمتحرر من قيود التبعية والتقليد والهوى، ستقوده وستهديه هذه الآيات العظيمة إلى الإيمان بالله وحده والإقرار أنه هو الخالق والمستحق للعبادة.

ثم وجه الشيخ العلماء وعموم المسلمين أنه يجب عليهم أن يدققوا النظر في الآيات ويستخرجوا منها العبر ليقمعوا الملاحدة المنكرين والشيوعيين ومن على شاكلتهم من أهل المذاهب المادية، والمبادئ العصرية.

بعدها بدأ الشيخ في عرض بعض الحقائق العلمية والاكتشافات المعاصرة، ومنها:

- لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضع أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون والأوكسجين ولما أمكن وجود الحياة.
- لو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي لكنا تجمدنا، ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رماداً.
- لولا المطر لكانت الأرض صحراء لا تقوم عليها الحياة.
- ولولا أن الله جعل الإلكترونات ملتصقة بالبروتونات داخل الذرة، والذرات ملتصقة

ببعضها البعض بحيث تنعدم الفراغات، لكانت الأرض بحجم البيضة.

- لولا خلق الله للجبال رواسي لتناثرت الأرض، ولما كان لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة، ولكنه صنع الله الذي خلق كل شي فقدره تقديراً [1].

٢- ومن الآيات قول المولى عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء:١]، يُخبر الشيخ أن في الآية إبطالاً لنظرية دارون اليهودي[2] الذي لم يهتد إلى سر الحياة، ولم يستطع تعليلها علمياً فيؤمن بالخالق الموجود، ولكن كفره جره إلى نظرية مخالفة للواقع، ثابت فسادها بالمحسوسات المكتشفة أخيراً، ثم سرد الشيخ أسماء من نقضوا تلك النظرية المضحكة وتصدوا لها من علماء فلاسفة أوروبا كدوفري، والدكتور جوستاف جولييه، والعلامة أغا سيز وغيرهم، ومن الشرق نديم الجسر في كتابه **(قصة الإيمان)**، والسلطان صالح القميطي في كتابه **(الآيات البينات)**، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد رضا الأصبهاني من علماء الشيعة، وجرجيس فرج من علماء النصارى العرب، والأسقف خير الله أسطفان وغيرهم.

ثم بين الشيخ أن دارون أخذ نظريته من سلفه لامارك ومن تبعه من الملاحدة أمثال أونسيت هيكل وأوبارين، وحصل بسببهم هدم وتخريب الدين والأخلاق، وأورد الشُبه العقلية لهؤلاء الملحدين وبين تناقضاتها وضعف الحجج العقلية التي يطرحونها، وأذكر على سبيل المثال ما نصوا عليه

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٤٨٩-٥٠٥.

(٢) نظرية داروين نسبة إلى صاحبها الباحث الإنجليزي شارلز داروين الذي نشر كتابه (أصل الأنواع) عام ١٨٥٩م، وطرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء التي تزعم أن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاء بالإنسان. ينظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ج٢، ص٩٢٥.

عن معنى الطبيعة: أنها القوة العامة الملازمة للمادة المنزهة عن الفساد، والتي لا تفتر عن التأثير في المواد طرفة عين، غير أنها مجردة من العقل ومحكومة بقوانين ثابتة قاهرة تخضع لها أبد الآبدين.

فيعلق الشيخ على هذا الكلام ويقول: كلهم اعترفوا أن جميع المخلوقات تكونت من حركة المادية القهرية الأزلية، وأنه صدر ذلك عن المادة دون أن يكون لها قصد أو علم أو إرادة، لأن المادة بحركتها مجردة عن العقل والشعور، ومحكومة بقوانين ثابتة قاهرة لا تنفك عنها، وهذا تناقض ينكره أبسط عقل، إذ لا يصح أن يكون الخالق المبدع المتصرف أحط من المخلوق، وكيف يسوغ لعاقل يحترم نفسه أن يسلم بأن السافل الناقص الأخرس العاجز المجرد عن العقل والشعور يستطيع أن يخلق الأعلى القادر العاقل المفكر السميع البصير المتكلم، ثم يرعاه وينميه ويسيره؟ وكيف يصفون الطبيعة بالتنزيه عن الفساد، ثم يصفونها عمياء عاجزة، بكماء عديمة العقل، وأنها محكومة بقوانين ثابتة قاهرة تخضعها أبد الآبدين؟[1].

وفي سياق تفسير الشيخ للآية الكريمة ينبه إلى مدلول من مدلولاتها وهو العمل على تكوين الأسرة والاعتناء بتربيتها، وأن الأب يقوم بدوره في التربية، فيتفرغ لذلك ولا ينشغل بالملهيات من تعمير المقاهي والمسارح ويضيع الأمانة، والأم كذلك لا تترك وظيفتها الشريفة وهي تربية الأجيال، وعليها الحفاظ على كيان الأسرة، ولا تنساق وراء الوظائف التي تزاحم بها الرجال، فتحاكيهم وتشابههم حتى تفقد أنوثتها التي أوجب الله عليها التزامها، وأن لا تقتدي بنساء الإفرنج الكافرات اللاتي كفرهن أعظم من ذنبهن، واللاتي أخرجتهنَّ ظروف مخالفة لظروف المسلمين وأخلاقهم، فتربية الأبناء على غير عين أبيهم وأمهم جناية على فطرتهم، وإفساد لتصوراتهم، فينشؤون نشأة مادية يكمن فيها الخواء الروحي، ومع هذا الخواء ومع احتكار اليهود وأتابعهم على مؤسسات التربية والتعليم، ووسائل النشر

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٤٠.

والتثقيف، تصادر العقول، وتسمم الأفكار، وتكون التربية أبناء المسلمين حسب تلك السياسات والمخططات اليهودية، وهجرة المسلم واجبة من كل بلد لا يقدرون فيه على إظهار دينهم بتربية أبنائهم على ما يوجبه الله، إلى البلد التي فيها تربية دينية، أو فيها حرية لهم على إنشاء مدارس للتربية الروحية الصحيحة؛ ليعرف الأبناء حقيقة التوحيد والعبادة، ولا تتعلق في أذهانهم التصورات الخاطئة[1].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معالم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من عدة جوانب، وهي:

١- على العلماء وطلبة العلم أن يمعنوا النظر في الآيات الكونية ويستخرجوا منها العبر ليتعظ بها عموم المسلمين وتزيد من إيمانهم، وليقمعوا الملاحدة المنكرين ومن على شاكلتهم من أهل المذاهب المادية.

٢- على العلماء دحض نظرية دارون الباطلة وذلك باستخدام الأدلة النقلية من الوحيين والأدلة العقلية لتصحيح الصورة للمسلمين وللرد على المعاندين، وأيضاً الاستفادة من الكتب التي ردت على هذه النظرية من العلماء المتخصصين سواء من المسلمين أو من غيرهم.

٣- يؤكد الشيخ على مسؤولية الوالدين تجاه أبنائهم، من تربيتهم التربية الصحيحة وتنشئتهم على حب الشريعة، والحرص على انتقاء أفضل المدارس لهم، وقد بينا في الوسائل التعليمية خطر المدارس الأجنبية، فليحذر أولياء الأمور من تضييعهم في تلك المدارس التغريبية.

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٣٥-٣٦.

المبحث الثاني

مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره لقصص القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: مقاومة التغريب من خلال قصة آدم مع الملائكة ومع إبليس**
- **المطلب الثاني: مقاومة التغريب من خلال قصة تعدد نعم الله لموسى ولبني إسرائيل.**
- **المطلب الثالث: مقاومة التغريب من خلال قصة طالوت وجالوت.**
- **المطلب الرابع: مقاومة التغريب من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مع النار.**

المطلب الأول: مقاومة التغريب من خلال قصة آدم مع الملائكة ومع إبليس

حوى القرآن الكريم العديد من الأخبار والقصص، كأخبار الأمم السابقة، وذكر من نجا وأفلح منهم ومن هلك وخسر وخاب، وقصص الأنبياء والصالحين، وصبرهم على أذى أقوامهم في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وذكر أحوال الجبارين المتكبرين، وكيف لاقوا حتفهم بسبب عنادهم وظلمهم، وهذه القصص تضمنت العديد من العبر والعظات، يستفيد منها المتدبر والمتأمل في جميع شؤون حياته، وقد أبدع علماء التفسير في اقتناص الفوائد والعبر منها، ومن هؤلاء العلماء الشيخ الدوسري ﷺ، فقد وظَّف بعضاً من تلك القصص القرآنية، لتكون أساساً لمواجهة التغريب، وتكون باباً عظيماً لتثبيت الإيمان في قلوب المسلمين، فبدلاً من أن تكون تلك القصص ساحة للعابثين من التغريبين والمستشرقين ليدسوا سمومهم وشبههم حولها، غير الشيخ طريقة التعامل مع هؤلاء ولم يظهر في موقف الدفاع فقط، بل جعل تلك القصص موطن هجوم عليهم وصدع بالحق،

ليهدم بها صروحهم، ويعريهم أمام أعين الملأ.

ومن تلك القصص ما ذكره الله في سورة البقرة من قصة آدم عليه السلام مع ملائكة الرحمن ومع الشيطان، ومن الوقفات التي ذكرها الشيخ في هذه القصة:

١- عند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة:٣٠]، فسر الشيخ الدوسري ﷾ هذه الآية، وقال: إن الله يُبين لأمة محمد ﷺ تكريمه لهم بالاستخلاف في الأرض، وأن هذه الآية وما بعدها توضح لنا مبدأ التكوين الإنساني والغاية منه، ومن هذا المعنى استنتج الشيخ عدة نتائج؛ منها أن الله خلق الإنسان في أشرف صورة وأحسن تقويم، فلم يجعله كالحيوان يمشي على أربع أو مُكبًّاً على وجهه، أو جعل على ظهره صوفاً أو خلق له ذيلاً، بل أكمل صورته وجعله لائقاً للخلافة، وهذا رد قوي على أصحاب نظرية النشوء والارتقاء (الدارونية)، تلك النظرية الباطلة التي أولع بدراستها وتدريسها المنهزمون هزيمة عقلية، فحقيقة النشوء والاتقاء تقع في الهيكل لا في الصورة، فأما الصورة فكل مخلوق لله من إنسان وحيوان هو باق على صورته الأصلية، فالإنسان إنسان خلقه الله في أحسن تقويم، والبعير بعير كما كان منذ خلقه الله، وقد عارض هذه النظرية الباطلة خلق كثير لمخالفتها العقل والحس والواقع، وكيف يختار الله خليفته في الأرض من هم على وصف دارون اليهودي أخي القردة والخنازير؟ وكيف يُسجِد الله الملائكة لمن هم على هذه الشاكلة؟ وكيف يخلق الله آدم بيده وينفخ فيه من روحه ويسكنه جنته وهو على هذه الحال؟ بل كيف يعاقب الله أجداد دارون من أصحاب السبت بمسخهم قردة إذا كان أصلهم قردة؟ لا يكون فعله بهم عقوبة ولا مسخاً بل يكون إرجاعاً لخلقتهم الأولى.

ورد الشيخ على دليلهم الذي يعتمدون عليه لإثبات نظريتهم، وهو وجود رفات أموات بهذه الصورة، فقال: لعلهم وجدوا قردة أصليين أو ممسوخين، ثم قال: على المسلم أن يؤمن بما صح عن نبينا الكريم ﷺ من رواية أبي هريرة ﷺ حين قال: «**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في السماء فما زال الخلق ينقص بعده حتى الآن**»[1]، فهذا الحديث مناقض لتلك النظرية اليهودية، فمن تقبلها ورفض وحي الله، فماذا يبقى عنده من الله والإسلام؟[2].

٢- عند قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [سورة البقرة:٣٧]، بيَّن الشيخ رحمه الله رحمة الله بآدم عليه السلام حيث قَبِلَ توبته بعد عثرته، فنستفيد من هذا الموقف أن الإنسان طبع على الحرص والطمع والشغف بما لم ينله، خصوصاً ما مُنع منه وحرّم عليه، فهذه الطبائع التي رُكّبت في الإنسان جعلته لا يهضم الدين ويجنح للهوى والشهوات والأنانية والتمرد على أوامر الله، لذلك نجد الله يقص علينا قصص المتمردين على أنبيائهم منذ عهد نوح عليه السلام، فقول الملاحدة المعاندين في زماننا: "إن الدين لا يصلح لهذا العصر ولا يساير التطور"، قول باطل لأن الدين الحق صالح ومصلح لكل عصر وزمان، ويساير التطور الصحيح، وليس لعصر من العصور طبائع ما ضد الدين، فالعصور واحدة ولكنها الطبائع البشرية التي تضيق ذرعاً بالتكاليف مهما كانت صغيرة، والبشر حالهم كحال آدم وزوجه حيث لم يكتفيا بما أعطاهما في الجنة من صنوف النعيم فانقادا إلى وسوسة الشيطان، فحالة أبنائهم

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ج٨، ص٥٠، رقم (٦٢٢٧) بلفظ: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا)). و: باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم (٣٣٢٧)؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم، ج٤، ص٢١٧٨، رقم (٢٨٣٤)، بلفظ: ((أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ)).

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٧٦-٨٠.

كحالتهم حتى يقفوا عند حدود الله، وإلا فهم يتمردون على الدين بحجة عدم صلاحه، أي موافقته لأهوائهم.

ثم رد الشيخ على ما يستدلون به من أن الأديان السابقة لم تصلح لأزمنة أخرى فقد حاربت العلم وأهله، فبين الشيخ أنه لا يحق لهؤلاء وأذيالهم أن يقيسوا دين الإسلام بما حصل من فشل وتحريف في اليهودية والنصرانية، فعدم صلاحية دينهم للاستخلاف والقيادة العالمية على جميع الأرض هو بسبب تلاعبهم بالكتاب[1].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معالم مقاومة الشيخ للتغريب من عدة جوانب، وهي:

١- يُكمل الشيخ في هذه القصة رده على نظرية داروين، ليزيل الغشاوة من على أعين وعقول الذين أعجبوا بها من أبناء المسلمين ومن أولع بدراستها وتدريسها، فيرد على هذه النظرية رداً عقلياً رصيناً، ليدحض شبهاتها التي تعتبر من ركاز الفكر التغريبي، والذي أسهم في زعزعة العقيدة من قلوب المسلمين، ومن التفاسير التي تطرقت لنظرية داروين عند هذه الآيات؛ تفسير المفكر عبد الكريم الخطيب ﷺ المسمى بـ **(التفسير القرآني للقرآن)**، فقد تناول التفسير نظرية داروين من زاوية أخرى مخالفة لتفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، حيث يرى الخطيب أن مقولات داروين التي أنكرها علماء الدين، وهاجوا وماجوا من أجلها، إنما تقوم على علم وتجربة، وقد يكون فيها قليل أو كثير من الخطأ في الاستنتاج، ولكن الذي ينبغي أن يكون عليه موقف العقل إزاءها، هو الاحترام لها، وتقدير الجهد الذي بذل فيها، والنظر فيها، وأخذ ما يطمئن إليه منها، أما صد العقل عنها، فذلك امتهان للعقل، وتعطيل للوظيفة التي خلق لها، ثم إن داروين على حد قول المؤلف لم يكن منكراً لله ولا كافراً به، بدليل

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٠٢-١٠٣.

ما نقل عنه من أقوال تثبت ذلك[1].

وفي الحقيقة بعد التأمل في كلام المفسرين رحمهما الله، نجد أن الشيخ الدوسري لم يغفل العقل في نقده للنظرية بل ناقشها ورد عليها في هذا الموضع وفي الموضع السابق من البحث بكل عقلانية وبفكر منفتح، خاصة أن الشيخ كان نقده مركزاً على النتيجة النهائية للنظرية والتي تخالف بشكل صريح وواضح الآيات القرآنية، ومما يدل على انفتاح الشيخ إشارته إلى من فنَّد وانتقد النظرية من خارج النطاق الشرعي بل ومن خارج نطاق الديني الإسلامي، فهناك من نقد النظرية من المفكرين المسلمين وغير المسلمين، وهذا من احترام العقل، وأما مسألة كون داروين لم ينكر وجود الله فهذا الأمر لا يمنع منتقديه من الرد عليه ونقض نظريته التي خالفت قصة خلق الله للبشر التي وردت في القرآن الكريم.

٢- الطبيعة البشرية جبلت على الجنوح للشهوات والتمرد على رب البريات، بدليل حديث أنس بن مالك ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[2]، يقول النووي في شرح الحديث: "قال العلماء هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر على الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات

---

(١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم محمود، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت) ج١، ص٦٥-٦٦.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ج٤، ص٢١٧٤، رقم (٢٨٢٢).

التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك"[1]، ومن التمرد الزعم أن الدين لا يصلح لهذا العصر، فيخبر الشيخ أن هذا القول هو من أفكار التغريبيين وهو قول باطل وعلى قائله أن يكون كأبيه آدم في الرجوع إلى الله، والتوبة والرجوع إليه، ثم رد حجتهم بأن مسألة فساد الدين حصلت في زمن الأديان السابقة حين حاربت العلم، فيرد الشيخ على هذه الشبهة أنه لا يصح قياس الإسلام على الأديان السابقة لأنها حرفت وبدلت.

المطلب الثاني: مقاومة التغريب من خلال قصة تعدد نعم الله لموسى ولبني إسرائيل

في سورة البقرة سردٌ لتاريخ اليهود الحافل بالمكر والخديعة مع الأنبياء والصالحين، فرغم إكرام الله لهم بالعديد من النعم إلا أنهم تنكروا لها، وقد بين الله أساليبهم في المكيدة والتلاعب بالدين مع الأنبياء السابقين، ومع نبينا محمد الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، حتى تكون هذه المواقف والقصص عبرة ومنهاجاً لنا في طريقة التعامل مع هؤلاء القوم، فهم أساس الفساد والشر، وهم منشأ التغريب كما بينا مسبقاً، ومن الآيات التي تبين حال اليهود، وكان للشيخ الدوسري وقفة معها:

١- عند قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٧-٤٨]، حيث ذكر الشيخ الدوسري ﷾ أن في الآية نداء من الله

(١) النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)**، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ج٩، ص١٦٨-١٦٩.

لليهود، يذكّرهم فيه بنعمه عليهم، فقد ذكر الله في آيات البقرة عشر نعم أنعم الله بها عليهم، ولكنهم تنكروا لها، ونقضوا العهود، وجَنَوا على التوراة، وقاموا بالمؤامرات المتواصلة على المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى اليوم، لم تنقطع ولم تفتر ولم تتغير إلا في الشكل دون الحقيقة، فهذا عهدهم وتعاملهم مع المسلمين عبر العصور، فرغم كونهم مضطهدين في فترة من الفترات، ولم يجدوا مكاناً يحفظ لهم حريتهم إلا عند المسلمين، إلا أنهم دسوا الدسائس بين المسلمين وأعانوا المستعمر على الأمة، وجندوا فيها الخونة حتى تفرقت في زماننا(١).

٢- ويواصل الشيخ نفائسه مع قصص اليهود وأحوالهم، فعند قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة البقرة:٤٩]، يوضح أن هذه من النعم التي يذكّر الله فيها اليهود، إذ إنه أنقذ أسلافهم من جرم آل فرعون، وأن عليهم شكر الله المنقذ لهم شكراً عملياً؛ وذلك بالإيمان بمحمد ﷺ، وعند هذه الآية يذكر الشيخ مقولة أكبر إله آبادي الهندي حين علق على تعذيب فرعون لبني إسرائيل فقال: "إن فرعون مصر أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببني إسرائيل مسلك الإرهاب والتنكيل فانتصروا عليه، وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه، ولكن لو أنشأ مدارس وجامعات يقلب فيها أفكارهم ويبلور فيها صدورهم ويقتل رَومَهم (أي مرادهم) قتلاً معنوياً يجعلهم ينحرفون عن هدفهم الأصيل، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون في تحصيله، لو عمل هذا لاستراح وأراح غيره منهم، وسجل له التاريخ مفخرة خدمة العلم بدلاً من لعنات البطش والإرهاب" ويرى الشيخ أن الغزو الفكري بدعوى العقلانية والمدنية والحرية والتطور وما إلى ذلك من الأمور التي جعلت المسلم يبيع دينه، أخطر من إرهاب

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢٦-١٢٧.

فرعون لبني إسرائيل، فبالإرهاب الفكري تفسد القلوب وتتفتت العقيدة[1].

٣- ويمضي الشيخ ﷺ في استنباطاته حول اليهود، ففي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة البقرة:٦١] الآية، ذكر أن معنى المسكنة ليس الفقر، فاليهود كما نرى في عصرنا يمتلكون الأموال الطائلة في الأسواق والبورصات ليصدوا الناس عن الإسلام، بل المقصود فقر العزة والاستقلال الشخصي، فهم لا يرفعون رؤوسهم بدون مساند من نصارى ومنافقي المسلمين والمحسوبين على الإسلام وهم أبعد الناس عنه كالدروز والنصيرية والقرامطة ونحوهم، وقد تغلبوا علينا بسبب الحكم العلماني الطاغي على بلاد المسلمين[2].

٤- ومن الآيات أيضاً قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة البقرة:٦٤]. وهنا استطرد الشيخ بعد أن بيّن خسة الطبع اليهودي، وكيف أن كل الآيات السابقة قد وجهت لليهود الذين عاصروا النبي ﷺ ليتعظوا، ومع ذلك عاندوا وحاربوه، فهذا العناد مستمر فيهم وعند عمومهم، فكيف يطلب المسلم مؤاخاة من هم على هذا الطبع؟ فيحذّر الشيخ من خطر الوطنية على حساب الأخوة الإسلامية، فيؤاخي المسلم الشخص الماسوني أو النصراني أو الملحد باسم الوطن والعروبة، ويضربون بملة محمد

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٣٠-١٣٣.

(٢) ينظر: الدوسري، **المرجع السابق**، ج٢، ص١٦١-١٦٢.

عرض الحائط[1].

٥- ويستمر الشيخ ﷺ في الاستنباطات لفضح اليهود عبر تاريخهم القبيح، فعند قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة البقرة:٦٥]، حيث ينتقل المشهد إلى قصة أصحاب السبت، فيذكّر الشيخ بأهمية شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعصريون المعطلون لهذه الشعيرة يتهربون من هذا الواجب بزعمهم أنهم ليسوا مسؤولين عن خطايا الآخرين، ولا يدركون الخطر الذي قد يصيبهم إذا تركوا هذه الشعيرة، قال ابن عباس ﷺ: «**فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين ينهون عن السوء لقلنا أهلك الجميع منهم**»[2].

ومن خلال هذه الآية أيضاً يرد الشيخ على من يحاولون إخضاع نصوص القرآن لعقول الغربيين ومفاهيمهم، حيث رد على شبهة المتأثرين بالعقل الغربي بقولهم المسخ الذي حصل لأصحاب السبت ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ كان بقلوبهم وليس بصورهم، فرد الشيخ على هذه المسألة من خمسة أوجه، فأطال وأجاد فيرجع للمسألة في موضعها من تفسيره[3].

٦- ومن الشواهد التي تثبت قسوة قلوب اليهود ومن هاودهم، ما قاله الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٧٦.

(٢) ينظر: الدوسري، **المرجع السابق**، ج٢، ص١٨٢. وانظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج٢، ص١٧٠.

(٣) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٨٤.

﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [سورة البقرة:٧٤-٧٥]، حيث بيَّن الشيخ أن الله أخبر المؤمنين في هذه الآية بقساوة قلوب اليهود، وأنه لا مطمع في هدايتهم بسبب طبائعهم المذمومة، وكذلك هداية أصحاب المبادئ العنصرية والمذاهب المادية من شيوعية وبعثية وذيولها، مستصعب جداً، لأن مذهبهم مأخوذ من تعاليم اليهودية المعقد والمركَّز فيها حب المادة والأشخاص، والاستعلاء على الناس ونهب أموالهم، وإهلاك الحرث والنسل، فأصبحوا أفرخاً لليهود(١).

٧- وها هو الشيخ هنا يكمل تفسيره للآيات التي تفضح اليهود، ففي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤﴾ [سورة البقرة:٨٣-٨٤]، أخبر باعتناء الله في نشر مخازي اليهود رحمة بهذه الأمة وتوعية لها، لتحذر من سلوكهم وأساليبهم وأفكارهم، ومن أساليبهم نشر فسادهم عبر وكلائهم المتمركزين في المراكز الدينية والدنيوية، ومن أفكارهم فصل الدين عن الدولة، وأن الدين ليس له دخل في السياسة، على الرغم من أن وحي الله مملوء من دحض شبهتهم هذه، وكذلك من خططهم تدبير الثورات والانقلابات حول العالم عبر أفراخهم وتلاميذهم الذين صُنعوهم على أعينهم بتربية خاصة أو توجيه خاص(٢).

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٢، ص٢٣٧-٢٤٥.

٨- وأختم بهذا الاستنباط من الشيخ ﷺ عن أحوال اليهود، فعند قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة البقرة:٩١]، حيث قال: هذا ديدنهم في قتل كل نبي وداعية عبر مكرهم باستغلال السذج من طغام الناس، ولا يزالون يحيكون الدسائس ويروجون الإشاعات والأكاذيب، وإثارة الفتن ضد قادة الإسلام، كما فعلوا بحكام الأندلس، فيقتلون كل عظيم لا يستجيب لمطالبهم، ولا يبالي بذهبهم الكثير، وقد قتلوا السلطان عبد الحميد قتلاً معنوياً بخلعه في أبشع صورة، مما أزالوا به دولة الوحدة الإسلامية، التي لا تزال ترويجاتهم ضدها تُدَرَّس حتى الآن(١).

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معالم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من عدة جوانب، وهي:

١- في الآيات السابقة أثبت الله للمسلمين مكر اليهود عبر سرد تاريخهم، وبين بعض صفاتهم وطباعهم وسلوكهم ليعرفها كل مسلم فلا ينخدع بهم، ومن تلك الصفات:

أ) أنهم ينكرون الجميل، ولا يقدرون حق المتفضل عليهم ولا يشكرونه، بل من سوء خلقهم يجحدون ذلك ثم يسعون في إضرار المنعم عليهم وأذيته، كما فعلوا مع الله حين أكرمهم بالعديد من النعم وأنجاهم من ظلم فرعون وجنوده ومع ذلك عصوه وحرفوا كتبه وقتلوا رسله وحاربوا أوليائه وقالوا عنه عدة عبارات شنيعة كقولهم عزير ابن الله، وقولهم الله فقير ونحن أغنياء وغير ذلك، وأيضا الدول الإسلامية السابقة أكرمتهم بأن احتضنتهم بعد أن كانوا مضطهدين ومشردين، ولكنهم حاكوا للمسلمين الدسائس والشرور كشرهم

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٦٧.

في صناعة أفراخ لهم من بين المسلمين يتكلمون بلسانهم ويفعلون الأفاعيل بالمسلمين.

ب) ومن صفاتهم الذلة والهوان وأنهم ضعاف لا يستطيعون إضرار المسلمين وهزيمتهم بأنفسهم؛ بل يستعينون بالقوى الأخرى لتحقيق أهدافهم الدنيئة سواء كانت قوى خارجية كالنصارى أو داخلية تعيش بين المسلمين كالباطنيين والقوميين والتغريبيين وغيرهم.

ج) وصف الله قلوبهم أنها قاسية، وليس من السهل هداية أصحاب هذه القلوب الذين تطبعوا على المكر والخديعة، ويقيس الشيخ حال قلوبهم اليهود بحال قلوب أفراخهم من التغريبيين الذين تتلمذوا على أيديهم وأشربوا المبادئ المادية، والحقد الدفين لأهل الدين، ولكن هذا الأمر لا يمنع من دعوتهم للحق ونصحهم المستمر بشتى الوسائل والطرق الممكنة كما دعا الله سبحانه وتعالى اليهود إلى الحق وإلى اتباع محمد ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤]. قال الطبري في تفسير هذه الآية: قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل، هلموا إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، أن نوحد الله فلا نعبد غيره ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً، ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، فإن أعرضوا فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون(١).

٢- بعد هذه الصفات التي ذكرت يتساءل الشيخ كيف يقول البعض أنهم اليهود اخوتنا في الوطنية وهم قوم فضحهم الله بسرد تاريخهم القديم وبين صفاتهم ومكرهم؟

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، ج٦، ص٤٨٣.

٣- من اللفتات الموفقة التي ذكرها الشيخ مسألة قوة الوسائل التعليمية في التغريب، ومثَّل على ذلك بفرضية لو أن فرعون أخذ بسياسة الغرب في وضع الطعم -أي أفكاره- بداخل الوسائل التعليمية لاستطاع أن يغيرهم ليقفوا معه ويكونوا موالين له وفي نفس الوقت لسطر التاريخ له أنه مؤسس التعليم في مصر بدلاً أن يدخل التاريخ من أسوء أبوابه كقاتل ومجرم.

٤- من الأفكار التغريبية محاربة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ربط الشيخ هذا الأمر بقصة أصحاب السبت، وبالفعل هؤلاء القوم ليس لديهم حس الواجب المجتمعي وهو النصح والأخذ بيد الضعيف والمقصر، فيوضح لهم الشيخ أن هذه العبادة سبب لنجاة المجتمعات، والدليل على كلام الشيخ ما أخبر عنه النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[1].

قال ابن حجر في شرح الحديث: **(مَثَلُ المُدْهِنِ)** أي المحابي، والمدهن والمداهن واحد، والمراد به: من يرائي ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر، إذا كان المداهن مشتركاً في الذم مع الواقع صارا بمنزلة فرقة واحدة، وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب أن الذين أرادوا خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المدهن، وحمل ابن

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشركة، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، ج٣، ص١٣٩، رقم (٢٤٩٣). و: كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، ج٣، ص١٨١، رقم (٢٦٨٦) بلفظ: ((مَثَلُ المُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلاَ بُدَّ لِي مِنَ المَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ)).

التين قوله هنا: **(وَالوَاقِعِ فِيهَا)** على أن المراد به القائم فيها واستشهد بقوله تعالى: **{إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١}** [سورة الواقعة:١]، أي قامت القيامة ولا يخفى ما فيه، وكأنه غفل عما وقع في الشركة من مقابلة الواقع بالقائم.

وقوله: **(اسْتَهَمُوا سَفِينَةً)** أي اقترعوها، فأخذ كل واحد منهم سهما أي نصيباً من السفينة بالقرعة بأن تكون مشتركة بينهم إما بالإجارة وإما بالملك، وإنما تقع القرعة بعد التعديل، ثم يقع التشاح في الأنصبة فتقع القرعة لفصل النزاع كما تقدم، قال ابن التين: وإنما يقع ذلك في السفينة ونحوها فيما إذا نزلوها معا، أما لو سبق بعضهم بعضا فالسابق أحق بموضعه، قلت: وهذا فيما إذا كانت مسبلة مثلاً، أما لو كانت مملوكة لهم مثلا فالقرعة مشروعة إذا تنازعوا والله أعلم.

قوله: **(فَتَأَذَّوْا بِهِ)** أي بالمار عليهم بالماء حالة السقي.

قوله: **(فَأَخَذَ فَأْسًا)** بهمزة ساكنة معروف، ويؤنث.

قوله: **(يَنْقُرُ)** بفتح أوله وسكون النون وضم القاف أي يحفر ليخرقها.

قوله: **(فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ)** أي منعوه من الحفر **(أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ)** أي كل من الآخذين والمأخوذين، وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها، قال المهلب وغيره: في هذا الحديث تعذيب العامة بذنب الخاصة، وفيه نظر لأن التعذيب المذكور إذا وقع في الدنيا على من لا يستحقه فإنه يكفر من ذنوب من وقع به أو يرفع من درجته، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف، وتبيين العالم الحكم بضرب المثل، ووجوب الصبر على أذى الجار إذا خشي وقوع ما هو أشد ضررا، وأنه ليس لصاحب السفل أن يحدث على صاحب العلو ما يضر به، وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه، وأن لصاحب

العلو منعه من الضرر[1].

٥- من الشُّبه التغريبية التي قاومها الشيخ، هي مسألة أن المسخ في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ لا يوافق العقل، وقد ردَّ الشيخ على هذه الشبهة في تفسيره، ولكن القضية عندهم ليست مع هذه الآية فحسب، وليست مع هذه المسألة بعينها، بل الأمر أعظم من ذلك، فهم كما ذكرنا مسبقاً في الوسائل الفكرية والثقافية لديهم إشكالية مع الدين بأكمله وليس مع بعض تفاصيله التي قد لا تستوعبها عقولهم القاصرة، وينتهجون منهج التلقيح الثقافي للفكر الإسلامي، بأن يخضعوا نصوص القرآن والشريعة لأنماط الغرب، ويفتحون باب التأويل في ذلك حتى يتوافق النص لأفكارهم ومبادئهم.

وإن كنا سنرجع إلى أصل الخلاف في هذه المسألة، فقضية المسخ الصوري خالف فيها بعض العلماء، يقول ابن عاشور رحمه الله: "وتكوينهم قردة يحتمل أن يكون بتصيير أجسامهم أجسام قردة مع بقاء الإدراك الإنساني وهذا قول جمهور العلماء والمفسرين، ويحتمل أن يكون بتصيير عقولهم كعقول القردة مع بقاء الهيكل الإنساني وهذا قول مجاهد، والعبرة حاصلة على كلا الاعتبارين، والأول أظهر في العبرة لأن فيه اعتبارهم بأنفسهم واعتبار الناس بهم، بخلاف الثاني، والثاني أقرب للتاريخ؛ إذ لم ينقل مسخ في كتب تاريخ العبرانيين، والقدرة صالحة للأمرين والكل معجزة للشريعة أو لداود، ولذلك قال الفخر[2] ليس قول مجاهد ببعيد جداً لكنه خلاف الظاهر من

---

(١) ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج٦، ٥٦٨-٥٦٩.

(٢) ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ج٣، ص١٠٣، حيث قال: "ولما ثبت بما قررنا جواز المسخ أمكن إجراء الآية على ظاهرها ولم يكن بنا حاجة إلى التأويل الذي ذكره مجاهد ﷺ وإن كان ما ذكره غير مستبعد جداً لأن الإنسان إذا أصر على جهالته بعد ظهور الآيات وجلاء البينات فقد يقال في العرف الظاهر إنه حمار وقرد وإذا كان هذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة لم يكن في المصير إليه محذور ألبتة".

الآية، وليس الآية صريحة في المسخ، ومعنى كونهم قردة أنهم لما لم يتلقوا الشريعة بفهم مقاصدها ومعانيها وأخذوا بصورة الألفاظ فقد أشبهوا العجماوات في وقوفها عند المحسوسات فلم يتميزوا عن العجماوات إلا بالشكل الإنساني وهذه القردة تشاركهم في هذا الشبه وهذا معنى قول مجاهد هو مسخ قلوب لا مسخ ذوات"[1].

إذا ففرق بين من ينكر المسخ الصوري والجسماني لأنه لا يتوافق مع عقله ولا يتناسب طرحه مع معايير العقل الغربي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات، ومع من ينكر المسخ الصوري بناء على خلاف شرعي معتبر.

٦- من الوسائل السياسية للتغريب التي ذُكرت في الفصل السابق: الانقلابات العسكرية، وفصل الدين عن الدولة، وكانت هذه الوسائل جلية وواضحة في آيات قصة اليهود، لذلك نبه الشيخ عليها في هذه الآيات وبين أن هذه الوسائل من مخططات اليهود التي يجب تحذير الأمة منها لمقاومتها.

المطلب الثالث: مقاومة التغريب من خلال قصة طالوت وجالوت

من القصص التي فسرها الشيخ الدوسري ﷺ وكانت له فيها لفته مهمة، قصة طالوت وجالوت، فبعد تفسيره للآيات المتعلقة بالقصة ختم كلامه بتقرير أمرين عظيمين:

"**أحدهما:** أن النصر للقوة الروحية لا القوة المادية، أي أنه للقوة المستعلية على جميع الشهوات والأنانيات، لا للقوة كثيرة العدد، وأن التربية الماسونية المسماة بالتربية الحديثة ليست لصالحنا وإنما لصالح أعدائنا، فلا يجوز للمسؤولين التمادي فيها، بل يجب عليهم العودة إلى التربية المحمدية، تلك التربية التي صنعت الأعاجيب، وحولت مجرى التاريخ وغيرت خارطة العالم.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٥٤٤.

ثانيهما: تقرير الله للحكمة من الجهاد، وأن مشروعيته ليست للسلب والمغنم ولا للزهو والاستعلاء، وبناء مجد أمة على ذل أمة أخرى، ولكن مشروعيته لإصلاح أهل الأرض، حيث يسيطر عليهم دين واحد، وتحكمهم شريعة السماء لا شرائع الأهواء(١).

وبهذا يمكن استنباط مقاومة الشيخ ﷺ للتغريب من خلال الاعتبار بأنَّ العزة والتمكين لمن تمسك بالدين، فلا ننبهر بقوة وفتوة الماديين فهي قوة لحظية ووهمية زائفة، وأن الأمة لكي تتغلب عليهم يجب أن تحكّم شرع الله، وتجاهد في سبيل الله.

المطلب الرابع: مقاومة التغريب من خلال قصة إبراهيم عليه السلام مع النار

في قصة رمي إبراهيم ﷺ بالنار، وقول الله للنار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٩]، كانت للشيخ ﷺ لمحة جميلة، وهي أن نصر إبراهيم هو نصر لعباد الله من بعده، فكل من صدق مع الله من ملة إبراهيم، ووثق بنصر الله، وصمد كصمود أبيه إبراهيم، فسينجيه الله من شر أعدائه، فيفسد مفعول صنعتهم، ويجعلها لا تحرق ولا تضر، والله غالب على أمره، فليس نصره موقوفاً على إبراهيم، بل يعم كل من سلك ملة إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم:٤٧]، فعلى الأمة السعي الصحيح لتحقيق الإيمان الذي أبعدتنا عنه الثقافة الماسونية اليهودية، التي ركزها الاستعمار بجميع أنواعه(٢).

فالشيخ يوجه أهل الحق الذين يصدون التغريب ويقاومونه، أنه مهما لقوا من أذى التغريب وأتباعه، فإن الله ناصرهم كما نصر إبراهيم، وكل أذى يتلقونه في هذا الطريق سيكون برداً وسلاماً

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٢) ينظر: الدوسري، **المرجع السابق**، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨.

وهيناً عليهم بإذن الله إن صبروا واحتسبوا، يقول المراغي ﷺ: "أي وأرادوا بإبراهيم مكراً لإيصال الأذى به، فجعلناهم من ذوي الخسران والوبال، إذ صار سعيهم في إطفاء نور الحق قولاً وفعلاً– برهاناً على أنه ﷺ على الحق وهم على الباطل، وأنهم استحقوا أشد العذاب، وفى هذا القصص من العبرة– أن الجهاد لنصرة الحق والفضيلة فيه الخير كل الخير، وأنه مهما صادف المرء فيه من آلام وأهوال فهي هيّنة لينة، فلنجاهد إذا مثل ما جاهد إبراهيم، فإن متنا أو قتلنا فإن ما يصيبنا في سبيل الحق يكون لنا عزا وشرفا"(١).

وفي ختام هذا المبحث، نورد ما قرره الشيخ الدوسري من أن الله ذكر في القرآن الكريم قصصاً عديدة من قصص الأنبياء التي يثبت فيها أن دينه الإسلامي دين ودولة، ودين وسياسة وحكم، وتجد ذلك واضحاً في قصة شعيب وموسى ويوشع بن نون وداود وسليمان وغيرهم، وأحاديث السنة متوافرة في ذلك، ويكفي المسلمين سيرة نبيهم ﷺ الواجب عليهم اتباعها اقتداء به، فهو إمامهم في المحراب للصلاة، وإمامهم في الحكم وتكوين سياسة الدولة، وهكذا يجب على المسلمين أن يولوا عليهم إماماً يبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يسلك بهم ما سلكه نبيهم في إقامة هذا الدين، وينتهج بهم منهجه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويقيم علم الجهاد خفاقاً لإعلاء كلمة الله، ببسط نفوذ دينه في الأرض، وتحكيم شريعته، وإقامة حدوده، وقمع المفتري عليه، فلقد كان رسول الله ﷺ قائداً حربياً، وكان خير أسوة في الشجاعة المنقطعة النظير وقوة الصبر والثبات، وكان مع هذا سياسياً محنكاً يدير شؤون الأمة الداخلية والخارجية على أقوم الأسس وأحسن الوجوه، ويبرم المعاهدات بينه وبين اليهود، وبينه وبين المشركين، والمعاهدة التي عقدها مع اليهود بعد الهجرة

---

(١) المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، ج١٧، ص٥١.

تعتبر من أروع الوثائق السياسية[1].

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص١٨٠-١٨١.

المبحث الثالث

مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره لآيات الأحكام

ويشتمل على خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: مقاومة التغريب من خلال آيات القصاص**
- **المطلب الثاني: مقاومة التغريب من خلال آيات الوصية**
- **المطلب الثالث: مقاومة التغريب من خلال آيات الصيام**
- **المطلب الرابع: مقاومة التغريب من خلال آيات الحج**
- **المطلب الخامس: مقاومة التغريب من خلال آيات الجهاد**

المطلب الأول: مقاومة التغريب من خلال آيات القصاص

لقد كانت أحكام الشريعة الإسلامية في مرمى سهام المستشرقين والتغريبيين، فعبر منصاتهم يرمون شبههم عليها تارة، وسخريتهم واستهزاءهم تارة أخرى، وهدفهم من هذا التشغيب ومن هذه الشيطنة إسقاط عظمة هذه الشرائع والشعائر من نفوس المسلمين، لذا تصدى العلماء لتلك الهجمات، ودافعوا عن تلك الأحكام، وردوا تلك الشبه بالحجج النقلية الثابتة والعقلية الراجحة.

ومن تلك الشرائع حكم القصاص، فعند قول الله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٧٩]، ذكر الشيخ الدوسري ﷾ أن الحياة هي المطلوبة بالذات، وأن القصاص وسيلة من وسائلها، وأن الاكتفاء بالدية لا يردع كل أحد، وكم من غني تطغيه ثروته على قتل من يعاديه ولو يدفع أضعاف الديات، ولكنه إذا عرف أن لا مندوحة له عن القصاص

ارتدع، وكذلك السجن الطويل ليس برادع للمجرمين، خصوصاً سجن هذا الزمان، فالمجرمون يعتبرون السجن كفندق يستريحون فيه ليأكلوا ويتعالجوا، فالحياة فيه أفضل من حياتهم البائسة في الخارج، ويطمعون إن دخلوا أن يشملهم العفو الذي يصدر في المناسبات كيوم عيد جلوس الحاكم، وقد اشتهرت كلمة عن أحد المحبوسين أنه قال للسجان يوم خروجه: "أرجو ألا يحل بمقعدي أحد ولا ينقل فراشي فإني سوف أرجع إليه".

ثم قال الشيخ: ليعلم تلاميذ أوروبا الذين يستبشعون القصاص لأنه غير ملائم للإنسانية العصرية، كيف أن من سلبوا عقولهم هم من يقتلون الجماعات لأدنى غرض سياسي بلا تعقل أو رحمة، ويلقون الأحياء في مقابر جماعية بسبب التمييز العنصري أو التعصب الديني[1].

ومن خلال حديث الشيخ عن القصاص يمكن استنباط معلم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من جانب وهو:

الزعم أن الشريعة غير صالحة للعصر الحالي هي فكرة غربية نشرتها كتب ودراسات المستشرقين، وتبعهم عليها طلابهم ممن يسمون بالحداثيين والتنويريين، وقضية القصاص هي من أكثر القضايا التي يثيرونها بحجة أنها تتعارض مع مبادئ حقوق الإنسان، والشيخ هنا قاوم التغريب بذكر ردود عقلية على بعض الشبه بأسلوبه الفريد والسهل، ألجم بها كل حاقد على الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: مقاومة التغريب من خلال آيات الوصية

لقد طالت أيدي العابثين أحكام الوصية لبث شبههم المغرضة، فاستغلوا فرصة وجود الخلاف الفقهي في بعض المسائل المتعلقة بالوصية ليدخلوا من خلالها إلى العبث بالشريعة، ونشر الشبهات

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٤٨-٤٩.

حول القرآن والسنة، ومن فقه الشيخ ﵀ أنه تنبه لمثل هذه المكائد، فعند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٠]، ناقش بعض الأحكام العلمية والفقهية المرتبطة بالآية، ومن ضمنها: هل يوجد تعارض بين هذه الآية وآية المواريث؟ ففصّل الشيخ في المسألة وأطال وأجاد، ثم تطرق لمسألة مهمة وهي الزعم أن دلالة القرآن ظنية وليست قطعية، وسبب ورود هذه المسألة هنا، لأن البعض قال إن حديث لا وصية لوارث ينسخ الآية، فأصّل الشيخ للمسألة تأصيلاً علمياً، وبين خطورة هذا القول، وأن هذا الأمر دب إلى بعض أهل العلم بسبب التقليد لعلماء الكلام المتأثرين بمصطلحات المنطق اليوناني، وكيف أن هذا القول يُسعد الأمم الكافرة عامة والماسونية اليهودية خاصة، ويفتح باب للتلاعب بالدين[1].

ومن خلال تفسير آيات الوصية يمكن استنباط معلم مقاومة الشيخ للتغريب من جانب وهو: إدراك الشيخ لخبث هؤلاء القوم من حيث تلاعبهم في باب الخلافات الفقهية وخلافات العلماء في سائر علوم الشريعة، وهذا الأمر يؤكد على بصيرة الشيخ وفهمه لمخططات الأعداء.

المطلب الثالث: مقاومة التغريب من خلال آيات الصيام

كانت للشيخ الدوسري ﵀ وقفات عديدة عند آيات الصيام، وما يخص مدافعته للتغريبيين ووسائلهم وأفكارهم فيها على النحو الآتي:

١- عند قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٧٠-٧١.

﴿مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٣]، بيَّن الشيخ أن الصوم صحة للقلوب وللأرواح وللأدمغة، فبه يحصل حسن التفكير، ومن حسن التفكير الإقرار بنعم الله وإحسانه وأنه من الشقاء الكفر بالله، فالصائم يتفطن فيصح تفكيره من تأثير الصيام، فيستنير بنور الله، ويحقق طاعته له، ويرفض الاستجابة لغيره أو طاعة سواه من ملاحدة الشرق والغرب الذين يدَّعون الفلسفة المتناقضة، ويخرج من شهر الصيام بإنسانية جديدة تحمل القوة المعنوية والطموح الصحيح، والشموخ برأسه إلى استلام القيادة العالمية التي هيأه الله لانتزاعها من اليهود العابثين بمقدرات أهل الأرض، ويربأ بنفسه من عار التقليد والتبعية التي ابتلي بها كثير من العصريين المتشدقين بمسايرة الركب والتطور، المفتونين ببريق المادية البهيمية[١].

٢- ومما ذكره الشيخ أن تربية الشارع الحكيم جمعت بين الروح والمادة بميزان تغلب فيه الروح وترجح، فتسيطر على مشاعره من الانحراف، فمن لم يتأثر بما يقوله ويعمله من أركان الإسلام تأثراً روحياً ومعنوياً تنسبك به أخلاقه وطبائعه، فليس جديراً بحمل رسالة الإسلام والدعوة إليها في جميع نواحي الأرض، والمسلمون متى ما تقاعسوا عن واجبهم، وجعلوا عبادتهم عبارة عن طقوس روتينية، قست قلوبهم وغُلبوا من أعدائهم أصحاب المبادئ الوثنية والمذاهب المادية الحديثة سياسياً وثقافياً[٢].

٣- ومن الإشارات التي ذكرها الشيخ ما حصل لبعض أبناء المسلمين ممن تربى على يد الإفرنج، من خلال أساتذة السوء أو من خلال وسائل النشر، فكانوا يستهجنون عبادة الصيام، والبعض يستهزأ بها، فيرد الشيخ عليهم أن هذا الصوم لو شرع من قبل المنظمات الغربية على جيوشها

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٩١-٩٢.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٣، ص٩٣-٩٤.

أو شبابها أو كشافتها، لأصبح الأمر بالنسبة لهم محل فخر وإعجاب واعتزاز، ولكنه تشريع من رب العالمين لذلك تم استهجانه[1].

٤- ومن الشبه التي يلقيها الأشقياء على فريضة الصوم ويحملها أذنابهم من بني جلدتنا من أفراخ الافرنج، زعمهم أن شهر رمضان شهر ينقص من الإنتاج، فيرد الشيخ عليهم بأن الواقع يكذّب ذلك، فقد جرب المسلمون الصيام في وقت شدة حر الصيف ولم يضعفهم ويقلل من إنتاجهم، ثم يتعجب الشيخ منهم أنهم لا يعتبرون الأعياد القومية المختلفة مع كثرتها منقصة للإنتاج، وهي لو قورنت بالنقص الوهمي الذي يزعمونه في الصيام لزادت عليه[2].

٥- ويواصل الشيخ ﷺ نفائسه مع آيات الصيام، عند قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة:١٨٥] الآية، فيوجه الشيخ من اغتر بالقومية العربية ويقدمها على انتمائه الإسلامي، أنه يجب أن ينتبه لمقاصد الأعداء حتى لا ينجرف في تيارهم، وعلى كل من يعتز بعروبته أن يلتفت التفاتة صحيحة إلى القرآن الكريم، ويجعل من عروبته أكبر حافز على أخذه بقوة، ولا ينجر وراء القوميات والوطنيات التي تسيرها الماسونية اليهودية، فالله شرف العرب وأكرمهم في مثل هذا الشهر الفضيل مما يقرب من أربعة عشر قرناً بإنزال هذا القرآن الكريم بلغتهم العربية، مختاراً لها أن تكون هي اللغة الرسمية في جميع بقاع الأرض.

لقد انتشرت لغة القرآن وقت أسلافنا الذين شكروا نعمة الله بالعمل، ورعوا أمانته في حمل رسالته، فواجبنا تبيين قيمتنا بين الأمم وذلك بنشر لغتنا على أوسع نطاق، ونكون أساتذة العالم،

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٠١.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٣، ص١٠٢.

وحملة النور والصلاح والهداية والسلام، فنحن أمة التصدير كما أوجب الله علينا ذلك، ومن لم يقم بالتصدير انعكس أمره فكان مستورداً[1].

٦- ثم تحدث الشيخ عن محاسن الصوم وفوائده وأسراره، وأنه يربي على الأخلاق الفاضلة كالصبر والتحرر من سلطان الهوى وسلطان الغرائز، ثم استطرد في تفسيره ليعلق على بعض آيات سورة الحجرات، تلك السورة العظيمة التي ركزت على مجموعة من الأخلاق الاجتماعية الفاضلة، والتي لا يغني عنها جميع مقررات أهل الأرض، بل ولا يأتون بمثلها، فقد أودع الله فيها دستوراً عظيماً للحياة السلمية والحربية، وضمَّنها من حقوق الإنسان ما لم يستطع أن يصل إليه العقل البشري بجميع منظماته الدولية، بعدها انتهز الشيخ الفرصة ليكشف عن الفكر السقيم للمنهزمين من مثقفي الأمة، الذين يتبجحون بعروبتهم ويستظلون بالإسلام، الذين صدعوا رؤوسنا بذكر المثل العليا الدولية، تلك المثل الزائفة، ويتغافلون عن المثل الدينية الباقية، ويتناسون ما فعلته تلك الدول من أعمال وحشية منقطعة النظير في أوروبا الشرقية والبلقان والجزائر وزنجبار وفلسطين وكشمير وغيرها[2].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معالم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من عدة جوانب، وهي:

١- ذكر الشيخ بعض الفوائد الإيمانية والتزكوية التي يجنيها المسلم إن صام رمضان إيماناً واحتساباً، ومن تلك الفوائد:

أ- الصيام صحة للقلب والروح والعقل، فلا يشوش عليه بالأفكار الغربية الهدامة.

ب- الصائم يتعلم من صيامه الصبر والتحرير من سلطان الغرائز، فلن ينساق للشهوات

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١١٦-١١٧.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٣، ص١٢٥-١٢٧.

البهيمية والماديات التي يروج لها الغرب.

فإن لم يجد الصائم هذه الفوائد فليعلم بأنه يقوم بالعبادة دون روحها وإيمانياتها فقد وصل لمرحلة العبادة الروتينية الجافة، فليحذر من هذه الحالة لأنه يُنقص من أجره ومن رصيد إيمانه، فعليه أن يبحث عن روح العبادة التي تضيء له نور قلبه وتحفظه من الانتكاسة والانزلاق وراء رجال التغريب وأفكارهم. ومصداق ذلك قول النبي ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: من لم يترك قول الكذب والعمل بمقتضاه، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، قال ابن بطال: "ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه"، وهو كناية عن عدم القبول، فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول السالم منه(٢).

٢- من شبه التغريبيين أن الصيام يؤثر على انتاج الشخص، فيحصل التأثير على الفرد والمجتمع، وقد رد الشيخ هذه الشبهة من عدة وجوه:

أ- من تزعم هذه الفرية من أبناء المسلمين لو علم أن الصيام والإمساك عن الطعام قد طبق في الغرب بهدف أنه حمية صحية أو تدريب عسكري أو نفسي أو غير ذلك، لتغير رأيه ولأصبح الصيام من أفكار العقل الغربي المبدع، لكن لأنه الذي فرض الصيام هو الله فيصبح الأمر مستهجن بالنسبة له.

ب-الواقع يخالف قولهم بأن الصيام يقلل الإنتاج، بل المشاهد أن المسلم يعمل في الشهر

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصوم، بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، ج٣، ص٣٦، رقم (١٩٠٣).

(٢) ينظر: ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج٥، ص٢٣٤-٢٣٥.

الفضيل بكل جهد ومثابرة حتى لو كان الصيام في فصل الصيف.

ت-يرد الشيخ على من قال هذه الفرية أن عدد الأعياد الوطنية والقومية والحزبية وغيرها تأخذ رصيد كبير من أيام العمل، أليست هذه تنقص من انتاج الفرد والمجتمع؟

٣- يجب أن نعتز باللغة العربية، لغة القرآن الذي أنزله الله في أشرف الشهور وهو شهر رمضان، والاعتزاز بالعربية يكون في مواطن عديدة كالفخر بأنها لغة القرآن ولغة الفصاحة والبلاغة والشعر، ولا نتفاخر بها في مواطن لا يرضاها الله، وعلينا كذلك تعليم الناس اللغة العربية ونشرها لأنها بوابة للإسلام ومنها يفهم العالم معاني القرآن الكريم، ويدركون إعجازه.

المطلب الرابع: مقاومة التغريب من خلال آيات الحج

في آيات الحج أحكام ووقفات تأملية استنتجها أهل العلم، ولا زالوا على ذلك، وللشيخ وقفات عديدة في تلك الآيات البينات ومنها ما يأتي:

١- عند قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٩٨]، قال الشيخ رحمه الله: أي التجارة التي لا تخل بأصل نية الحج، فللحج غايات سامية، تطهر القلب من صنوف الأنانية والولوع بالمادية، والحج فيه ترك ومنح، ترك للمظاهر الزائدة على الفطرة الإنسانية والفاتنة للإنسان والمقسية للقلب، ومنح عن طريق الهدي والأضحية مما ينتفع به من بهيمة الأنعام، ومنح بمواساة الذين يلتقي بهم من إخوته الحجاج، فيعمل على إرشادهم وعلى رفع مستواهم فكرياً ومادياً[١].

٢- ومن التأملات النيرة التي ذكرها الشيخ تلك الرمزية الفريدة والصورة العجيبة، التي لا تجدها

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٦٨-٢٦٩.

إلا في موسم الحج، وهي وقوف الناس بعرفة في صعيد واحد يتساوى فيه الجميع مهما كانت أجناسهم ومهما اختلفت شخصياتهم، يسألون ربهم الرحمة والغفران، هذه المساواة لم تحظ بها البشرية ولن تحظى بها أبداً، بل هي متفردة بالإسلام، ولن تدركها مذاهب الدجاجلة والمغرضين(١).

٣- من شبه المستشرقين والمبشرين التي انطَلَت على بعض المحسوبين على الإسلام أن محمداً ﷺ لما كسر الأصنام اضطر إلى قبول كثير من طقوسهم التي لا تختلف كثيراً عن عبادة الأصنام، مثل المسح على الحج الأسود ورجم الشيطان، وأنه لم يشأ أن يصدمهم دفعة واحدة وهم الذين اعتادوا على تقديس الحجارة، فحطم الاصنام حول الكعبة وابقى الحجر الأسود وظل الناس يقبلونه، فرد الشيخ على هذه الشبهة بخمسة أوجه، وهي:

- **الأول:** أن عرب الجاهلية لم تقدس الحجر الأسود، فليس له قداسة عندهم.
- **الثاني:** عبادتهم للأصنام ليس لذاتها في بداية الأمر، بل لأنها تماثيل لرجال صالحين زين لهم الشيطان تصويرها ليقتدوا بهم، ثم تحول الأمر إلى عبادتها زعماً منهم أنهم يتقربون بها إلى الله، فعبادتهم للأصنام تعطي معنى لا يوجد في الحجر الأسود.
- **الثالث:** أن الحجر الأسود ليس منفصلاً عن الكعبة وإنما هو جزء منه كحجر زاوية وعَلَم لبداية الطواف ونهايته، فمن قاس تقبيله على تقديس الأصنام فليقس تقديس الكعبة على الأصنام، وقد قال بعض المستشرقين وأفراخهم ذلك حتى زعم بعضهم أن الكعبة أول صنم عبد في الأرض، لكن أفراخهم المنسوبين على الإسلام لا يجرؤن قول ذلك، ويقتصرون على الحجر الأسود مكراً منهم، لأنهم يعلمون أن الذي ينصاع إلى قولهم في ذلك سيؤول أمره إلى الكلام

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٧٦.

عن الكعبة، فالمسألة أمرها عميق وغشها فضيع.

- **الرابع:** أن المسلمون لم يعتقدوا في الحجر ما اعتقده الكفار في الأصنام، فقد قال عمر ﷺ عن الحجر: «**إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ**»(١)، فالمشركون يعبدون الأصنام اعتقاداً منهم أنها تؤثر في النفع والضر والشفاعة فيرجونها ويخافونها، بخلاف المسلمين فإن تقبيلهم للحجر خالٍ من اعتقاد التأثير ومن جميع ذلك.

- **الخامس:** لم يكن من هدي النبي ﷺ التدرج في العقيدة، بل كان صارماً فيها بدليل عدم امهال أهل الطائف شهراً لصنم اللات، وكذلك من صرامته أنه هدم مسجد الضرار بكل سرعة، لأن رسالته العظمى توجب عليه أن يكون مسيراً لا مسايراً، وصريحاً لا مداهناً، وقوياً صارماً، لا خائناً محابياً، ولكن المنهزمين الذين تقبلوا كلام المستشرقين طعنوا في شخصية النبي ﷺ حيث وصموه بالمداهنة، كأنه سياسي بينما أصحاب العقيدة لا يقبلون الحلول وأنصاف الحلول حتى من ذوي السياسة العصرية(٢).

٤- وفي ختام فوائد الشيخ المتعلقة بالتغريب في آيات الحج ما ذكره من فوائد التنوع في العبادات، إذ أنها تربي المسلمين تربية مثالية تجعل أهالها قدوة صالحة متحررة من رق الطواغيت، فتنجذب إليهم بسببها أغلبية البشرية المتطلعة إلى التحرر الصحيح والحضارة الحقيقية، وهذان لا يحصلان أبداً في مجتمع لضغوط أفراد يشرعون بأهوائهم، فمشروعية الله للحج وغيره من العبادات المتنوعة هي تحرير لعقل الإنسان من الأوهام والأضاليل التي

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ج٢، ص١٤٩، رقم (١٥٩٧). و: باب الرمل في الحج والعمرة، ج٢، ص١٥١، رقم (١٦٠٥).

(٢) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٩.

علقت به من مكر الدجاجلة والطواغيت، وتطهير لقلب الإنسان وتصفيه له من محبة غير الله والتعلق بغيره[1].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط معالم مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره من عدة جوانب، وهي:

١- الحج مدرسة إيمانية روحانية تربوية، والحج المبرور سبب صفاء القلوب ولينها من بعد قسوتها، وبسببه يلتقي هذا الجمع الغفير من المسلمين في منظر مهيب يعتبر من أعظم المشاهد والمؤتمرات العالمية، فيتعارفون ويتناصحون ويتشارون، والشيخ الدوسري رحمه كانت له جهود واضحة في موسم الحج، فبعد انتقاله للعيش في السعودية أصبح يحج كل سنة، فيلتقي بالحجاج ويجيب على استفساراتهم حول الحج وغيره، ويتنقل بين المخيمات ليتكلم عن قضايا المسلمين وخاصة قضية فلسطين، وأثناء اللقاء بالحجاج الفلسطينيين كان ينصحهم ويرشدهم ويبين لهم أن قضية فلسطين لا تحل إلا بالإسلام الصحيح العودة إلى العقيدة الصافية والثقافة الإسلامية الواعية، والعودة إلى منهج الإسلام في التربية والتعليم لتربية الشباب على الجهاد الإسلامي الصحيح، ويسرد لهم تاريخ الخيانات التي حصلت للقضية ليعتبروا ويتعلموا، وكان الشيخ يحضر اجتماعات رابطة العالم الإسلامي وقت الحج ويستمع للندوات، ويشارك ويناقش الآراء المطروحة، ويرد على الآراء والأفكار التي فيها انحرافات شرعية وفكرية[2].

٢- عند تفسير الشيخ لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٩٨]، ذكر أن المقصود من الآية جواز التعامل بالتجارة، وهذا قول عامة

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٨٣.

(٢) ينظر: الطيار، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن الدوسري**، ص٣٣٦-٣٣٧.

أهل العلم من المفسرين، لكن استطراد الشيخ في تفسيره للآية وقال: "إن في الحج ترك ومنح" فهذا القول محل تأمل، خاصة إذا ربطنا الأمر بمقاومة الشيخ للتغريب، فعند الترك ذكر أن المقصود هو ترك كل ما يقسي القلب من مظاهر زائدة ومن جوانب تعتبر من صنوف الأنانية والولوع بالمادية، ولعل من صنوف الترك التي قصدها الشيخ في جانب التجارة، أن الحاج يخلص نيته لله في تجارته، ويترك ما سواه سبحانه، فينوى الحاج بهذا المال التقوّي على عبادة الله، ويكون كسبه للمال أثناء أجواء الحج الإيمانية دافع له على تحري الحلال والإخلاص في تحصيله، وهذا أمر محمود، أما إن كانت تجارته للتكاثر والسرف والترف وصرف الأموال فيما لا فائدة منه، فهذا أمر مذموم يجب تركه، وقد ذكرنا في الوسائل الاقتصادية أن من وسائل الغرب إضعاف المسلمين مالياً سواء كانوا أفراداً أو دولاً، وذلك عن طريق إضعاف تجارتهم بتركه لهم، وعن طريق إغرائهم ليسرفوا ويلعبوا بأموالهم التي كسبوها، بل قد يكون اضعافهم أيضاً عن طريق إفقارهم، فالمسلم يجب أن يسعى للبحث عن مصادر المال الحلال ليكون لديه قدر من المال حتى يتعفف عن سؤال الناس.

إذاً من دروس الحج التي تتعلمها الأمة أن تكون قوية فلا تترك الكسب الحلال الذي يعظمها، وتترك الإسراف في الأموال لمجارات أهل المادة، وتترك الكسب المحرم، ومن المفسرين الذين قارب رأيهم رأي الشيخ الدوسري الشيخ رشيد رضا حيث قال: قال الأستاذ الإمام: كان بعض المشركين وبعض المسلمين في أول الإسلام يتأثمون في أيام الحج من كل عمل حتى كانوا يقفلون حوانيتهم، فعلمهم الله تعالى أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الإخلاص، وقال: إن قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة، ويروى أن سيدنا عمر ﷺ قال في هذا المقام لسائل: وهل كنا

نعيش إلا بالتجارة؟ أقول: والمراد من الآية أن الكسب مباح في أيام الحج إذا لم يكن هو المقصود بالذات، وأنه مع حسن النية وملاحظة أنه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة، وأن التفرغ للمناسك في أيام أدائها أفضل، والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة أكمل[1].

وأما منح ما ينفع الناس، فهو على شقين، شق ذكرناه في النقطة السابقة وهو منح ما تفضل الله به على العلماء من الفهم والعلم والمعرفة، فعلى العلماء تزكية علمهم، فيعلموا الناس ويوجهوهم في الحج، ومنح ما تفضل الله به على الإنسان من المال، وهذا المعنى أشار إليه الإمام الرازي، فبعد ذكره لأقوال العلماء في تفسيرهم لهذه الآية، قال: "القول الثالث: أن المراد بقوله تعالى : ﴿أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هو أن يبتغي الإنسان حال كونه حاجاً أعمالا أخرى تكون موجبة لاستحقاق فضل الله ورحمته مثل إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، وهذا القول منسوب إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهم السلام، واعترض القاضي عليه بأن هذا واجب أو مندوب، ولا يقال في مثله: لا جناح عليكم فيه، وإنما يذكر هذا اللفظ في المباحات. **والجواب:** لا نسلم أن هذا اللفظ لا يذكر إلا في المباحات، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة النساء:١٠١] والقصر بالاتفاق من المندوبات"[2].

٣- من الشبه التي كان يروج لها أصحاب المدرسة التغريبية أن رسول الله ﷺ كان يداهن في عقيدته، فبعد كسره للأصنام اضطر إلى قبول بعض الطقوس كالمسح على الحجر الأسود وتقبيله ورجم الشيطان بالحجارة، وأنه لم يشأ أن يصدمهم دفعة واحدة وهم الذين اعتادوا على

---

(١) ينظر: رشيد رضا، **تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)**، ج٢، ص١٨٥.

(٢) فخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٥، ص١٤٧.

تقديس الحجارة، وقد رد الشيخ على هذه الفرية من خمسة أوجه كافية وشافية، اخرست خصوم الدين، الذين يحسدون المسلمين على نعمة الحج، فيصمونه بالوصمات الفاجرة، تنقيصاً لشأنه وللإسلام الذي شرعه.

٤- من رحمة الله بعباده أن جعل العبادات متنوعة، فمنها ما هو واجب وما هو مسنون، ومنها ما يقام في النهار ومنها في الليل، ومنها ما يقام طول السنة ومنها ما يقام في أوقات محددة كالصيام والحج، ومنها ما هو بدني كالصلاة ومنها مالي كالزكاة ومنها ما هو مالي وبدني كالحج، ومنها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، ومنها ما هو علني وما هو سري، ولهذا التنوع فوائد عديدة منها: أن لكل عبادة ثمرتها الخاصة بها، فالصلاة كما قال الله عنها: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]. والزكاة تطهر النفس من مرض البخل والشح، والصيام ثمرتها قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٣]. والحج ثمرتها التعلم على الصبر والتحمل وعدم الغضب ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]. والتعاون بين المسلمين في هذا الموسم وخدمة الحجيج بعضهم لبعض ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة:٢]. وغيرها من الثمرات، ومن الفوائد إبعاد الملل والسآمة، فلوا كانت العبادة بصورة واحد ووقت ثابت لثقلت على الإنسان وسيفقد لذة العبادة، ومن أهم الثمرات ما ذكره الشيخ الدوسري أن التنوع يربي في الإنسان تربية إسلامية صحيحة تحرر قلبه وعقله من كل ماديات الدنيا وطواغيتها، ويكون الإنسان متعلقاً بالله وحدة، فهذا التنوع يحمي المؤمن من الافتتان بالحياة المادية الغربية التي تمت الإشارة إليها في الوسائل الفكرية والثقافية.

المطلب الخامس: مقاومة التغريب من خلال آيات الجهاد

الجهاد الإسلامي من أكثر العبادات التي ينزعج منها حملة لواء التغريب، لأنهم يعلمون أنه بوجوده ستختلف موازين القوى، ولن يكون لهم موطئ قدم في ديار المسلمين كما هو الحاصل اليوم، لذلك فهم يصبون جام غضبهم على ذروة سنام الإسلام الذي قضَّ مضاجع آبائهم الأولين طوال السنوات الماضية.

ومن هنا كانت للشيخ الدوسري ﷺ صولة وجولة في تفسيره مدافعاً عن هذه الشعيرة العظيمة ومبيناً مكانتها وفضلها، ومن تلك الشواهد:

١- عند قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ [سورة البقرة:١٩٠-١٩١]، تطرق الشيخ ﷺ إلى جملة من الفوائد العظيمة عند آيات الجهاد، ومن تلك الفوائد المرتبطة بموضوعنا ما يتعلق بمسألة حصر الجهاد بالدفع، ومَن حَصره يستدل بآية ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾.

فيذكر ﷺ أن هذا القول ظهر عند بعض الكتَّاب في زماننا "الذين يدفعون عن الإسلام وصمة الإفرنج؛ بأنه دين قام على القوة والسيف لا على الحجة والإقناع، فأخذوا في سبيل الدفاع عن الإسلام يزعمون أن المسلمين كالصعاليك أو كأقل من مستوى الحيوان، لم يؤمروا بالجهاد إلا للدفاع، والدفاع أمر فطري حتى في البهائم، بينما المسلمون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته بإقامة حكمه المصلح لأهل الأرض، وقمع المفترين على الله، والمتسلطين على عباده بالقهر

والإرهاب، وتحرير الشعوب من عبادة الأشخاص إلى عبادة الله، وقد شهد فطاحل المؤرخين أنه لم يوجد غازٍ ولا فاتح أرحم من المسلمين وأنفع منهم للأمم المغلوبة، وهذا من أكبر الأدلة على أن الزحف الإسلامي زحف مقدس محبوب، وفوائده ملموسة، بخلاف الزحف الوثني الاستغلالي البغيض، ولكن هؤلاء الكتاب جرَّتهم الهزيمة العقلية إلى القول بأن مشروع الجهاد للدفاع فقط، متعامين عن النصوص من الكتاب والسنة، وعن واقع المسلمين حتى انجروا إلى التلبيس والتحريف من حيث لا يشعرون، ولكن الحقيقة التي لا محيد عنها أن الله أمر نبيه ﷺ والمؤمنين بالصبر والصفح، ثم أمره بالهجرة وأذن له بالقتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف يده عمن لم يقاتله، ثم جاءه الأمر الثالث بقتال المشركين كافة حتى يكون الدين كله لله، ولا يحصل للمسلمين فتنة حسية بالإرهاب والتعذيب ولا فتنة معنوية فكرية بالتضليل والتشكيك، ثم بعد ذلك الأمر صار الكفار ثلاثة أصناف: منهم أهل الصلح، وقسم أهل حرب، وقسم أهل ذمة، ثم نزلت سورة براءة ببيان حكم هذه الأقسام جميعها"[1].

ثم أسهب الشيخ في بيان تفاصيل المراحل القرآنية الخاصة بمقاتلة الكفار، وكان يهدف من هذا التفصيل توضيح أن آية ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ التي يستدل بها هؤلاء كانت مرحلة من مراحل الجهاد التي قررها القرآن الكريم.

٢- ومن الفوائد التي ذكرها الشيخ أن الجهاد شُرع لنصرة دين الله، والتمكين من حمل رسالته، وإقامة حكمه، وإعلاء كلمته، لا من أجل وطنية أو قومية عصبية، وأما العقيدة فلا إكراه فيها، لأن المكره عليها يضطر إلى النفاق أو المداهنة، فيظهر خلاف ما يبطن، فلهذا كان وجوب الجهاد

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٢٢-٢٢٤.

لإقامة حكم الله في الظاهر، وقمع المفتري على الله[1].

وأعاد الشيخ تأكيده على مسألة الإكراه وبيّن الخلط الحاصل فيها فقال: "وسبب غلطة كتابنا -سامحهم الله- أنهم يخلطون بين قول الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وبيَّن بواعث الجهاد التي هي تحرير الناس من عبادة الطواغيت المسيطرين على أبدانهم وعقولهم، ومطاردة شياطين الإنس من الطواغيت وأعوانهم، وتحطيم سلطانهم الذي فرضوه على الناس، وألا يحكمهم أحد من البشر بأهوائه التي يفرضها بلا برهان من الله لتحصل الحرية الكاملة للناس في سلوك ما يختارون مع قاعدة عدم الإكراه في الدين، فلا تعارض بينهما، ولا مجال للالتباس فيهما، ولكن المستشرقين الخبثاء وتلاميذهم خلطوا بينهما للتلبيس حتى انتصب الكُتَّاب للدفاع عن الإسلام بأسلوب بعيد عن واقعه"[2].

٣- استدل الشيخ بالآية: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [سورة البقرة:١٩١] على أن مشروعية القتال ليس للدفاع، بل لقمع الكفر الموجب لفتنة المسلمين عن دينهم، والفتنة فسرها بعضهم بالكفر، وبعضهم فسرها بتخويف المسلمين أو تعذيبهم، أو العمل على تشكيكهم، ولا جرم أن يجعل الله الفتنة أشد من القتل وأفظع، لأن مجرد كفر الكافر يحملهم على أحد أمرين: إما إيذاء المسلمين وتخويفهم وتعذيبهم ليفتنوهم عن الدين، أو تضليلهم وتشكيكهم والسخرية منهم ورميهم بالألقاب الذميمة، وادعاء التناقض في القرآن الكريم ليخلصوا من ذلك إلى أنه من نسج محمد ﷺ وتلفيقه، وادعائهم كذب الأحاديث ومخالفتها للعقل، وأن في القرآن خرافات لا يقبلها العلم العصري المتطور، وأنه لا توجد حياة أخرى بعد الموت، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة التي

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٢٧.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢.

تبثها اليهودية الصهيونية، ويبثها أفراخهم وتلاميذهم ممن يحملون أسماء عربية أو إسلامية، وأدمغتهم فاسدة مفسدة[1].

ويواصل الشيخ فيقول: "ولذا جعل الله الغاية للقتال زوال الفتنة عن الدين؛ لأن القيمة للعقيدة والقتال من أجلها، والمولاة والمعاداة في سبيلها، فالجناية على العقيدة أشد من الجناية على النفس والمال والوطن، ولهذا لا تجوز مسالمةُ الجاني على العقيدة بمختلف المطاعن في أي وسيلة من وسائل النشر الظاهر أو الدس الخفي في وسائل التعليم، وإن أبدى المسالمة والمصادقة في الأمور السياسية رعاية لمصالحه، فإنه لا يجوز للقيادة الإسلامية تركه يستجم وينمو على حساب العقيدة أبداً"[2].

٤- ومن الوقفات عند آيات الجهاد ما ذكره الشيخ عند قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، فيخبر أن في الآية "دليل واضح على أن مقصود الله من إيجاب الجهاد زوال الفتنة على أهل دينه بتحطيم القوى المادية والسياسية التي تحول بين الناس وبينه؛ لأجل تعبيدهم لغير الله، والتي تظهر على الناس بأسماء وألقاب وأزياء مختلفة لدس السم في الدسم، ومنها ما يسمى بالدين وينشط بوسائل التبشير، ومنها ما يظهر باسم البحث العلمي كالمستشرقين، ومنها ما يظهر بالمظهر السياسي متسمياً (بالجمهورية) يدعي العدالة والإخاء والمساواة، كما هو المخطط الماسوني الذي يتلون بتزعمه الثورات على الأوضاع، ويخص منها الدين بأفظع تركيز مبغض منفر، ومنها ما يظهر باسم الإصلاح والعدالة الاجتماعية الخداعة التي نهايتها الإفساد والمساواة في البؤس والفقر،

---

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٢) الدوسري، **المرجع السابق**، ج٣، ص٢٣٤.

كالشيوعية وذيولها، ومنها ما يبرز بتقديس الوطن أو الجنسية العنصرية العمل لذا أو ذاك مما حاصله تقديس أشخاص تتمثل بهم الوطنية أو القومية ويخلع عليهم خلعة الإخلاص، ومنها ما يظهر بمذهب مادي أو نحلة جنسية شهوانية باسم الحرية البهيمية، إلى غير ذلك مما ظهر قديماً وحديثاً، ولا يزال يتجدد ظهوره بالألقاب البراقة الخداعة المغرية على الشرود عن سبيل الله"[1].

ويتساءل الشيخ، إذا كانت هذه غاية الجهاد التي بينتها الآيات، وكان هذا واقع المسلمين اليوم، فما بال هؤلاء المنهزمين يخجلون من الجهاد الحقيقي حتى يلتمسوا المبررات لجعل الجهاد مشروعاً للدفاع؟ إن حقيقة أمر هؤلاء أنهم مهزومون روحياً وعقلياً بما أصابهم من دهاء المكر الأوروبي، ودجل المستشرقين وأفراخهم ممن جعلوا الدين في قفص الاتهام، حتى صار الإسلام عندهم كأنه دين صعاليك لا يعرف القوة ولا يريدها ولا يعرف الجهاد إلا للدفاع عن الوطن والنفس، فالواجب علينا ألا ننهزم أما هراء المستشرقين وتلاميذهم ممن صوروا الإسلام حركة قهرية بالسيف للإكراه على العقيدة، ونبين لجميع الناس أن الإسلام ليس مجرد عقيدة حتى يكتفي أهله بإبلاغها، وإنما هو حركة تحرير عالمية شاملة[2].

ثم ختم الشيخ رحمه الله ببيان الفرق بين فتوحات الصحابة وحروب الاستعمار، فالصحابة فهموا التوجيه الإلهي حيث كان الأمر أولاً بالدفاع، ثم الهجوم العام على جميع الكفار لدرء الفتنة ولتطهير الجزيرة عاصمة الإسلام من الكفر، ثم قتال الموالين للجزيرة من الكفار، حتى لا يقف في وجه المد الإسلامي أحد، ومن خلال هذا التدريج واصل الصحابة الجهاد إلى جميع المعمورة، لتحرير البشرية من رق العبودية لغير الله، فانطلاقتهم العظيمة في قلب بلاد الفرس وما وراء القوقاز، وفي قلب

---

(١) الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) ينظر: **المرجع السابق**، ج٣، ص٢٣٩-٢٤١.

بلاد الروم وأفريقيا وغيرها، ليس دفاعاً عن حدودهم الضيقة، ولكن لإعلاء كلمة الله، في المقابل تجد تسابق أسياد المستشرقين على غزو الشعوب في كل مكان لإذلالهم واستغلالهم واستعبادهم وإفساد أخلاقهم، فعلى سبيل المثال بريطانيا المتبجحة بالديمقراطية والحرية تدعي بأنها مدنت الصين، لكنها في الواقع مدنتهم بإجبارهم على تجارة الأفيون وتناوله، لتربح الأموال الطائلة من خلال هذه التجارة التي يموت بسببها ستمائة ألف شخص سنوياً، كما جاء في إحصاء الدكتور (كريستليب) الذي روى لنا قول بعضهم للمبشرين بالنصرانية: "تسممونا للقضاء علينا ثم تأتون لتعليمنا الفضيلة!".

ويقول الكاتب الإنجليزي (هندمان): "إن من الأمور المخيفة جداً إكراه الولايات الشمالية الشرقية في الهند على تصدير حبوبها إلى إنجلترا مع موت ثلاثمائة ألف نفس جوعاً من أبنائها في بضعة أشهر"، أما فرنسا فلا تقل وحشية عن غيرها من دول الاستعمار، ففي عام ١٩٤٥م دمروا إحدى وأربعين قرية في الجزائر بكاملها، لم ينج منها طفل ولا امرأة، كما جاء ذلك باعتراف الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، وغيرها من الأمثلة التي ذكرها الشيخ، ثم ختم بقوله: فلو أن كُتَّابنا أجابوا المستشرقين وتلاميذهم بما جرى من دولهم من المخازي المخجلة، وقابلوا ذلك بنزاهة المسلمين ورحمتهم لأخرسوهم دون أن يلجئوا إلى تحريف آيات الجهاد[1].

ومن خلال الشواهد السابقة يمكن استنباط مقاومة الشيخ للتغريب في تفسيره لآيات الجهاد وذلك من خلال إقرار مشروعية جهاد الطلب، وأنه لا ينبغي أن يقتصر الجهاد على الدفع فقط، وقد رد الشيخ على من حصر الجهاد بالدفع من عدة وجوه وهي:

١- من يرى أن الجهاد محصور بالدفع يستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٤٢-٢٤٤.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾، فيوضح الشيخ ﷺ أن مرحلة مقاتلة المعتدي كانت مرحلة أولية من مراحل تشريع الجهاد في الإسلام، وليست هي الحكم الذي استقر عليه العمل.

٢- دليل الشيخ على مشروعية جهاد الطلب ما قاله المولى سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، وأوضح معنى الفتنة التي يجب قتال أصحابها وهي فتنة العقيدة، وفتنة القوى المادية والسياسية التي تحول دون وصول الدين للناس، وعليه فالقتال ليس للدفاع عن الروح فقط، بل للدفاع عن العقيدة والدعوة لنشر الإسلام، وتَوَسُّع الشيخ ﷺ في ذكر معاني الفتنة له أصل في كتب التفسير، فمعنى الفتنة: الشرك أو الكفر، هو القول المشهور عند عامة المفسرين، فقد قال به ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وقتادة[١]، أما المعاني الأخرى التي ذكرها فتدخل في عموم لفظة فتنة، وداخلة في معنى أذية المسلمين بأي وسيلة كانت، يقول ابن عطية ﷺ: "والفتنة هنا: الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين"[٢]، ويقول ابن عاشور ﷺ: "والفتنة تقدمت قريباً، والمراد بها هنا كالمراد بها هنالك، ولما وقعت هنا في سياق النفي عمت جميع الفتن، فلذلك ساوت المذكورة هنا المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [سورة البقرة:١٩١]، فإعادة الفتنة منكرة هنا لا يدل على المغايرة، كما هو الشائع بين المعربين في أن المعرفة

---

(١) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٥٦. وينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، ج١، ص٤٧٢.

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص٢٦٣.

إذا أعيدت نكرة فهي غير الأولى؛ لأن وقوعها في سياق النفي أفاد العموم فشمل جميع أفراد الفتنة مساوياً للفتنة المعرفة بلام الاستغراق إلا أنه استغراق عرفي بقرينة السياق"[1]، ويقول الشوكاني رحمه الله: "والظاهر أن المراد: الفتنة في الدين بأي سبب كان، وعلى أي صورة اتفقت، فإنها أشد من القتل"[2]، فبناء على ما تقدم تكون المعاني التي أورها الشيخ داخلة في عموم فتنة المسلمين وبالأخص الفتنة في العقيدة التي أكد الشيخ على أهميتها.

٣- وضح الشيخ رحمه الله الغاية من الجهاد وهي: تحرير الناس من عبادة الطواغيت المسيطرين على عقولهم وأبدانهم، وتحطيم أي سلطة تمنع وصول رسالة الإسلام، ورد على التغريبيين الذين يقولون أن هذه الغاية مناقضة لقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وبين موطن الالتباس وأنه لا خلط بين معنى الإكراه ومقصد جهاد الطلب، وقد وافق هذا التفسير ما قاله سيد قطب رحمه الله عند تفسيره لنفس الآية، حيث ذكر أن بعض المغرضين من أعداء الإسلام يرمونه بالتناقض، فيزعمون أنه فرض بالسيف، في الوقت الذي قرر فيه أن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، أما بعضهم الآخر فيتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة، وهو يحاول في خبث أن يخمد في حس المسلم روح الجهاد، ويهون من شأن هذه الأداة في تاريخ الإسلام، وفي قيامه وانتشاره، ويوحي إلى المسلمين بطريق ملتوية ناعمة ماكرة أن لا ضرورة اليوم أو غداً للاستعانة بهذه الأداة، وذلك كله في صورة من يدفع التهمة الجارحة عن الإسلام!، وهؤلاء وهؤلاء كلاهما من المستشرقين الذين يعملون في حقل واحد

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٢٠٨.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، (الرياض: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ج١، ص٣٤٦.

في حرب الإسلام، وتحريف منهجه، وقتل إيحاءاته الموحية في حس المسلمين، كي يأمنوا انبعاث هذا الروح، الذي لم يقفوا له مرة في ميدان، والذي أمنوا واطمأنوا منذ أن خدروه وكبلوه بشتى الوسائل، وكالوا له الضربات الساحقة الوحشية في كل مكان، وألقوا في خلد المسلمين أن الحرب بين الاستعمار وبين وطنهم ليست حرب عقيدة أبداً تقتضي الجهاد، إنما هي فقط حرب أسواق وخامات ومراكز وقواعد، ومن ثم فلا داعي للجهاد، لقد انتضى الإسلام السيف، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل، لا ليكره أحداً على الإسلام، ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد، جاهد الإسلام أولاً ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وجاهد ثانياً لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة[1].

٤- ختم الشيخ ﷺ استدلالاته بعمل مقارنة بين فتوحات الإسلام واستعمار الغرب، فجهاد المسلمين مليء بالرحمة على الأمم الأخرى، بخلاف الدول المستعمرة كيف كان دخولها خراب ودمار واستغلال للدول التي تحتلها.

وأنوه إلى أن الشيخ ﷺ أثناء طرحه هذه المسألة كان مقصده الرد على كتابات نشرت في زمنه، لذا تجده أثناء طرحه للقضية يشير إلى أنه يرد على بعض الكتاب الذين أثاروا مسألة جهاد الدفع، وقد أغلظ عليهم القول أثناء حديثه عنهم، حتى وصفهم بعبارات قاسية كالمنهزمين وأفراخ المستشرقين، ولا نعلم من يقصد على وجه الخصوص، ولكن ما وجب التنبيه عليه أنه يوجد عدد من العلماء والمفكرين الصادقين الذين قالوا بهذا القول، واجتهادهم محل للنظر، ومن الاجحاف مقارنتهم بمن يستغل هذا الخلاف لتمرير أجندته التغريبية، ومن هؤلاء: "عبد الوهاب

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٩٣-٢٩٤.

خلاف في كتابه **(السياسة الشرعية)**، ومحمود شلتوت في كتابه **(من هدى القرآن)**، ومحمد أبو زهرة في كتابه **(العلاقات الدولية)**، ومحمد عبد الله دراز في كتابه **(العلاقات الدولية في الإسلام)**، ومحمد عزة دروزة في كتابه **(الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث)**، وحامد سلطان في كتابه **(أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية)**، وعلي علي منصور في كتابه **(الشريعة الإسلامية والقانون الدولي)**، وجمال البنا في كتابه **(حرية الاعتقاد في الإسلام)**، وعبد الخالق النواوي في كتابه **(العلاقات الدولية والنظم القضائية)**، ومحمد رأفت عثمان في **(كتابه الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية)**، وأحمد محمد الحوفي في كتابه **(سماحة الإسلام)**، وغير هؤلاء كثير من الكتاب، وأصحاب الرسائل العلمية"[1].

وختاماً: ففي دين الله من التشريعات المدنية والسياسية والحربية والسلمية، ما يوضح لكل عاقل أنه دين ودولة، دين عبادة وسيادة وقيادة عالمية، فليس مقصوراً على التشريعات التعبدية وإنما فيه تشريعات المعاملات الدنيوية من البيع والشراء والرهن والقرض، وأحكام المساقاة والمزارعة، واللقطة والوقف والمواريث والوصايا، وأحكام النكاح والطلاق والرضاع، والقصاص والديات، وأحكام القضاء، والأحكام السياسة، من الحرب والشورى، والسلم وعقد الهدنة والأمان، وإبرام المعاهدات السياسية، وغير ذلك مما يتضح به أن الإسلام دين ودولة، فلا يجوز تجريد الإسلام عن الحكم، ولا يجوز قياسه على الأديان المكذوبة على الله، والتي فيها تحجير للعقل وحرمان من العلم وفرض سلطة الكهنوت على الناس، ولهذا كان قياس الإسلام على دين الكهنوت قياس فاسد، لأن الإسلام ليس فيه رجال دين يتحكمون بالناس، وإنما فيه علماء ربانيون لنشر

---

(١) العلياني، علي بن نفيع، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، (الرياض: دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص٣٢٥-٣٢٦.

العلم والفضيلة وتحرير العقول وإتاحة الفرصة لكل مخترع ومبدع، كما يشهد بذلك التاريخ[1].

(١) ينظر: الدوسري، **صفوة الآثار والمفاهيم**، ج٤، ص١٨١-١٨٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب الأرض والسماوات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وبعد:

فبفضل الله ومنته وصلنا إلى نهاية البحث، وقد سعيت جهدي لخدمة كتاب الله تعالى، وقصدت من خلاله نصح أمتي من خطر التغريب.

وفي الختام أعرض للقارئ بعض ما توصلت إليه من النتائج، وأقترح بعض التوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تفسير صفوة الآثار والمفاهيم من التفاسير التي تميزت بمادة علمية ثرية، وفيها معالجات لقضايا عصرية تهم الباحثين ومن أبزرها قضية التغريب.
٢. الشيخ الدوسري ﷾ من العلماء الذين تميزوا بذكائهم وفراستهم وفقههم لواقع أمتهم، وما ذلك إلا ببركة القرآن الكريم وتأثره ببيئته ومشايخه.
٣. في حياة الشيخ لم يكن للحشود التغريبية موطئ قدم راسخة في دول الخليج العربية، خاصة في الدول التي عاش فيها الشيخ، ومع ذلك فطن لتلك البذور الصغيرة وعلم أن التغريب قد وضع غرسه في بلاده كما حصل في باقي ديار المسلمين، فصاح صيحة النذير لأمته لتستيقظ في غفلتها، ولتعلم قرب خطر عدوها.
٤. معنى التغريب لم يكن معروفاً عند علماء اللغة السابقين لأنهم لم يعايشوه في زمانهم، وأول من ابتكر هذا المصطلح هم الغرب، وأتى علماء الفكر الإسلامي بعد ذلك ليوضحوا مفهومه بشكل واسع ومفصل.

٥. وسائل التغريب التي اتبعتها قوى الغرب ضد ديار المسلمين، تسير في العصر الحديث نحو النمط التدريجي البطيء، فيبدؤون بالوسائل التي لا تثير المجتمعات المسلمة حتى ينتهي المطاف بالوسائل السياسية والعسكرية، ولا تستطيع القوى الغربية أن تحقق أهدافها إلا من خلال أفراخها من أبناء المسلمين، الذين خانوا دينهم وأمتهم، وراحوا يركضون وراء الغرب طلباً لرضاهم، وطمعاً لما في أيديهم من أغراض الدنيا الفانية.

٦. معالم مقاومة التغريب كانت واضحة وجلية في تفسير الشيخ للقرآن الكريم، فبعد التشخيص الذي تم ذكره من حصر وسائل التغريب، وبيان مخططات المؤسسات التغريبية وفضحها، نجد الدوسري قد قام بالعلاج من خلال الطرح الإيماني الذي يذيب ران القلوب القاسية، ويحفظ دين الإنسان من فتنة المادة، ومن خلال العقيدة التي تحفظ المرء من الانجراف خلف الأفكار المنحرفة، ومن خلال دحض الشبهات التي يلقيها أهل التغريب، فيدمغها بالأدلة النقلية والعقلية.

٧. المكتبة العلمية والفكرية العربية قدمت العديد من المصنفات المتعلقة بمقاومة التغريب، فبينت معالمه وأهدافه ووسائله وطرق مقاومته، ومع كثرة المصنفات إلا أنها تعتبر قليلة إذا ما قورنت بالمصنفات التي تدعم التغريب، والساحة العلمية اليوم بحاجة وبشكل أكبر إلى المشاركات العلمية العميقة لحماية المجتمعات من سيل التغريب الجارف، وكذلك بحاجة إلى التنوع والابداع في طرق العرض خاصة مع الطفرات الإلكترونية والإعلامية الهائلة.

٨. كانت لعلماء التفسير مشاركات في مقاومة التغريب، ومن أبرز تلك التفاسير: **(تفسير المنار)** وتفسير **(في ظلال القرآن)** وتفسير **(صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)**، وتبرز أهمية التفسير الاجتماعي والفكري في تحديد المشاكل المجتمعية وحلها، استناداً للتوجيهات القرآنية.

ثانياً: التوصيات:

١- مسألة التغريب من المسائل التي تحتاج من الباحثين وطلاب العلم مزيد عناية ودراسة خاصة من كتب التفسير المعاصرة.

٢- أوصي الباحثين في الدراسات العليا دراسة كتب التفسير التي اعتنت بتقرير منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، والاستفادة من هذه التفاسير في تربية الناشئة، وتصحيح المفاهيم، ومواجهة الانحرافات التي يواجهها المسلمون في واقعهم المعاصر.

٣- أوصي الباحثين كذلك بضرورة إلقاء الضوء على القامات الكبرى من العلماء والكتاب والمفكرين الذين كان لهم الفضل في الحفاظ على صفاء النبع وعدم تكديره بفلسفات ومناهج لا توافق مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، ودراسة كتبهم، واستخراج جوانب القدوة في حياتهم؛ ليكونوا نبراسًا يهتدي بهم من يأتي بعدهم.

٤- كذلك أوصي بمطالعة باقي تراث الشيخ الدوسري والاستفادة منه، خاصة ما يتعلق بعلوم القرآن والفكر الإسلامي ومقاومة التغريب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المراجع باللغة العربية:

١. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ط، د.ت).

٢. آدم، انتصار محمد أحمد، **محمد مصطفى هدارة وجهوده النقدية**، رسالة دكتوراه من جامع أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، ٢٠١٢م.

٣. الأفغاني، جمال الدين بن السيد صفتر الحسيني، محمد عبده، بن حسن خير الله، **العروة الوثقى**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت).

٤. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، إشراف: زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٥. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

٧. البسام، عبد الله عبد الرحمن، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، (الرياض: دار العاصمة، ط٢،

١٤١٩هـ).

٨. البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد، **الفرق بين الفرق**، (بيروت: دار المعرفة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٩. بيار كانافاجيو، **معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا**، ترجمة: أحمد الطبال، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

١٠. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

١١. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، **شرح ديوان الحماسة**، (بيروت: دار القلم، د.ط، د.ت).

١٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

١٣. جمال سلطان، **جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث**، (برمنجهام: مركز الدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

١٤. الجندي، أحمد أنور سيد أحمد فرغلي، **تاريخ مصطلح التغريب**، (القاهرة: مجلة الهلال، رقم العدد:٢، تاريخ: ١/فبراير/١٩٩٣م).

١٥. الجندي، أحمد أنور سيد أحمد فرغلي، **شبهات التغريب: في غزو الفكر الإسلامي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

١٦. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٧. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٨. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٩. الحجي، يعقوب يوسف، **الشيخ عبد العزيز الرشيد: سيرة حياة**، (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، د.ط، ١٩٩٣م).

٢٠. حسين، محمد محمد، **حصوننا مهددة من داخلها**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).

٢١. الحصين، أحمد بن عبد العزيز، **إتحاف اللبيب في سيرة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، (د.م، د.ن، ط٤، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م).

٢٢. ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٢٣. الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، (القاهرة: مكتب الطيب، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٢٤. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط**،

تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).

٢٥. الخرافي، عبد المحسن عبد الله، **مربون من بلدي**، (الكويت: د.ن، ط١، ١٩٩٨م).

٢٦. الخطيب، عبد الكريم محمود، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

٢٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٢٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

٢٩. الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم**، (الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٣٠. الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٣١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٣٢. الراغب، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدان الداودي، (دمشق: دار القلم، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ).

٣٣. الراوي، فؤاد محسن، **الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي**، (عمّان: دار المأمون للنشر

والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٣٤. الربيعة، محمد بن عبد الله، رسالة ماجستير بعنوان **منهج الدوسري في صفوة الآثار والمفاهيم**، (رسالة غير مطبوعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ).

٣٥. رشيد، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلموني الحسيني، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م).

٣٦. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (دار الفكر العربي، د.م، د.ط، د.ت).

٣٧. أبو زيد، بكر بن عبد الله، **معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في الألفاظ**، (الرياض: دار العاصمة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٣٨. سعيد عدنان، **لويس عوض ناقداً**، (مجلة القادسية في الأدب والعلوم التروية، العدد١، مجلد٨، ٢٠٠٩م).

٣٩. السمين الحلبي، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت).

٤٠. سيد قطب، بن إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٣٤، ٢٠٠٤م).

٤١. شاكر، محمود محمد، **أباطيل وأسمار**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٤٢. شاكر، محمود محمد، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م).

٤٣. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي (خواطر)**، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م).

٤٤. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٤٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، (الرياض: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٤٦. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٤٧. طه حسين، علي بن سلامة، **مستقبل الثقافة في مصر**، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت).

٤٨. الطيار، سليمان بن ناصر، **حياة الداعية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري**، (رسالة ماجستير -قسم الحسبة ووسائل الدعوة، ١٤٠٢هـ)، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٤٩. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).

٥٠. عثمان، السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الأول، **مذكرات السلطان عبد**

الحميد، تقديم وترجمة الدكتور محمد حرب (دمشق: دار القلم، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٥١. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).

٥٢. العلياني، علي بن نفيع، **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، (الرياض: دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٥٣. العنزي، محمد نايف، **صفحات في التاريخ السياسي للكويت ١٧٧٥-١٩٩١م**، (الكويت: مكتبة آفاق، ط٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٥٤. أبو العينين، أحمد بن إبراهيم، **القول البديع في نصح الشيخ ربيع**، (القاهرة: دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م).

٥٥. الغزالي، محمد، **الإسلام والأوضاع الاقتصادية**، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢١١٥م).

٥٦. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون -طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية-، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٥٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٥٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، (دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر

والتوزيع، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –دولة قطر–، ١٤٣٦هـ–٢٠١٥م).

٥٩. محمد قطب، بن إبراهيم حسين الشاذلي، **واقعنا المعاصر**، (جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م).

٦٠. محمود، علي عبد الحليم، **وسائل التربية عند الإخوان المسلمين دراسة تحليلية تاريخية**، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١١هـ–١٩٩٠م).

٦١. المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ–١٩٤٦م).

٦٢. مركز البحوث والدراسات، **تاريخ التعليم في دولة الكويت– دراسة توثيقية**. (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ط١، ٢٠٠٢م).

٦٣. مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

٦٤. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

٦٥. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني، (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ).

٦٦. الميداني، عبد الرحمن حسن، **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٢هـ–١٩٩١م).

٦٧. الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٦٨. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦-١٩٨٦م).

٦٩. النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج= صحيح مسلم بشرح النووي**، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٧٠. هدارة، محمد مصطفى، **نحو مفهوم متميز للأدب الإسلامي: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث**، (مقالة من مجلة الأدب الإسلامي، مج.١، ع.٢، ١٩٩٣م).

المراجع باللغات الأجنبية:

٧١. OXFORD UNIVERSITY: OXFORD Advanced Learner's Dictionary, (oxford university press, fifth edition, 1995, 7th impression, 1999)

مراجع شبكة الإنترنت:

٧٢. **موقع تراثنا**، رابط: http://www.torathona.org/حكاية القبض على الوزير الفرحان عند دخو، تاريخ الرجوع للموقع: ١افبراير٢٠٢٠م.

٧٣. **موقع جريدة الوطن البحرينية**، عدد الثلاثاء ٥ يونيو ٢٠١٨م. رابط: https://alwatannews.net/article/٧٧٥٣٠٦?rss=١. تاريخ الرجوع للموقع: ١٠اينايرا٢٠٢٠م.

٧٤. **موقع الشبكة الإسلامية** (إسلام ويب)، مركز الفتوى، رقم الفتوى (١٠١٣٢٠)، https://www.islamweb.net/ar/fatwa/١٠١٣٢٠/، تاريخ الرجوع للموقع: ٢٦\مارس\٢٠٢٠.

٧٥. **موقع صيد الفوائد**، بقنة، مبارك عامر، **نقض المذهب النسبي**، https://www.saaid.net/Minute/١٦٦.htm. تاريخ الرجوع للموقع: ١٠/فبراير/٢٠٢٠.

٧٦. **موقع ملتقى أهل التفسير**، الربيعة، محمد بن عبد الله، رابط: https://vb.tafsir.net/tafsir1354/#.Xi9PZ3duLD4. تاريخ الرجوع للموقع: ٣٠\يناير\٢٠٢٠م.

٧٧. **موقع يوتيوب:** الدوسري، عبد الرحمن بن محمد، **محاضرة الماسونية**، https://youtu.be/1F1esQF6OP4 .